

# البـاحث

## مجلة دولية فصلية أكاديمية محكّمة

تصدر عن مخبر اللغة العربية وآدابها

**جامعة الأغواط – الجزائر**

------

**العدد الثاني عشر / أفريل 2013**

**الترقيم الدولي : 4881 – 1112**

***

# AL - BAHITH

**Revue Internationale Périodique**
**Académique a comité de lecture**

**P/ Laboratoire de langue et littérature arabe**
**Université de Laghouat – Algérie**

------------

**Numéro: 12 / Avril 2013**

**ISSN : 1112 - 4881**

**E.mail: bmajalla@yahoo.fr**






مطبعة ابن سالم – الأغواط – الجزائر
IMPRIMERIE BENSALEM
Rue M'hammed Bensalem – Laghouat
W – LAGHOUAT – ALGÉRIE

***

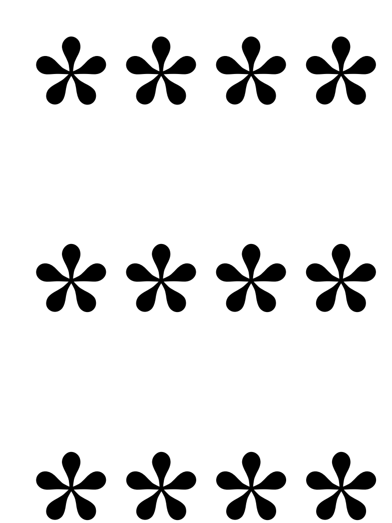
# AL - BAHITH الباحث

مجلة دولية فصلية أكاديمية محكّمة
تصدر عن مخبر اللغة العربية وآدابها
جامعة الأغواط – الجزائر

***

العدد الثاني عشر / أفريل 2013

ISSN : 1112 – 4881 : الترقيم الدولي



## قواعد النشر وشروطه في مجلة "الباحث"

**الباحث : مجلة دولية فصلية أكاديمية محكّمة** تعنى بنشر البحوث والدراسات اللغوية والأدبية والبحوث الفكرية ذات العلاقة بالعلوم الإنسانية ، وما يتصل منها بالدراسات القرآنية ..كما تهتم بالنشاطات العلمية الأكاديمية من خلال الملتقيات والمؤتمرات الوطنية والدولية التي تستوفي قواعد النشر العلمية والمنهجية. وللنشر بالمجلة ينبغي احترام قواعد النشر وشروطه المبيـــنة أدنـــاه :

**1–** تهتم المجلة بنشر المقالات باللغات : العربية والفرنسية والإنجليزية ، مع ضرورة ذكر اسم المؤلف ودرجته العلمية وتخصصه ومؤسسة عمله.

**2–** تكون الكتابة على صفحة بمقاس A4 مع مراعاة العناوين الفرعية للمقال.

**3–** نوع الخط وحجمه في العربية وغيرها : traditionnal arabic 16 ، للمتن و traditionnal arabic 14 للهوامش وقائمة المصادر والمراجع، ويكون الفصل بين الأسطر: 01 سنتم.

**4–** ينبغي إثبات الهوامش والإحالات في أسفل كل صفحة بالأرقام العادية ( 1،2،3...) **وبالطريقة الآلية التلقائية**. على أن تكون المصادر والمراجع في آخر المقال ، بخط : traditionnal arabic 14

**5–** يجب أن لا يقل عدد صفحات المقال عن الخمس ولا يتجاوز العشرين.

**6–** تشفّع البحوث والمقالات بملخص شاف عنها (من خمسة إلى سبعة أسطر) بالعربية إن كان المقال بلغة أجنبية، والعكس كذلك.. ويأتي في بداية المقال.

**7**– في حال تعذُّر نشر بعض المقالات المقبولة التي تصل إلى المجلة متأخرة في عدد ما، فإنه يتم إرجاؤها إلى الأعداد اللاحقة بحسب الموضوع والترتيب وأولويات المجلة ومقاييس عمل هيئة التحرير..

**8**– تخضع المقالات والبحوث والدراسات – قبل إجازتها – للتقييم والتحكيم من قِبَل خبراء ومتخصصين، علماً أنّ قراراتهم غير قابلة للطعن أو الاعتراض.

**9**– يخضع ترتيب المقالات في المجلة لمقاييس تقنية محضة، وليس ثمة أية مفاضلة بينها، ولا علاقة لترتيبها بالموضوع أو بمكانة صاحب المقال.

**10**–- الأعمال المقدمة لا ترد إلى أصحابها سواء أُنْشِـــرتْ أم لم تُنـــشَر .

**11**–لا يُقْبَل أيُّ عمل يتضمّن تجريحا أو طعنا أو تجاوزاً لحدود اللياقة والآداب، أو يخرج عن الإطار العلمي الموضوعي.

**12**–المجلة غير مسؤولة عمّا يَـــرد إليها من الآراء أو الأحكام أو الاتجاهات المتضمنة فيما ينشر من الأعمال، لأن المقالات تعبّر عن آراء أصحابها، ويتحملون مسؤوليتها كاملةً.. ولا تعبر بالضرورة عن رأي المجلة.

● **المراسلة** : تقدم المقالات والبحوث والدراسات مكتوبة – باسم رئيس التحرير على قرص مضغوط **CD** أو تُرسل على البريد الإلكتروني **bmajalla@yahoo.fr أو :**

**aabouahmed@yahoo.fr أو abouf@hotmail.fr**

رئيس التحرير – كلية الآداب واللغات – جامعة عمار ثليجي الأغواط . طريق غرداية

ص ب **G 37** الأغواط **03000** الجزائر – الهاتف : **(213).29.93.17.91**

الفاكس: **00213 29.93.26.98** الهاتف المباشر: **00213 772735697**

## الهيئة العلمية والاستشارية :

***

## محتويات العدد

بسم الله الرحمن الرحيم

## تقديم :

في هذا العدد الثاني عشر من مجلة **"الباحث"** تستمر مسيرة نشر العلم والمعرفة على الدرب العلمي الصحيح الذي هو دأب هذه المجلة ومنهجها. وقد اتسمت المقالات التي بين أيدينا بالموضوعية في معالجة القضايا، وبالجدية في البحث، وبالتنوع والجدة في الطرح، وهو ما يقدّم خدمة جليلة للبحث والباحثين.

وقد جاءت بداية الموضوعات اللغوية بمقال مشترك لكل من **الدكتور زيد خليل القرالة من جامعة آل البيت ، والدكتور ساهر حمد القرالة من جامعة الزرقاء، والدكتور زايد بن مهلهل بن عتيق من جامعة حائل.، تحت عنوان** : " **المصطلح النحوي عند سيبويه بين المصطلح والمفهوم.**" وهو بحث قيّم يتضمّن فوائد جمّة جديرة بالقراءة للوقوف على المصطلح ومفهومه عند سيبويه..

وأمّا البحث الثاني فهو مقال قيّم **للأستاذة فوزية قمقام من جامعة ورقلة – الجزائر ، وجاء بعنوان: " المصطلح البلاغي في مؤلفات القدماء والمحدثين."** تناولت فيه جملة من المصطلحات البلاغية لدى القدماء والمحدثين. وقد استطاعت الباحثة، بمنهج علمي منتظم، تجلية عدة جوانب تتعلق بالمصطلح البلاغي. وهذا بحث يحتاج إليه طلاّب العلم ولا سيما الذين يقبلون على الدرس البلاغي، ومصطلحه..

ثم نطالع مقالة ثالثة **للأستاذ أمحمد لقدي من جامعة الجزائر ، بعنوان: " أثر "البديع" في الدراسات البلاغية الحديثة : العلاقة بالأسلوبية نموذجاً."** ليقدم فيها الباحث أفكارا مهمّة حول علاقة البديع بعلمي المعاني والبيان ، مصححا وموضحاً بعض المفاهيم البلاغية في هذا الشأن..

وأما المقالة الرابعة فهي **للدكتور لخضر روبحي من جامعة المسيلة بالجزائر موسومة بـــ:"ملامح البحث الصوتي في الدّرس الصرفي عند ابن جني.** "وهي مقالة ذات أهمية بارزة لما تناوله صاحبها من علاقة بين الدرس الصوتي والدرس الصرفي عند أحد أبرز اللغويين المنظّرين للدرس اللغوي العربي على امتداد العصور..

وأمّا الموضوعات الأدبية والنقدية فقد استهلّت ببحث **للدكتور أحمد حمد النعيمي من جامعة البلقاء التّطبيقيّة بالأردن ، موسوم بـــ: " نماذج حَيَّة مِن إشكاليَّة التَّجنيس في القصَّة الأردنيَّة.**" قدّم فيه الباحث عملاً قيّمـــاً مفيداً ، بدأه بطرح إشكالية التَّجنيس في القصَّة الأردنيَّة متخذا نماذجه التطبيقية من ثلاثة كتب اختارها لإثبات أطروحته . وقدّم أفكاراً مهمة جديرة بالقراءة والمناقشة..

وأمّا البحث الثاني فكان **للأستاذ الدكتور عيسى بريهمات من جامعة الأغواط – الجزائر، تحت عنوان: الترجمة للأطفال : بين ثقافة الأنا وثقافة الآخر.**" وهو بحث كثير الفوائد لما يتناوله من قضايا الترجمة للطفل وآلياتها وفنونها إذْ إنّ الترجمة الموجهة إلى هؤلاء القرّاء الصغار تفتقر، كما يرى صاحب المقال، إلى الاختصاص، كما أنها لا تراعي طبيعة الطفل وخلفيته اللغوية والثقافية، فضلاً عن المعطيات النفسية والاجتماعية التي ينبغي مراعاتها في ترجمة كهذه..

وننتقل بعد ذلك إلى مقال جمّ الفوائد، مشترك **للدكتورة آفرين زارع والأستاذة مرضية ميرزاييان– جامعة شيراز– إيران،** اختارتا له عنوان: " **الأسلوبية صراع بين القدامة و الحداثة ، وذلك من خلال دراسة علاقة الأسلوبية بالبلاغة..**

وأمّا **الدكتور ميهوب جعيرن من جامعة الأغواط – الجزائر،** فتناول في المقالة الثالثة موضوعاً جديدا تحت عنوان: " **المنهج الموضوعاتي.. بين النظرية**

**والتطبيق.**" وهو بحث قيّم طرح فيه صاحبه إشكالية المنهج في النقد العربي المتأثر بالنظريات المعاصرة. مبيناً مصادر هذا المنهج وأسسه الفلسفية..

وتنقلنا **الأستاذة فاطمة مختاري من جامعة الأغواط– الجزائر ، في المقالة الرابعة إلى الأدب النسائي في موضوع جديد مهمّ موسوم بـــ:"الخطاب النسوي وحركة الواقع العربي المعاصر.**" تناولت فيه أبعاد هذا الخطاب ودور المرأة في المجتمع وعلاقتها بالكتابة الروائية ، والاتجاهات التي سلكتها في ذلك.

وأمّا موضوعات الفكر والعلوم الإنسانية فكان مبدؤها ببحث تحت عنوان : " **أنظمة تقييم الأداء كأداة لتنمية الموارد البشرية في المؤسسة الاقتصادية الجزائرية للأستاذ نوري محمد من جامعة الأغواط – الجزائر**. وهو بحث قيّم مفيد من جهة موضوعه ، ثم من جهة طريقة معالجته ، إذْ قدّم الباحث صورة واضحة للقارئ الكريم عن هذه الأنظمة ودورها في تنمية الموارد البشرية بالمؤسسة الاقتصادية.

وجاء البحث الثاني بعنوان : " **جوانب من المظاهر الحضارية للساحـــل الفينيقي خلال الألف الثانية ق. م." للأستاذ طارق مريقي من جامعة الأغواط – الجزائر** .. وهو بحث تاريخي مفيد يقدّم صورة جليّةً عن حضارة الفينيقيين خلال الألف عام الثانية قبل الميلاد. تتبع فيه الباحث حياة الفينيقيين ونشاطهم وحركتهم الحضارية على الساحل..

وأما المقال الثالث فيتناول قضية من أهم قضايا العصر، قدمه الأستاذ حران العربي من جامعة الأغواط– الجزائر، ويعالج فيه إشكالية الشباب في المجتمع، واختار له عنوان : " **الشباب ومسألة الاندماج الاجتماعي في المجتمع الجزائري..**"

وجاء ختام مقالات هذا العدد بمقال يتضمّن فكرة من أبدع الأفكار تجمع بين اللغة والإشهار ، **للاستاذة أميـــنة رقيـــق من جامعة المسيلة – الجزائر**، تحت عنوان: "

**التقنيات البلاغية في الصورة الإشهارية الثابتة."** تناولت فيه علاقة البلاغة بالإشهار وآليات استعمالها في هذا المجال..

نرجو أن تكون البحوث التي تضمنها هذا العدد قد حققت الفائدة العلمية المرجوة للأساتذة والباحثين وطلاّب العلم ، وقدمت للجميع تنوعاً علمياً وثراءً معرفياً مثمراً ؛ ولعل ذلك ممّا تعكسه المكانة العلمية المرموقة للباحثين الأكارم الذين تَوَّجتْ مقالاتُهم الكريمة صفحاتِ مجلة " **الباحث** " إذ اتّسمتْ مقالاتهم من بالجدّية في الطرح والإنصاف في الحُكْم والموضوعية في المعالجة..

ختاماً ، نهنّئ الإخوة الباحثين الأفاضل الذين حظيتْ أعمالهم بالقبول، كما نهنّئ القرّاء الكرام بما سيجنونه من الفوائد الجمّة وما يجدونه من الفرائد المهمّة، فيما تمّ انتقاؤه في هذا العدد ، سائلين المولى سبحانه للجميع حسن الثواب والقبول.

**وبالله التوفيق..**

**هيئة التحرير**

# مقالات

# في علـوم اللغـة

# المصطلح النحوي عند سيبويه بين المصطلح والمفهوم

د.زيد خليل القرالة/جامعة آل البيت
أستاذ مشارك/ علم اللغة الحديث

د.ساهر حمد القرالة/جامعة الزرقاء
أستاذ مساعد/النحو العربي

د. زايد بن مهلهل بن عتيق/جامعة حائل
أستاذ مساعد/النحو العربي

**ملخـــــص :**

المصطلح عامة والمصطلح النحوي خاصة يمثل وسيلة تواصل تيسر الاطلاع على فكر الآخر وانتاجه، وليس المهم وجود المصطلح بل المهم هـــو اســـتقراره وتعارف الجماعة عليه بعيداً عن الاضطراب أو الازدواجية.

وفي هذا البحث نظرنا في مصطلحات سيبويه النحوية في الكتاب؛ لكـــي نقف على طبيعة المصطلح عنده، من حيث: البناء، والاستقرار أو القلق، ومـــدى قيمته في تشكيل المصطلح النحوي خاصة واللغوي عامة.

وفي هذا العمل قمنا برصد المصطلحات، وتعدد مرادفات كل مصطلح، ثم اخترنا مجموعة من المصطلحات جعلناها عينة لمناقشة المصطلح عند سيبويه، وقـــد جاء اختيار هذه المجموعة على أساس كثرة مرادفات كل مصـــطلح، أو مفهومـــه قياسا إلى مصطلحاته الأخرى؛ فقد ذكرنا المصطلح الشائع وإن كان لا يرد عنـــد سيبويه، ثم أوردنا ما ورد عند سيبويه من مرادفات هذا المصطلح، منوهين في ذلك إلى أن المفاهيم عند سيبويه كانت تحمل الملامح الأولى للمصطلح، فكانت مفاهيم سيبويه تمثل النواة الأولى للمصطلح النحوي.

وبعد عرض العينة ونقاشها رصدنا المصطلحات التي تضمنها الكتاب؛ فأوردنا المصطلح، وما ورد عند سيبويه من مرادفات ومفاهيم ليكون القارئ على بينة من مجمل المصطلحات، والمفاهيم عند سيبويه، ولم نذكر كل المواطن التي ورد فيها المصطلح بل بعضها؛ للتمثيل على انتشارها في الكتاب، وليس لحصرها. وقد استعملنا في عرض الموضوع جملة من المرادفات التي تشير إلى المصطلح من مثل: (مفهوم، مصطلح، اصطلاح)؛ وذلك لعدم الجزم بوجود المصطلح عند سيبويه، وعدم نفيه كليا. ثم أنهينا البحث بخلاصة أشرنا فيها إلى أهم النتائج التي نرى أن البحث قد توصل إليها.

**تمهيد:**

لقد تدرج مفهوم المصطلح، وتطورت فكرته عبر القرون؛ وذلك بتطور الحضارة، والعلوم في كل عصر.

وكل علم له مصطلحاته، وعلم النحو كغيره من العلوم له مصطلحاته التي تدور على الألسنة، وفي المؤلفات التي شغلت بهذا العلم، ومفهوم المصطلح وإن لم يظهر جلياً عند العلماء، إلا أنه ترسخ عند العلماء بشكل تلقائي مع الاستعمال على مر الزمن، ومع أن مفهوم المصطلح بالمعنى المعاصر لم يتضح عند النحاة القدماء، ولم يستوقفهم؛ لأنه يعالج تلقائياً من حيث الاستعمال، فالنشأة كانت وليدة الحاجة للاستعمال، وهذا لا ينفي التلقائية كما يرى إدريس نقوري: "فالمصطلحات لم تنشأ بكيفية تلقائية، وإنما نتيجة ضرورة اجتماعية مُلحَّة، وجهود فكرية، وعلمية مضنية، وخضعت لمراحل التطور" [1] إن الحاجة والضرورة لا تنفي ظهور المصطلح تلقائياً في إطار الاستعمال، وتطور هذا الاستعمال على مر الزمن.

(1) **مدخل إلى علم المصطلح، إدريس نقوري، ص(19)، ط1/1997.**

ومع هذا التدرج للمصطلح وهذه التلقائية إلا أن الجرجاني(ت816هـ) قد وقف عليه معرفاً إياه، مما يدل على وضوح هذا المفهوم عنده، يقول الجرجاني: "الاصطلاح: عبارة عن اتفاق قوم على تسمية شيء باسم ما ينقل عن موضعه الأول. والاصطلاح: إخراج اللفظ من معنى لغوي إلى آخر لمناسبة بينهما، وقيل الاصطلاح: اتفاق طائفة على وضع اللفظ بإزاء المعنى، وقيل: الاصطلاح إخراج الشيء عن معنى لغوي، إلى معنى آخر لبيان المراد، وقيل: الاصطلاح لفظ معين بين قوم معينين"[1].

إن هذا التعدد في التعريفات عند الجرجاني لا ينفي وضوح المفهوم؛ لأنه تعدد، واختلافه لا يخرج عن الاختلاف في صياغة المفهوم، ومع تقارب هذه التعريفات إلا أن أحدها جاء مختصراً دالاً على مفهوم المصطلح دلالة دقيقة، وهو قوله: (اتفاق طائفة على وضع اللفظ بإزاء المعنى).

وإذا كان الجرجاني متأخراً بالنسبة للنحاة العرب الذين عملوا في النحو، فإنه متقدم جداً بالنسبة لنا مما يجعلنا نقول: (إن مفهوم المصطلح قد عُرف وحُدِّد عند القدماء).

وما أورده الجرجاني لا يختلف عما أورده المحدثون؛ فقد ورد في المعجم الوسيط "اصطلح القوم: ...على الأمر: تعارفوا عليه واتفقوا...الاصطلاح: مصدر اصطلح: اتفاق طائفة على شيء مخصوص" [2]. إن مفهوم المصطلح متقارب عند القدماء، والمحدثين، ويتمحور الخلاف في تطور دراسة المصطلح، وكيفية التعامل معه، والإفادة منه إلى أن وصل إلى كونه علماً مستقلاً يشغل العلماء ليصار إلى

---

(1) **التعريفات، علي بن محمد الجرجاني، ص(28)، دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان، ط1/1983.**

(2) **المعجم الوسيط، إبراهيم أنيس وآخرون، ط2، مادة (صلح).**

تقنين علمي، ليصبح تطوره قائماً على أسس علمية، بعيداً عن التلقائية، والتطـــور الخاضع لسيطرة الاستعمال. وكل علم له مصطلحاته، وعلم النحو واحد من العلوم التي استطاعت أن تقف على ما يخدمها من المصطلحات.

لقد استطاع النحو العربي أن يضع الكثير من المصطلحات التي تعارف عليها النحاة، فتداولوها في مشافهاتهم، ومصنفاتهم، والمتتبع للنحو العـــربي علـــى مـــر العصور، ومن خلال مصنفاته، يجد أن المصطلح النحوي قد تدرَّج، ومر بمراحـــل تنسجم مع طبيعة التطور؛ فلم يبدأ النحو بمصطلحات محددة مستقرة، وللوقـــوف على المصطلح النحوي في فترة من الفترات التي تمثل ذلك التدرج، والتطور، نتوقف عند المصطلح النحوي عند سيبويه (ت180هـــ) في (الكتاب).

إن المتتبع لكتاب سيبويه المتداول بيننا، يلمح فيه عدم الدقـــة في ترتيـــب الأبواب، وتتابعها، وقد نجد المؤلف يعالج الموضوع في مواطن عدة، بل إن الكتاب يخلو من ترتيب الأبواب بحسب وضعها الإعرابي؛ فقد نجد المنصوب يعـــالج بـــين المرفوعات، وهذا الاضطراب واضح في أكثر أبواب الكتاب، وإذا كان الكتاب قد اضطرب في ترتيبه، ومنهج المادة المتلازمة، فإن هذا يدل على تلك المرحلـــة مـــن التأليف في هذا الموضوع؛ فهي المرحلة الأولى التي كان الهدف من التأليف فيهـــا رصد المادة النحوية، ووضعها في كتاب يعود إليه القارئ دون الاهتمام في ترتيب المادة، وانسجامها. وهذا الاضطراب لا بد له أن يؤثر على المصطلح عند المؤلف؛ فهي المرحلة الأولى من التأليف، تلك المرحلة التي يعتمد المؤلف فيها في مصطلحاته على المسموع المتعدد، وعلى مخزونه من اللغة، وهذا المخزون لا يعتمد عل مصدر واحد، بل أخذ عن مجموعة من العلماء، وجالس كثيرا من طلاب العلم، إضافة إلى المصدر العام، وهو المجتمع؛ فالمرحلة تمثل البداية، ومصادر المصطلح عنده متعددة،

والهدف الذي كان يتتبعه في عمله، هو المعنى، فلم يعطِ المصطلح عناية تجعله منسجماً في أبواب الكتاب.

ومن العنوان الأول نجد أن سيبويه يتعامل بالمفهوم، ولا يتعامل بالمصطلح؛ فهو منذ البداية يقول: "هذا باب علم ما الكلم في العربية"[(1)]. فكلمة علم يُلمح فيها سمات المصطلح، ولكنه تابع بمفهوم (ما الكلم في العربية).

وهنا نتساءل ألا تمثل كلمة (علم) منفصلة مصطلحاً؟ إن كلمة علم بالمفهوم الدقيق الذي استعمله سيبويه أقرب إلى كونها مصطلحاً، أو تحمل سمات المصطلح، وملامحه ، وهذا يدعوننا إلى التأمل في إمكانية تأثر سيبويه، ونقل دلالة هذه الكلمة عن غير العرب، مما قد يشير إلى تأثره باليونان، أو بالسريان، الذين أفادوا من غيرهم. أقول هذا دون أن أجزم كما ذهب محمد رشاد الحمزاوي[(2)] عندما نفى نفياً قاطعاً أن يكون سيبويه قد تأثر في عمله، ومصطلحاته بالنحو اليوناني ومصطلحاته. قد يقول قائل: إن كلمة (علم) قد استعملت قبل سيبويه، ووردت في القرآن، وهذا ينفي أخذ سيبويه لهذا المصطلح عن غيره، نقول إنها لم ترد قبل سيبويه بمفهوم المصطلح، بل لفظ غير دال على الاصطلاح. ولا نريد أن نفصِّل الحديث عن المصطلح عند سيبويه هنا، ولا يقوم عملنا على التأصيل للمصطلحات تاريخياً، بل يتوقف على رصد هذه المصطلحات والنظر في مدى انسجامها، واستقرارها في الكتاب، فالنظر لهذه المصطلحات، وتحديد استقرارها، أو عدمه لا يأتي إلا من خلال الجانب العملي؛ برصد تلك المصطلحات، والنظر في تعددها،

---

(1) الكتاب، سيبويه، أبو بشر عمرو بن عثمان بن قنبر، عالم الكتب، ط3/ 1983، ج (12/1).

(2) انظر حوليات الجامعة التونسية، العدد (22)، 1983، بحث بعنوان: ملاحظات حول مصطلحات الكتاب لسيبويه، محمد رشاد الحمزاوي.

وأسباب ذلك التعدد من خلال عينة من مجمل تلك المصطلحات التي تدور في الكتاب.

**المصطلحات:**

**الاسم:**

عندما قسم سيبويه الكلام إلى أقسامه الثلاثة، فقد ذكر الاسم من هذه الأقسام في قوله: فالكلم: اسم، وفعل، وحرف جاء لمعنى، ليس باسم ولا فعل. فالاسم: رجلٌ، وفرسٌ، (وحائطٌ)[1]. لقد ذكر سيبويه الاسم ودلل عليه بأمثلة توقع اللبس في هذا المصطلح منذ البداية؛ لأسباب عدة: فعندما حدد سيبويه الفعل، والحرف، ووضح دلالة كل منها، فقد أفهم القارئ أن ما غاير هذين القسمين فهو من الأسماء.

وعندما ذكر الاسم ومثل عليه فقد أوقع القارئ في اللبس بأن الاسم ما دل عل كائن حي من عاقل، وغير عاقل؛ لأن كلمة(حائط) إضافة لم يثبت وجودها في النسخة الأصل، وقد يُفهم تجاوزاً أن الأمثلة التي ذكرها (رجل، أو فرس) ذُكرت للتمثيل، وليس للحصر، وهذا لا يزيل اللبس الذي تضمنه المصطلح؛ فما موقفه من الموصولات، والضمائر، وأسماء الإشارة، وأسماء الفاعلين، ومن الصفات؟ فهل تعد هذه من الاسم الذي أراده سيبويه؟ فإذا كانت مما أراده سيبويه فلِمَ لم يمثل لها؟ وإذا كانت مما أراده فإن مصطلح الاسم عنده يتعدد وهذا مزلق آخر في المصطلح؛ فإذا كانت الصفة اسماً فلماذا نسميها صفة؟ فهذا تعدد للمصطلح؛ بل إن بعض

---

(1) الكتاب: (ج12/1).

المصطلحات التي يشملها مصطلح الاسم لا تثبت على تسمية واحدة، وإنما تتعدد المصطلحات التي أطلقت عليها، ومثال ذلك اسم الفاعل.

**اسم الفاعل:**

ورد اسم الفاعل عند سيبويه بتسميات عدة في قوله: "هذا باب الفعل الذي يتعدى اسم الفاعل إلى اسم مفعول"[1]، لقد جاء مصطلح اسم الفاعل هنا ضمن مفهوم وليس مصطلحاً مستقلاً، وسأتحدث عن المفاهيم في جزئية منفصلة، وما يهمنا هنا المصطلح، فاسم الفاعل يتكون من تركيب الإضافة، وهذا التركيب يتضمن دلالة الاسمية، والفعلية، ويختزن دلالة الاسم الذي يعمل عمل الفعل، والفعل يتضمن دلالة الفاعل، ولذلك أسماه اسم الفاعل، وما يؤكد هذا

قوله في موطن آخر: "...إذا كان على بناء فاعل، لأنه يريد به ما أراد بفاعل من إيقاع الفعل"[2].

وفي موطن آخر يقول: "لأن المضمر من ضارب هو الفاعل"[3]. ثم إنه يؤكد هذه التسمية الآتية: "ما جرى مجرى الفعل"[4]. وهذا المصطلح مكون من تركيب يصف فيه عمل اسم الفاعل ومماثلة هذا العمل لعمل الفعل، فالتسمية الاصطلاحية مأخوذة من عمل اسم الفاعل، وتلك المماثلة في العمل بينه وبين الفعل، ولذلك وصف العمل، و لم يذكر المصطلح، فإذا كان في اسم الفاعل قد نظر إلى المشترك في

---

(1) المصدر السابق: ج(45/1)، وانظر المرجع نفسه، ج(19/1، 110، 164).

(2) الكتاب: ج(110/1).

(3) المصدر السابق: ج(1/ 189).

(4) المصدر السابق: ج(108/1).

العمل والصفة بين اسم الفاعل والفاعل، فإنه هنا يربطه بالفعل من حيث المماثلة في العمل دون أن يصرح بالمصطلح المقصود، بل شرحه من خلال عمله.

"الاسم الذي جرى مجرى الفعل المضارع في العمل والمعنى"[1]، هنا نجده يشرح، ويوضح بإطالة؛ فقد حدد الفعل الذي يجري اسم الفاعل مجراه، وهو الفعل المضارع، فالمضارع فيه الاستمرارية، ولذلك قال: "في العمل والمعنى"، ونجده يفصل ويطابق بالأمثلة: "وذلك قولك: هذا ضارب زيداً غداً.فمعناه وعمله مثل هذا يضرب زيدا {غدا}.فإذا حدثت عن فعل حين وقوعه غير منقطع كان كذلك..." [2]. فقد قصد من ذلك الحركات والإعراب، والاستمرارية التي يمتاز بها الفعل المضارع، ولا يتوقف تعدد هذا المصطلح عند هذا الحد، بل نجده يسميه تسمية أخرى هي:

"الأسماء التي أخذت من الأفعال"[3]. إن أول إشكالية تواجهنا في هذه التسمية أنها تشير إلى أن الأسماء أخذت من الأفعال، وهذا يعني أن الفعل هو الأصل، وهذا خلاف لما يراه البصريون[4] من أن المصدر هو الأصل، والفعل فرع عليه، واسم الفاعل والمصدر يشتركان في الاسمية، وعلى هذا يكون سيبويه قد ناقض نفسه في ذلك.

---

(1) المصدر السابق: ج(164/1)، انظر المرجع نفسه ج(184/1، 189).

(2) المصدر السابق: ج(164/1)

(3) المصدر السابق: ج(340/1).

(4) الإنصاف في مسائل الخلاف بين النحويين البصريين والكوفيين، أبو البركات الأنباري، تعناية وإشراف محمد محي الدين عبد الحميد، المكتبة العصرية – بيروت، (دون طبعة)/ 1998، ج(235/1– 245).

وفي هذه الأسماء يقول سيبويه: "وذلك قولك: أقائماً وقد قعد الناس، فكأنه لفظ بقوله: أتقوم قائماً...ولكنه حذف استغناء بما يرى من الحال وصار الاسم بدلاً من اللفظ بالفعل، فجرى مجرى المصدر في هذا الموضع"[1]. فالاسم هنا بدلاً من اللفظ بالفعل، أي أنه عمل عمله، فالتسمية الاصطلاحية – إن جاز تسميتها بالمصطلح – مأخوذة من عمل اسم الفاعل المماثل لعمل الفعل.

والخلط في الكتاب بين الاسم، والصفة واضح؛ فلم يتضح مراد سيبويه من تحديد الاسم، ورأى بعض النحاة أن سيبويه لم يحدد الاسم، بل ذكر مثالاً عليه: فأما سيبويه فإنه لم يحده بحد ينفصل به عن غيره، بل ذكر منه مثالاً اكتفى به عن الحد...وكأنه لما حد الفعل والحرف تميز عنده الاسم.... وقد حده أبو بكر محمد بن السري فقال: "الاسم ما دل على معنى مفرد، كأنه قصد الانفصال من الفعل إذ كان الفعل يدل على شيئين الحدث والزمان"[2]، وهذا التفريق ومحاولة تفسير رأي سيبويه لا يحد الاسم إلا من حيث فرقه عن الفعل، وسيبويه يجعل الاسم يعمل عمل الفعل أحياناً فالحد غير فاصل.

ونجد سيبويه يسمي الفعل صفة: "وجاز هذا في الأزمنة، واطرد فيها، كما جاز للفعل أن يكون صفة"[3]. فإذا كانت الصفة اسماً، أو أنها ملازمة للاسم في الملامح، فكيف يكون الفعل صفة؟ وقد أشار( فارنرديم) إلى إشكالية الاسم، والصفة عند سيبويه بقوله: "لا يدل مصطلح صفة في حقيقته إذن على ما يدل مصطلح (adjektiv) وإن جاز ذلك في حالات خاصة، بل يطلق على إتباع

---

(1) الكتاب: ج(**340/1**).

(2) شرح المفصل، موفق الدين بن يعيش، عالم الكتب – بيروت، (دون طبعة وتاريخ)، ج(**22/1**).

(3) الكتاب: ج(**117/3**).

نحوي لكلمة تخصص أخرى تخصيصاً وصفياً، وتطابقها صرفياً (تجري مجراها).وتعد الصفة دائماً – شأنها في ذلك حقيقة – شأن علاقات التبعية العنصـــر الثـــاني في المركب syntagmq النحوي"[1].

وقد ذكر سيبويه الصفة في غير موقع، ففصلها عن الاسم في بعضها،وجعلها مرادفاً للاسم في بعضها الآخر؛ وهذه بعض أقواله في الصفة:

- (لأن الاسم قبل الصفة) [2].

(وعلى ذلك فالموصوف بالصفة في الأصل هو الاسم) [3].

وقال سيبويه: "وأما مضارعته في الصفة فإنك لو قلت: أتاني اليوم قوي...، وألا بارداً، ومررت بجميل، كان ضعيفا"[4].

وقد قصد هنا الصفة، فماذا لو كان جميل هنا اسماً، وكيف نفرق بين جميل الصفة والاسم؟ من هنا نجد أن حد الاسم عند سيبويه غير واضح، وأنه يضطرب في مواطن عدة منها اسم الفاعل، والصفة، والاسم المبهم، وغير ذلك.

**المصدر:**

ذكر سيبويه المصدر بغير تسمية، ومن هذه التسميات:

---

(1) **الاسم والصفة في النحو العربي، فارنر ديم، ترجمة، محمود أبو نحلة، دار المعرفة الجامعية، (د.ت ط)، ص(93).**

(2) **الكتاب: ج(21/1).**

(3) **المصدر السابق: ج(221/1).**

(4) **المصدر السابق: ج(21/1).**

أحداث الأسماء[1]، اسم الحدثان[2]، المحدَّث به عن الأسماء[3]، المصدر[4]، ما جرى مجرى الفعل المضارع في عمله ومعناه[5].

نلاحظ أن المصطلحين (أحداث الأسماء، واسم الحدثان) يتكونان من تركيب الإضافة والأول منهما (أحداث الأسماء) ذكره سيبويه في حديثه عن أقسام الكلام، وأن الفعل مأخوذ من المصدر في قوله: "فهذه الأمثلة أُخدت من لفظ أحداث الأسماء... والأحداث نحو الضرب والحمد والقتل"[6]. أي أن المصدر اسم يتضمن دلالة الحدث. وقد أراد سيبويه هاتين التسميتين؛ ليفرق بهما بين المصدر والفعل، ويؤكد أن المصدر حدث ينقصه الزمن، وهو في الوقت نفسه اسم يتضمن دلالة الحدث.

أما مصطلح المصدر، فهو مختصر، وواضح تنطبق عليه سمات المصطلح، التي ذكرها محمود فهمي حجازي، فمن سمات المصطلح عنده "أن يكون لفظاً، أو تركيباً"[7]، وهنا نجد أن المصطلح عند سيبويه لم يستقر، فقد سماه سابقاً (أحداث الأسماء، واسم الحدثان)، وهنا يسميه المصدر في قوله: "واعلم أن المصدر قد...." [8]وهنا بناء على ترتيب أبواب الكتاب نرى أن هذا المصطلح قد تطور بشكل تلقائي وعفوي عند سيبويه، دون قصد؛ وذلك لكثرة دوران المفاهيم السابقة،

---

(1) المصدر السابق: ج (1/ 12)

(2) المصدر السابق: ج(34/1).

(3) المصدر السابق: ج(34/1).

(4) المصدر السابق: ج(124/1، 125، 131، 132، 189، 190).

(5) المصدر السابق: ج(1/ 189).

(6) المصدر السابق: ج(12/1).

(7) الأسس اللغوية لعلم المصطلح، محمود فهمي حجازي، دار غريب، (د.ت ط)، ص(15).

(8) الكتاب: ج(124/1)، انظر المرجع نفسه، ج(125/1، 131، 132، 189، 190).

واستقرارها في ذهن القارئ، أو المتكلم (أعني بالمتكلم سيبويه)، والاستقرار هنا ليس للمفاهيم السابقة بل للهدف الذي يريده منها، وهو أن المصدر هو الأصل.

ومصطلح المصدر يدل صراحة على أنه هو الأصل الذي يصدر عنه الفعل، غير أن سيبويه يعود للخلط فيطلق على المصدر "هذا باب من المصادر جرى مجرى الفعل في عمله ومعناه" [1] فهو هنا يطلق مفهوما وليس مصطلحا، والدافع وراء ذلك هو توضيح، وإظهار عمل المصدر. ومن هنا يتبين أن مصطلح المصدر قد اضطرب بين المصطلح، والمفهوم، وأن الدوافع وراء تعدد هذا المصطلح وتغيره هي محاولة تحديد المصدر، وإظهار الفارق بين المصدر والفعل، والفارق بين المصدر والاسم، وإظهار أن المصدر هو الأصل، والفعل فرع عليه، وإظهار عمل المصدر ومماثلته لعمل الفعل. ولذلك فإن المصطلح عند سيبويه يتعدد بتعدد الهدف من ورائه،أو الوظيفة التي يؤديها.

**المفعول المطلق:**

(و لم يعرف عند سيبويه بهذه التسمية)

ورد هذا المصطلح عند سيبويه بغير تسمية، ولكن لم يرد عنده مصطلح (المفعول المطلق).

وتسميات سيبويه هي: المصدر[2]، التوكيد[3]، المصادر التي عملت فيها أفعالها[4]، المفعول[1].

---

(1) المصدر السابق: ج(**189/1**).

(2) الكتاب: ج(**1/ 228**).

(3) المصدر السابق: ج(**229/1، 231، 233**).

(4) المصدر السابق: ج(**1/ 230**).

قال سيبويه: "هذا باب ما يكون من المصادر مفعولا ... وإنما يجيء ذلك على أن تبين أي فعل فعلت، أو توكيداً "[2]. عندما سماه سيبويه مفعولاً فقد نظر إلى موقعه وترتيبه في الجملة، من حيث العامل، والمعمول، وعندما سماه توكيداً فقد نظر إلى المعنى، الذي يتضمنه، والدلالة التي يفيدها، ولذلك اختلف الاصطلاح.

ويلاحظ أن هذه المصطلحات قد وردت بشكل مفردات في مفهوم، أو أنها شرح وتوضيح للمفهوم.

**العطف:**

لقد أطلق سيبويه على العطف غير تسمية، ومما أطلقه: العطف[3]، الاشتراك[4]، الإشراك[5]. وأطلق على المعطوف: (المعطوف)[6]، و(ما يشرك)[7]، نلاحظ هنا أن هذه المصطلحات قد جاءت ألفاظاً مختصرة، فالعطف مصطلح أراد به سيبويه حرف العطف، وما بعده (أي المعطوف)، فقد قصد من ذلك الترتيب الذي تكون عليه الجملة، إضافة إلى الإعراب. أما الاشتراك فقد أراد سيبويه إظهار المعنى، أو الدلالة التي يفيدها هذا التركيب.

---

(1) المصدر السابق: ج(1/ 228).
(2) المصدر السابق: ج(1/ 228-229).
(3) المصدر السابق: ج(1/ 90).
(4) المصدر السابق: ج(1/ 60، 67، 150).
(5) المصدر السابق: ج(107/1).
(6) المصدر السابق: ج(139/1، 246).
(7) المصدر السابق: ج(148/1).

وهو اشتراك جزئي التركيب في العمل، والملامح. وقد جاء هذا التركيب مصدراً معرفاً بأل؛ فهو مصدر (اشترك) – اشتراك – الاشتراك، أما الإشراك فهو يحمل الدلالة السابقة نفسها، غير أنه مصدر للفعل (أشرك)، فالمصطلح مأخوذ هنا من تعدد الدلالة، ومن المصدر المتعدد بتعدد الفعل، وهذه المصادر دالة على ما يتضمنه العطف من دلالة؛ فكلها مصطلحات دالة على تماثل الملامح في جزئي التركيب، وذلك من حيث نوع الجزأين من الكلام اسم، أو فعل، وانسجام الفعل مع الفعل من حيث الزمن، والاسم مع الاسم من حيث الحالة الإعرابية، وغير ذلك من هذه الملامح.

وتعدد هذه المصطلحات دال على اتساع اللغة، ووجود البدائل، ولكنه دال أيضاً على قلق المصطلح، وعدم استقراره عند سيبويه، وعلى تعدد الأسباب، والدوافع لاختيار المصطلح وتعدده، وهذا ينفي أي معيارية عند سيبويه في اختيار المصطلح، واستعماله، أو أن هذه المعيارية عنده مرنة لا تحدها حدود، بل تجري وراء الهدف من استعمال المصطلح، أو أنها طبيعة اشتقاقه، وهذا يؤدي إلى قلق المصطلح، وعدم استقراره، بل إن هذا يدل على العشوائية في وضع المصطلح، واستعماله، إذ المسيطر على سيبويه هو تقديم المعنى النحوي، والألفاظ عنده خدم للمعاني، وقد يكون ذلك أمراً طبيعياً؛ إذ الكتاب بداية لتدوين هذا العلم، إضافة إلى أنه يعتمد على المسموع، والشائع من المفردات.

**الحال:**

ورد مصطلح الحال عند سيبويه بمفاهيم متعـــددة: الحـــال[1]، الصـــفة[4]، الموقوع فيه الأمر[5] حال وقع فيه الأمر[6]، حال وقع فيه الفعل[7]، جواب (جواب لقوله: كيف لقيته؟)[8].

هذه مجموعة من المصطلحات التي وردت عند سيبويه في إطار مفاهيم عدة، ويكفي القارئ هذا التعدد ليكون على يقين من اضطراب المصطلح وقلقه.

إن المتتبع لهذه المصطلحات يجد أنها تعددت بتعدد الأبواب التي وردت فيها، ولذلك فإن المعنى هو الذي يحكم سيبويه ليجعله يطلق هـــذا المصـــطلح بأسمائـــه المتعددة. وقد اشار القوزي إلى هذا بقوله: "وهكذا نجد سيبويه يهتم بالعلاقة بـــين الاصطلاح والمعنى الذي يختاره له"[2]، أي أن المعنى هو الذي يجعل المصـــطلح في تغير، وتعدد، وقلق دائم. إن هذه المصطلحات لم تأت ألفاظا منفصلة، بل جاءت ضمن مفاهيم تشرح الباب الذي يريده سيبويه وتوضحه لإظهار المعنى المتضمن في ذلك الباب، ولذلك فهي مصطلحات على التجوز والاتساع. وقد وردت هـــذه المصطلحات في إطار المفاهيم الآتية:

- الحال: قال سيبويه: "هذا باب ما يعمل فيه الفعل، فينتصب وهو حال وقع فيه الفعل وليس بمفعول"[3].

---

(1) **الكتاب: ج(44/1، 45، 155، 227، 351، 360، 370، 376، 377، 395، 396).**

(2) **المصطلح النحوي – نشأته وتطوره حتى أواخر القرن الثالث الهجري، عوض القوزي، جامعة الرياض، ط1/ 1981، ص(139).**

(3) **الكتاب: ج(44/1)، انظر المرجع نفسه، ج(376/1، 384، 395).**

– الصفة: قال سيبويه: "هذا باب ما ينتصب فيه الصفة لأنه حال وقع فيه الألف واللام"[(1)] ونجد سيبويه يشرح، ويوضح ويمثل لهذه المفاهيم؛ لأنه يعي تقصيرها عن الإفهام المباشر؛ ولأنها لا تحمل ملامح المصطلح. وفي قوله: " جواب لقوله كيف لقيته؟"[(2)]، محاولة لتحديد المعنى المباشر للحال، أي أن تفسير المفهوم لا يتعدد عنده، وهذا دليل على عدم استقرار المصطلح، بل دليل على عدم وجوده أصلا.

ولقد جرى سيبويه وراء المعنى، فتعدد المفهوم لديه، أو المصطلح (مجازاً)، مما يجعله يسمي الحال خبراً في قوله: "هذا باب ما ينتصب لأنه خبر للمعروف المبني على ما هو قبله من الأسماء المهمة ... هذا عبد الله منطلقا[(3)]" لقد دفعه البحث عن الخبر في هذه الجملة إلى جعل الحال خبراً مع ازدواجية الاصطلاح بين الخبر، والحال، وازدواجية الرأي في الإعراب، فالخبر مرفوع إلا أنه هنا ارتضى أن يسمي الحال خبراً، وهو خبر منصوب، وما الدافع وراء هذا الاضطراب إلا الجري وراء المعنى، الذي يفسر التركيب. وقد نبقي (منطلقاً) ضمن الاصطلاح الذي يناسبها، أي أنها حال، وذلك بتقدير هذا عبدالله أراه منطلقا، أو أجده منطلقاً. وقد يكون الدافع من وراء تسمية سيبويه للحال خبرا وظيفة كل منهما، فالحال تخبر عن حال صاحبها، وكذلك الخبر فهو يخبر عن المسند إليه(المبتدأ).

---

(1) المصدر السابق: ج(397/1)، انظر المرجع نفسه، ج(400/1).

(2) المصدر السابق: ج(372/1).

(3) المصدر السابق: ج(2/ 77– 78).

**الخبر:**

ورد الخبر بغير تسمية عند سيبويه، وقد جاءت مصطلحات الخبر تبعاً للمعنى، الذي يفيده في التركيب، أو لموقعه في التركيب، أو لنوعه. وهذه الاصطلاحات هي:

الخبر[1]، المسند[2]، المبني على المبتدأ[3]، المستقر[4].

ورد مصطلح الخبر عند سيبويه ضمن سياق الحديث عن كان وأخواتها[5]، ولم يرد عنواناً منفصلاً، ولكنه ورد عنوناً بصورة، أو اصطلاح آخر في قوله: "هذا باب المسند والمسند إليه"[6]، فالخبر هنا هو المسند تبعاً لموقعه في التركيب، ودلالته على المعنى. وفي حديثه عن الخبر شبه الجملة يقول: "ما كان فيها أحد خير منك، وما كان أحد مثلك فيها، وليس أحد فيها خير منك، إذا جعلت فيها مستقراً"[7]. وقال ابن يعيش مشيراً إلى ذلك: "إذا قلت زيد في الدار معناه استقر فيها"[8]، أي أن مصطلح (المستقر) عند سيبويه مرتبط بدلالته ونوعه، فهو لا يصلح إلا في مثل هذا النوع من الخبر، ولذلك فقد تعدد المصطلح؛ تبعاً للموضوع الذي يعالجه سيبويه وما يجده سيبويه أنه يعبر عن هذا المعنى يستعمله دون التزام بالمصطلح

(1) الكتاب: ج(1/ 45، 48، 327).
(2) المصدر السابق: ج(23/1).
(3) المصدر السابق: ج(23/1، 88، 106، 236، 313، 315).
(4) المصدر السابق: ج(1/ 55، 56).
(5) المصدر السابق: ج(1/ 45، 48).
(6) المصدر السابق: ج(23/1).
(7) المصدر السابق: ج(1/ 55).
(8) شرح المفصل: ابن يعيش، ج(91/1).

الأعم، أو الأكثر دوراناً في الكلام. وبما أن هذه المصطلحات ترد ضمن مفهوم وليست لفظا مستقلا، ولا هي تركيب مختصر فقد ابتعدت عن سمات المصطلح، فهي مفاهيم تقوم على التركيب الإسنادي الذي يعقبه الشرح، والتوضيح، والتمثيل بالأدلة.

**المضارع :**

ورد مفهوم الفعل المضارع بتسميات عدة :

المضارع[1]، ما هو كائن لم ينقطع[2]، ما لم يمض[3].

عندما تحدث سيبويه عن أقسام الكلم قال في حديثه عن الفعل: "وأما الفعل فأمثلة أُخذت من لفظ أحداث الأسماء، وبنيت لما مضى، ولما يكون، لم يقع، وما هو كائن لم ينقطع"[4]. فعبر عن المضار (بما هو كائن لم ينقطع)، وهنا ينطلق سيبويه في تحديد المضارع بهذا المفهوم من منطلق الزمن – أما مصطلح (المضارع)، فقد ورد عند سيبويه بقوله: "والنصب في المضارع من الأفعال... والجزم: لم يفعلْ. وليس في الأفعال المضارعة جر كما أنه ليس في الأسماء جزم؛ لأن المجرور داخل في المضاف إليه معاقب للتنوين، وليس ذلك في هذه الأفعال، وإنما ضارعت أسماء الفاعلين، أنك تقول: إن عبد الله ليفعل، فيوافق قولك الفاعل"[5]. واضح من كلام كلام سيبويه أنه أطلق مصطلح (المضارع)؛ لوجود المقاربة بين الاسم والفعل

(1) الكتاب: ج(14/1، 16، 17، 19، 20).
(2) المصدر السابق: ج(12/1).
(3) المصدر السابق: ج(35/1).
(4) المصدر السابق: ج(12/1).
(5) المصدر السابق: ج(12/1)

المضارع في بعض حالات الإعراب، فالاشتراك واقع في حالتي النصب والرفع، وكذلك وجود مقاربة المعنى والعمل بين المضارع واسم الفاعل، يتضح مما سبق أن تشابه الحالات الإعرابية بين المضارع والاسم هو السبب في إطلاق مصطلح (المضارع)، إضافة إلى سبب آخر هو التشابه بين عمل المضارع واسم الفاعل.

**الحذف:**

يقتصر الحديث في هذه الجزئية على تعدد مصطلحات الحذف في الفعل دون الاسم، وهي على النحو الآتي:

حذف الفعل[1]، ترك الفعل[2]، الفعل المتروك إظهاره[3]، إضمار الفعل[4]، الفعل المضمر[5]، اختزال الفعل[6].

هذه مجموعة من المفاهيم التي تدور حول مضمون واحد هو حذف الفعل. يقوم بناء هذه المفاهيم على تركيب الإضافة باستثناء مفهوم (الفعل المتروك إظهاره. فإنه تركيب يقوم على الإخبار والوصف. ويتكون الجزء الأول من تراكيب الإضافة التي شكلت المصطلحات من المصادر(حذف، ترك، إضمار، اختزال)، وهذه المصطلحات لم ترد بصورتها هذه منفصلة في العنوانات بل وردت في البداية في مفاهيم مطولة منها: "ما ينتصب على إضمار الفعل المتروك إظهاره"[7].

---

[1] الكتاب: ج (274/1، 275، 283، 291، 294، 348).

[2] المصدر السابق: ج(280/1، 281).

[3] المصدر السابق: ج(348/1، 355).

[4] المصدر السابق: ج(270/1، 271، 282، 348، 355، 356، 357، 359).

[5] المصدر السابق: ج(294/1).

[6] المصدر السابق: ج(312/1، 315، 317، 319).

[7] المصدر السابق: ج(273/1، 290، 311، 318، 335، 348).

وفي الشرح والتعليق وردت هذه التراكيب وتعددت مغـــايرة مـــا ورد في المفهوم (العنوان) مما يدل على عدم الثبات على المصطلح الذي يـــرد في المفهـــوم، وهذا القلق والتعدد ينسحب على أبواب الجزء الأول من الكتاب كلها، مما يـــدل صراحة على عدم وضوح المصطلح، وهذا يؤدي إلى اضطراب المصطلح، وعـــدم رسوخه. ومع هذا الاضطراب لا ننكر ظهور ملامح المصطلح في هذه المفاهيم مما ساعد اللاحقين على الوصول إلى المصطلح واستقراره نسبياً.

**المفعول لأجله:**

وشأن هذا المصطلح شأن غيره من المصطلحات من حيث التعدد والقلـــق وعدم الاستقرار، وقد جاء تعدده على النحو الآتي: العذر، ما انتصب من المصادر لأنه عذر لوقوع الأمر [1]، التفسير: لأنه تفسير لما قبله لِمَ كان[2]، الموقوع لـــه : فانتصب لأنه موقوع له [3].

المفعول له: فهذا كله ينتصب لأنه مفعول له [4]، جواب له[5].

هذه مجموعة من المصطلحات التي وردت في مفهومات تصف مـــا عُـــرف لاحقاً بمصطلح (المفعول لأجله)، ويظهر من هذه المصطلحات أن المفعول لأجلـــه هو المصطلح الذي استقر لاحقاً؛ للدلالة على هذه المفاهيم، ولم يرد عند ســـيبويه، وهذه المصطلحات غير واضحة بذاتها، ويأتي وضوحها من المفاهيم الـــتي جـــاءت شارحة وواصفة للمصطلح في إطارها، وهذه طريقة من طرق إيراد المصطلح عند

---

(1) المصدر السابق : ج(367/1).
(2) المصدر السابق: ج(367/1).
(3) المصدر السابق: ج(367/1).
(4) الكتاب: ج(369/1).
(5) المصدر السابق: ج(372/1).

سيبويه، فقد جاء مصطلحه في إطار المفهوم، والمفهوم يشرح، أو يصف، أو أنــه يشرح ويصف؛ لتتضح فحوى المصطلح المراد، بل إنه كان يعقب ذلك الشــرح والوصف بالأمثلة عندما يقول بعد ذكر المفهوم : "وذلك قولك..." [1].

ومع أن عبارة سيبويه لم تحدد هذا المصطلح بما استقر عليه لاحقاً إلا أنه ألمح إلى هذا المصطلح في قوله: "وفعلت ذلك أجل كذا" [2]، وهذا مــا تكــرر عنــد سيبويه في حديثه عن الاشتغال في قوله[3]: (زيداً أضربه، وأضربه مشغولة بالهاء)، فقد ألمح إلى مصطلح الاشتغال، ولكنه لم يورده مصطلحا محدداً، بل أورد ملامحه في إطار المفهوم.

**وقفة مع مصطلحات سيبويه:**

كتاب سيبويه هو المصنف الأول الذي وصلنا في النحو العربي، وقد تكون بعض مصطلحاته (مفاهيمه)، أو أكثرها قد وردت عند من سبقه من العلماء إلا أن الكتاب يعد هو الشاهد المدون، وهو المرحلة الأولى التي انطلق منها النحو العربي، ولذلك فمن الأولى أن نتعامل مع مصطلحات سيبويه على أنها خاصة به، وليس كما قسمها عوض القوزي عندما جعل قسما منها خاصاً بالخليل معتمداً على ما ورد في (العين)، وعلى نسبة سيبويه في الكتاب عندما كان يقول: (قال الخليل، أو زعم الخليل)لأننا لا نستطيع الجزم بأن سيبويه قد نقل كلام الخليل نصاً، بل قــد تكون الرواية بالمعنى.

---

(1) المصدر السابق: ج(**367/1، 370**).

(2) المصدر السابق: ج(**369/1**).

(3) المصدر السابق: ج(**144/1**)، انظر المرجع نفسه، ج(**81/1**).

إن المتتبع لمصطلحات سيبويه يجد أنها لا تمثل فكرة المصطلح الواضحة المستقرة، بل جاءت مصطلحاته ضمن (مفاهيم) تشرح الفكرة، أو الموضوع الذي يريد عرضه، وقد يرد المصطلح منفردا في العرض للموضوع، ولكن وروده لا يمثل مصطلحاً بالمفهوم الدقيق للمصطلح، بل هو لفظ مرتبط بالمفهوم الذي بدأ الموضوع به. وقد لا ينطبق هذا على مصطلحات سيبويه كلها؛ فقد نجد مصطلحا يرد في العرض ويقصد به المصطلح بالمعنى الدقيق كما جاء في مصطلحات المفعول لأجله، ولكن هذا يظهر في القليل النادر من مصطلحاته، وحتى هذا القليل النادر فإنه يخرج من إطار المصطلح عندما تطلق عليه عدة مصطلحات، أي أنه لم يتدرج في عرض الموضوع ملتزما بالمصطلح نفسه، بل يتعدد المصطلح، وهذا يخالف مفهوم المصطلح، وسماته التي يجب الالتزام بها.

إن ما ظهر عند سيبويه، لا يخرج عن كونه مجموعة من المفاهيم تتضمن في إطارها فكرة المصطلح ونواته، وهذا ينسجم مع المرحلة الزمنية لكتاب سيبويه، فهو يمثل مرحلة البدايات في التأليف بشكل عام، والمرحلة الأولى في التدوين في النحو العربي، وهذا ينسجم مع ما يراه (هادي نهر) بأن: "المصطلح لا يوجد إلا بعد التفكير فيه؛ والتفكير في المصطلح إنما يبنى في الغالب حين يستقر التفكير في المفهوم، أو الموضوع المعين، فإذا أريد تسمية ذلك الشيء، أو عنونته أطلق المصطلح بوصفه خطوة تعقب المفهوم" [1].

ومن غير المعقول أن نطالب سيبويه، أو نتوقع منه أن يقدم مصطلحاً واضحا ومستقراً إضافة إلى أنه كان متمسكاً بالمعنى، أي الفكرة التي يريد توصيلها، فكان

---

[1] **المصطلح اللغوي عند ابن جني من خلال الخصائص، هادي نهر، بحث مقدم في مؤتمر النقد الأدبي في جامعة اليرموك، 1994.**

يتتبع ذلك المعنى وينقله بما اختزن من مفردات يرى فيها تقارب المعنى وإن تغايرت وتعددت.

إن المتتبع للعنوانات في الجزء الأول من كتاب سيبويه، يجد أنها لم تخرج عن كونها مجموعة من المفاهيم، و لم يتضح فيها المصطلح بالمعنى المنشود، فقد ورد في الجزء الأول ما يزيد على مائة عنوان، وقد أوردها سيبويه بصورة مفاهيم تتضمن في إطارها ملمح المصطلح ولكن الغالب عليها الشرح والوصف، و لم يرتق من هذه العنوانات إلى مستوى المصطلح إلا القليل ومثاله: (الأمر والنهي) [1]، و(الجر) [2] مع أنه يشير إلى الجر بغير مسمى.

وبوجود هذا القليل الذي يرتقي إلى مستوى المصطلح إلا أنني أخلص في النهاية إلى عدم وجود المصطلح عند سيبويه؛ وذلك بالنظر إلى الكم الوفير الذي أورده من المفاهيم، إضافة إلى تعدد مسميات، أو صور المفهوم، وقلقها، وعدم استقرارها في أبواب الكتاب.

ومع أن سيبويه لم يضع المصطلحات محددة مقننة كما استقرت عليه لاحقاً، إلا أن المفاهيم التي أوردها كانت تحمل نواة المصطلح، أو الملامح الأولى للمصطلح؛ فعلى سبيل المثال لا الحصر أذكر بعض المفاهيم التي كانت قاعدة للمصطلح لاحقاً:

يقول سيبويه: "باب الفاعلين والمفعولين اللذين كلّ واحد منهما يفعل بفاعله مثل الذي يفعله به" [3] وهو يقصد التنازع. وفي موطن آخر يقول: "هذا باب ما

---

(1) الكتاب: ج(237/1).

(2) الكتاب: ج(419/1).

(3) المصدر السابق: ج(73/1).

ينتصب من المصادر لأنه عذر لوقوع الأمر"[1] والمراد هنا هو المفعول لأجله. وقوله أيضاً: "هذا باب ما ينتصب من المصادر لأنه موقوع فيه الأمر"[2]. ولكي يكون القارئ في صورة أوضح عن المصطلحات وتعددها عند سيبويه، فقد رصدنا مصطلحات الجزء الأول من الكتاب، وسنوردها مرتبة متسلسلة، وفق تدرجها في أبواب الكتاب دون أن ندعي الكمال في رصدها.

**مصطلحات الكتاب في الجزء الأول:**

| المصطلح | الصفحة | المصطلح | الصفحة |
|---|---|---|---|
| 1- اسم | 12، 14، 15، 20، 23، 94 | 14- الجزم | 13، 14، 19، 21، 23، 134 |
| 2- فعل | 12، 17 | 15- الفتح | 13، 15 |
| 3- حرف | 12، 38، 92، 106، 254 | 16- الضم | 13، 15 |
| 4- المضارع: | 14، 16، 17، 19، 20 | 17- الكسر | 13، 15، 18 |
| - ما هو كائن لم ينقطع | 12 | 18- الوقف | 15 |
| - ما ضارعت أسماء الفاعلين | 14 | 19- السكون | 18، 20، 21 |

(1) المصدر السابق: ج(**367/1**).

(2) المصدر السابق: ج(**370/1**).

| - ما لم يمضِ | 35 | 20- العامل: | 13 |
|---|---|---|---|
| 5- المتعدي | 33،37 | - الرافع | 259 |
| 6- المصدر: | 124، 125، 131، 132، 189، 190 | - الناصب | 259 |
| - أحداث الأسماء | 12 | - الجار | 263، 321 |
| - ما جرى مجرى الفعل المضارع في عمله ومعناه | 189 | - الإعمال | 82 |
| 7- الماضي(و لم يرد هذا المصطلح بهذه الصيغة) ما مضى | 12، 35 | 21- الإعراب | 13، 18، 19، 20، 98، 200، 206 |
| 8- الأمر: | 137، 138، 144 | 22- البناء | 13، 17، 19، 21 |
| - ما يكون و لم يقع | 12 | 23- التنوين | 14، 18، 20، 22، 175، 182، 324 |
| 9- القسم: | 12 | 24- المضاف إليه: | 14، 199، 200، 206 |
| 10- لام الإضافة | 12 | - الإضافة | 38، 182، 194، 348 |
| 11- النصب | 13، 14، 18، 19، 20، 82، 90 | 25- المعرفة: | 14، 15، 22، 108، 324، 340 |

| 12- الرفع | 13، 17، 23، 82، 90 | – ما كان فيه الألف واللام | 335 |
|---|---|---|---|
| 13- الجر | 13، 14، 17، 18، 20، 94، 158 | 26- الفاعل | 14، 33، 103، 153، 157 |

| 27- اسم الفاعل: | 14، 45، 108، 109، 110، 164 | 33- المبتدأ: | 24، 90، 91، 92، 93، 97، 149، 348 |
|---|---|---|---|
| – الأسماء التي أُخذت من الأفعال | 340 | – الابتداء | 23، 24، 90، 97، 128، 186، 366 |
| – ما جرى مجرى الفعل | 108 | – المسند إليه | 23 |
| – الذي جرى مجرى الفعل المضارع في العمل و المعنى | 164 | 34- اسم المفعول | 45 |
| – الاسم الذي جرى مجرى الفعل المضارع | 184، 189 | 35- نائب الفاعل (و لم يرد بهذا لاصطلاح): | |
| 28- العوض | 18 | – المفعول الذي تعداه فعله إلى مفعول | 33، 34، 41، 42، 149 |

| | | | |
|---|---|---|---|
| 29- الحركة | 19، 20، 23 | 36- اشتقاق: - اشتق | 35 |
| 30- الحذف: | 19، 23، 29، 274، 275، 283، 348 | 37- المبهم | 35 |
| - ترك الفعل | 280، 281 | 38- الحال: | 44، 45، 155، 227، 321، 360، 370 |
| - إضمار الفعل | 282، 355، 356، 357، 359، 348 | - الصفة | 44 |
| - اختزال الفعل | 312 | - جواب (جواب لقوله: كيف لقيته؟) | 372 |
| - المضمر | 294 | - الموقوع فيه | 370 |
| 31- الصفة: | 21، 22، 48، 194، 203، 328، 432 | 39- تصرُّف: | 46، 322 |
| - تحلية | 361، 362 | - متصرِّف | 226 |
| 32- النكرة: | 21، 22، 48، 54، 108، 330، 360، 422، 440 | 40- الضمير (ولم يرد هذا المصطلح بهذه الهيئة): | |

| – حذف الفعل | 274، 275، 283، 291، 294، 348 | – ما ترك صرفه | 324 |
|---|---|---|---|
| – ترك الفعل | 280، 281 | – ترك التنوين | 324 |
| – الفعل المتروك إظهاره | 348، 355 | 67- المنصرف | 23 |
| – إضمار الفعل | 282، 348، 355، 356، 357، 359 | 68- المدّ | 17، 18 |
| – الفعل المضمر | 294 | 69- اللِّين | 17، 18 |
| – اختزال الفعل | 312، 315، 317، 319 | 70- الحركة | 19، 23 |
| 65-الدعاء: | | | |
| – الدُّعاء | 318، 330 | | |
| – المصادر المدعو بها | 318 | | |

**الخلاصة والنتائج:**

بعد رصد مصطاحات سيبويه، ومرادفاتها، ومفاهيمها، فقد توصل البحث إلى جملة من النتائج وهي:

- جاءت معظم موضوعات الجزء الأول من الكتاب إن لم تكن كلها في النحو، ولذلك فقد جاءت مصطلحاته (مفاهيمه)، في النحو أيضاً تبعاً لطبيعة الموضوعات.
- ندرة المصطلحات الصوتية، والصرفية في هذا الجزء.

- يمكن القول إنّ سيبويه لم يصل في عمله إلى وضع المصطلح، بل انطلق في الكتاب من خلال المفاهيم.
- المفاهيم التي جاءت عند سيبويه بديلاً للمصطلحات لم ترتق إلى مستوى المفهوم بالمعنى الدقيق الذي نقصده في الحاضر، بل جاءت عنوانات تصف، وتشرح، ولذلك فهي مفاهيم على الاتساع، وليس على المعنى الدقيق للمفهوم .
- لم تستقر المفاهيم عند سيبويه، بل جاءت قلقه، وذلك واضح في تعدد المفاهيم الدالة على مفهوم واحد.
- هذا القلق في المفاهيم كان نتيجة حتمية للقلق والاضطراب في أبواب الكتاب، فقد يورد سيبويه الموضوع في غير باب، ويعالجه بعنوانات أو مفاهيم متعددة.
- لا تخلو مفاهيم سيبويه، وعنواناته من وجود الملامح الأولى للمصطلح النحوي.
- كان المعنى وتتبعه، والبحث عنه سبباً رئيساً من أسباب قلق المفاهيم عند سيبويه؛ فقد كان هدفه الأول عرض الموضع، وإيصال المعنى الذي يريد دون اهتمام بالمصطلحات وثباتها.

وبعد، فهذا عمل إنساني لا يُنزَّه عن الخطأ، فتلك طبيعة البشر.

**والله ولي التوفيق**

المصادر والمراجع :


1- الأسس اللغوية لعلم المصطلح، محمود فهمي حجازي، دار غريب، (د ت ط).

2- الاسم والصفة في النحو العربي، فارنر ديم، ترجمه محمود أحمد نحلة، دار المعرفة الجامعية، 1994 م.

3- التعريفات، علي بن محمد الجرجاني، دار الكتب، بيروت 1983م

4- حوليات الجامعة التونسية،1983م، بحث بعنوان ملاحظات حول مصطلحات الكتاب لسيبويه، محمد رشاد الحمزاوي.

5- شرح المفصل، موفق الدين يعيش،عالم الكتب – بيروت.

6- الكتاب، سيبويه، أبو بشر عمرو بن عثمان بن قنبر، دار الكتب، ط1983/3.

7- مدخل إلى علم المصطلح، إدريس نقوري، ط1/ 1997م.

8- المصطلح اللغوي عند ابن جني من خلال الخصائص، هادي نهر، بحث قُدِّم في مؤتمر النقد الأدبي في جامعة اليرموك 1994م.

9- المصطلح النحوي نشأته وتطوره حتى أواخر القرن الثالث الهجري، عوض القوزي، جامعة الرياض، ط1/ 1981م.

10- المعجم الوسيط، إبراهيم أنيس وآخرون، ط2، مادة صلح.

11- الإنصاف في مسائل الخلاف بين البصريين والكوفيين، كمال الدين أبي البركات الأنباري تأليف محي الدين عبد الحميد، المكتبة العصرية، صيدا – بيروت، 1998.


***

# المصطلح البلاغي في مؤلفات القدماء والمحدثين

-----

إعداد الأستاذة فوزيـــة قمقام – جامعة الأغواط – الجزائر

**ملخص البحث:**

نشأت المصطلحات خدمة للعلوم والحياة والفكر إذ لا يمكن فهم أي حقل من حقول العلم والمعرفة ما لم يتم التعرف على مصطلحاته واستيعاب مدلولاتها، وقد أدرك المفكرون العرب منذ القديم أهمية المصطلح لكونه أداة من أدوات البحث العلمي ورمزا من رموز التقدم، وبذلك ظهرت المصطلحات البلاغية متأثرة بعوامل عديدة منتهلة من مصدرين ، أولهما : الموروث العلمي المتمثل في الثقافة العربية من النتاج الأدبي والقرآن الكريم والحديث النبوي، وآخرهما : الوافد من ثقافات الأمم الأخرى بعد الفتح الإسلامي، اعتنى المفكرون المحدثون بالمصطلح البلاغي عناية خاصة تتجلى في إنشائهم للمجامع اللغوية التي تعنى به، وتألفيهم المعجمات والكتب، ونشر البحوث وغير ذلك، إذ شعروا بأهميته التي غدت عنوانا لحضارة الأمم ورمزا لمسايرة التطور السريع في مجالات الحياة .

تعتبر المصطلحات مفاتيح العلوم والمتأمل للمصطلحات البلاغية يلحظ كثرتها بصورة ملفتة للانتباه إذا ما قورنت بمصطلحات علوم العربية الأخرى كالنحو والصرف مثلا بالرغم من أنها أقدم نشأة وأكثر أبوابا والمؤلفات فيهما أكثر من المؤلفات في البلاغة.

**1 – مفهوم المصطلح** : قبل الشروع بالحديث عن المصطلح البلاغي لا بد من تذكرة بما يعنيه لفظ المصطلح معجمياً

فالمصطلح كلمة مشتقة من الأصل اللغوي الثلاثي (صلح وصلُح) وهو من باب منع وكرم ومن معانيه ضد الفساد ، والاتفاق تصالح القوم واصطلحوا أي اتفقوا على صلح[i] وجاء في التتريل قوله تعالى : وإن طائفتان من المؤمنين اقتتلوا فأصلحوا بينهما

(الحجرات: 09 )

ومن هذه المعاني استمد العلماء اصطلاحاتهم على تعريف اللفظ (الاصطلاح) أو (المصطلح) بأنه: " اتفاق قوم على تسمية الشيء باسم ما ينقل عن موضعه الأول"[ii]، وقيل الاصطلاح هو إخراج اللفظ من معنى لغوي إلى آخر لمناسبة بينهما، وقيل: "اتفاق طائفة على وضع اللفظ بازاء المعنى"[iii] أوهو: " اتفاق طائفة مخصوصة على وضع الشيء"[iv] ، أو انه "اتفاق طائفة مخصوصة على أمر مخصوص"[v] وكل هذه التعريفات انبثقت من الدلالة اللغوية المشيرة إلى الاتفاق ولذلك فالمصطلح هو كلمة أو أكثر اتفق مجموعة من العلماء على إطلاقها على معنى خاص لوجود مناسبة بينه وبين المعنى اللغوي ولكل علم من العلوم مصطلحاته الخاصة اتفق العلماء على تسميتها وعلى دلالتها .

ولهذا يعتبر المصطلح هو الناقل للفكر من مستوى الأدب إلى مستوى العلم ومن مخاطبة العامة إلى مخاطبة الخاصة، ومن الثقافة الشعبية إلى تخصص الصفوة[vi]فهو يتسم بالخصوصية والدقة مقارنة بالمعنى المعجمي له الذي يتصف بالشمولية[vii] .

والمصطلح وليد الحاجة فهو لا يتكون إلا عندما يشعر الناس بالحاجة إليه، ولا يشعر أحد بالحاجة إليه إلا عندما يفكر بمدلوله فيضطر إلى البحث عنه في أحاديثه أو كتاباته[viii].

ولهذا نشأت المصطلحات خدمة للعلوم والحياة والفكر إذ لا يمكن فهم أي حقل من حقول العلم والمعرفة ما لم يتم التعرف على مصطلحاته واستيعاب مدلولاتها .

ومن هنا أصبح للمحدثين مصطلحاتهم، وللفقهاء مصطحاتهم، وهكذا بقية العلوم ومنها علوم العربية التي أصبحت لكل منها مصطلحاته التي استقلت بمؤلفات ومعاجم خاصة .

فللنحو مصطلحاته، وللصرف مصطلحاته، وللنقد مصطلحاته، وللبلاغة مصطلحات .

## 2- المصطلح في مؤلفات القدماء :

أدرك المفكرون العرب أهمية المصطلح لكونه أداة من أدوات البحث العلمي ورمزا من رموز التقدم وقد كان لوعيهم هذا أثر في ظهور عدد من الكتب والمعجمات عنيت بتعريف المصطلحات مثل: مفاتيح العلوم لمحمد الخوارزمي(ت 387هـ) وكتاب الحدود لأبي الحسن علي بن عيسى الروماني (ت 384 هـ)وهو يعنى بالمصطلحات النحوية، وكتاب المغرب في ترتيب المعرب لأبي المظفر ناصر بن المطرز المشهور بالمطرزي ( ت 610 هـ) وهو كتاب متخصص في مصطلحات الفقه ، والتعريفات لعلي الجرجاني( ت 816 هـ )، والكليات لأبي البقاء الكفوي( 1094هـ)، وكشاف اصطلاحات الفنون لمحمد التهانوي (ت ق12هـ).

## 3- المصطلح عند المحدثين :

أصبح المصطلح عند المفكرين في العصر الحديث علمًا قائما بذاته يعرف بعلم المصطلح أو المصطلحية وهو يؤكد على العلاقة بين المفاهيم العلمية والمصطلحات التي تعبر عنها[ix].

ويعرفونه بأنه: " وحدة لغوية أو عبارة لها دلالة لغوية أصلية ثم أصبحت هذه الوحدة أو العبارة تحمل دلالة اصطلاحية خاصة ومحدودة في مجال أو ميدان ما، تربط بين الدلالة اللغوية الأصلية والدلالة الاصطلاحية الجديدة"[x] ، وهذا يعني أن

الاصطلاح في نظرهم يعطي للفظة معنى استعماليا لم تكن تألفه من قبل يجعلها أكثر تخصصا من معناها المعجمي لتؤدي بعد ذلك وظيفة معينة في مجال محدد من مجالات العلم والمعرفة، وهذا التعريف لا يختلف عن تعاريف المعاصرين الذي اعتنوا بالمصطلح عناية خاصة إذ يتجلى ذلك بإنشائهم للمجامع الغوية التي تعني به، وتألفيهم المعجمات والكتب، ونشر البحوث وغير ذلك، إذ شعروا بأهميته التي غدت عنوانا لحضارة الأمم ورمزا لمسايرة التطور السريع في مجالات الحياة .

## 4- تاريخ المصطلح البلاغي :

إذا ما استقرأنا تاريخ البلاغة العربية منذ عصر ما قبل الإسلام من منتصف القرن الثالث هجري وهو عصر استقلال البلاغة عن العلوم الاخرى[xi] سنجد حتماً التأثير الذي تمارسه الظروف المختلفة في نشأة المصطلح وتطوره سواء أكانت بيئية أم ثقافية أم اجتماعية .

فقد بلغ العرب في الجاهلية مرتبة رفيعة من البلاغة والبيان والقدرة على صياغة الكلام فأطالوا الشعر وافتنوا فيه وأبدعوا في أغراضه ومعانيه ويدل على ذلك الشعر الذي تركوه وتلك الآثار الأدبية التي خلفوها .

ويصف الجاحظ الحالة الغوية للعر ب وقت نزول القرآن فيقول والكلام كلامهم وهو سيد عملهم وقد فاض بيانهم وجاشت به صدورهم وقوتهم علي عند انفسهم حتى قالوا في الحياة والعقارب والذئاب والكلاب والخنافس والجعلان والحمير والحمام وكل ما دب ودرج ولاح لعين وخطرعلى قلب، ولهم بعد أصناف النظم وضروب التأليف كالقصيد والرجز والمزدوج والمجانس والأسجاع المنثورة[xii].

ولا عجب أن يكون الكلام سيد عملهم فشعراء لعرب أكثر من أن يحيط بهم واستفرغ مجهوده في البحث والسؤال[xiii] فقد بلغ اهتمام العرب بالشعر في

جاهليتهم أن عمدوا إلى مختارات من شعر العرب الرائق فعلقوها على ظهر الكعبة وهي أقدس بقعة وأول بيت وضع للناس جاء في العقد الفريد أنه بلغ من شغف العرب بالشعر أن "عمدت إلى سبع قصائد تخيرتها من الشعر القديم فكتبتها بماء الذهب في القباطي المدرجة وعلقتها في أستار الكعبة فمنه يقال مُذهّبة امرئ القيس ومذهبة زهير والمذهبات السبع وقد يقال لها المعلقات[xiv] .

ومن مظاهر احتفاء العرب بالشعر أنهم كانوا يقيمون الأسواق ويتبارون في عرضها ونقدها واختيار أحسنها وكان لهم من الشعراء النابهين من كان يقوم في هذا السوق مقام القاضي .

ولما كان أرباب الفصاحة وفرسان البلاغة فقد شاءت قدرة الله تعالى أن تكون معجزة الرسول عليه الصلاة والسلام من جنس الفن الذي برع فيه قومه وبلغوا فيه الذروة وقد جاء القرآن الكريم عربياً مفصلا يخاطب العرب بلسانهم وباللغة التي يألفونها وبالكلمات التي يجيدون حبكها ونظمها، لكنه فاق كلامهم ببراعة نظمه وإحكام تراكيبه وظهر ذلك في عجز فصحائهم عن الإتيان بأقصر سورة منه، بل كانت نماذج المحاكاة القليلة التي حاولها بعضهم مدعاة للسخرية وأوضح دلالة على العجز.

وهكذا كان للأساليب البلاغية موضع اهتمام وعناية العرب فكانوا يتفاخرون بها ويتباهون لكونها مرآة كاشفة عن قدرتهم على الفصاحة وحبك الكلام وتصريفه[xv].

وبعد نزول القرآن شعر العرب أنه قد منح اللغة طاقات أخرى مكنتها من التعبير عن الفكر الذي جاء به الإسلام فأخذت تلك الأساليب تتبلور ملامحها الاصطلاحية

## 5- المصطلح البلاغي عند القدماء :

بعد ما أخذت مبادئ العلم تزخر بالمؤلفات التي تتناول دراسة النص القرآني أضحت تلك الدراسات منبعا لمصطلحات البلاغة فيما بعد إذ أننا نجد فيها تلميحا للكثير من المصطلحات ومن بين تلك الكتب معاني القرآن للفراء (ت 207 هـــ) ومجاز القرآن لأبي عبيد (ت 208هـــ) وتأويل مشكل القرآن لبن قتيبة (ت 276 هـــ).

وكذلك كتب النقد والبلاغة لا سيما مؤلفات الجاحظ كالبيان والتبيين والحيوان، والكتاب الكامل للمبرد (ت 285هـــ)، وقواعد الشعر لثعلب (ت 291 هـــ).

وعندما أصبحت البلاغة عِلماً قائماً بذاته[xvi]؛ استقرت مصطلحاتها في مؤلفات البلاغيين، وكان بعضها يحمل التسميات نفسها، وبعضها يحمل تسميات مغايرة، وبعضها كان مُبْتَدعاً، إذ كانوا يأخذون مصطلحاتهم من مصدرين ، أولهما : الموروث العلمي المتمثل بمركز الثقافة العربية من النتاج الأدبي والقرآن الكريم والحديث النبوي . وآخرهما : الوافد من ثقافات الأمم الأخرى بعد الفتح الإسلامي والإفادة منه في توليد مصطلحات جديدة[xvii].

ويُعدّ كتاب (البديع) لابن المعتز (ت296هـــ) بداية التأليف المنهجي في البلاغة[xviii]، فقد ظهرت فيه المصطلحات بصورتها العلمية الدّقيقة ، وسمّاه بديعاً مع أنّه يضّم مصطلحات بلاغية مختلفة؛ لأنّ علوم البلاغة الثلاثة – المعاني والبيان والبديع – لم تكن محدّدة في ذلك الحين[xix] . وبقيت هكذا حتى مجيء القرن السابع الهجري، وهو العصر الذي شَهَدت فيه البلاغة ضوابطاً وأحكاماً منطقية لم تعرفها من قبل .

فقد حاول الرازي (ت606هـــ) تنظيم المصطلحات البلاغية وتبويبها في أوّل خطوة منهجّية لدراسة البلاغة في هذا الإطار، بل تُعدّ محاولته هذه الأساس الذي بنى عليه السّكاكي (ت626هـــ) منهجه في تقسيم البلاغة[xx] .

وعندما أفرد السّكاكي القسم الثالث من كتابه (مفتاح العلوم) لما يتعلّق بفنون البلاغة؛ اتّخذ منهجاً علمياً دقيقاً في تبويبها وبَحْثِ موضوعاتها، كشف عن براعته في التنظيم والتقنين والإحاطة بالأقسام والفروع[xxi]، فافترقت عنده علوم البلاغة الثلاثة؛ إذ جعل لكلّ منها مجالاً دراسياً مستقلاً .

ثم شَغَفَ كتابُه هذا علماءَ كثيرين، فتناولوه بالتلخيص والشرح متّبعين منهجه في المنطق و الاستدلال[xxii].

ومن أهم تلخيصاته هي :

- (المصباح في اختصار المفتاح) لبدر الدين بن مالك (ت686هـ) .
- (تلخيص المفتاح) للخطيب القزويني (ت739 هـ) .

أمّا شروحه فكان أهمّها :

- شرح المفتاح المسمّى (مفتاح المفتاح) لقطب الدين الشيرازي (ت701هـ) .
- شرح (المختصر) وشرح (المطول) على تلخيص القزويني لسعد الدين التفتازاني (ت792هـ) .
- الحاشية على الشرح (المطول) للسيد الشريف الجرجاني (ت816هـ) .

ثم ازداد عدد المصطلحات البلاغية بعد السّكاكي ازدياداً ملحوظاً؛ لا سيّما المتعلق منها بفنون البديع؛ إذ كلّما تقدّمنا في الزمن شوطاً نجدها تزداد تفريعاً وتقسيماً حتى إذا ما وصلنا إلى عصر البديعيات نرى بعض أصحابها قد تجاوز بها المئة والخمسين مصطلحاً[xxiii]، بعد أن كانت في مفتاح العلوم ستة وعشرين .

لكنّ هذه الفروع لم تَسلمْ جميعها للبديع ، فقد خلطوا معها فنوناً بلاغية أخرى — من المعاني والبيان[xxiv] – وربّما يكون ذلك من ولعهم به فزادوه تفريعاً. أو لعلهّم أرادوا العودة بالبلاغة إلى عصورها الأولى التي كانت تعتمد في أقيستها على الذوق والإحساس الفني[xxv] .

إلاّ أنّ منهج السّكاكي عاد إلى الظهور وبقي سائداً إلى يومنا هذا . فقد سار العلماء والمفكرون المعاصرون على خطاه في تقسيم البلاغة وتحديد مصطلحاتها[xxvi]، فأضحت البلاغة تدرّس على أسس علمّية صارمة لا تختلف كثيراً عن علمي النحو واللغة ، فَقُيِّدت مصطلحاتها وحُدِّدَت ملامحها الأدبية .

## 6- المصطلح البلاغي عند المحدثين

ومع تفرع العلوم، والميل إلى الاختصاص الدقيق، نشأ في عصرنا ما يسمى بمعاجم العلوم، وتفرعت العلوم الإسلامية إلى تخصصات دقيقة انفرد كل تخصص بنفسه، وأصبحت له معاجم تخصه، ولهذا انفردت علوم العربية بمعاجمها، بل إن كل علم من علوم العربية حظي بمعاجم خاصة كما أسلفت، و لم تخل تلك المعاجم من ذكر مصطلحات بلاغية .

أما معاجم المصطلحات البلاغية، وهي التي يعنى بها البحث أكثر من غيرها، فإني أعرضها مرتبة زمنيًا وفق ما تيسر لي من أمر معرفة سنوات تأليفها، وهي على النحو التالي :

**أولا** : مصطلحات بلاغية، للدكتور أحمد مطلوب، نشره عام 1972 م، واقتصر فيه على دراسة خمسة مصطلحات سماها المصطلحات الكبرى في البلاغة، وهي : الفصاحة، والبلاغة، والمعاني، والبيان، والبديع،

وقد تتبع المؤلف هذه المصطلحات الخمسة في مظانها، ودرسها دراسة تاريخية و رصد ما ورد عن العلماء في هذه المصطلحات، ثم ربط بين تلك الآراء، وخلص إلى بيان ما استقر عليه المصطلح من مفهوم[xxvii].

**ثانيًا** : معجم البلاغة العربية، للدكتور بدوي طبانة، طبع الجزء الأول سنة 1395 هـ، والثاني سنة 1397 هـ، وجمع في الطبعة الأولى ( 903 ) مصطلحات، رتبها وفق حروف الهجاء، وراعى وضع الكلمة بحسب

أصولها اللغوية، وليس بحسب ما هي عليه، فمثلا : " المجاورة " أوردها في حرف الجيم باعتبار أن أصل الكلمة (جور)[xxviii]، وهكذا، ثم أعاد المؤلف طبعه مرة ثانية سنة1402هـ، وأضاف إليه ثلاثة وعشرين مصطلحًا ؛ ليصبح مجموع المصطلحات عنده962 مصطلحًا[xxix]، حيث جمع مؤلف المعجم رحمه الله المواد وأعاد ترتيبها، ونقل ما ذكره العلماء عن كل مصطلح دون توثيق، و دون تدخل منه في جل مواضع المعجم ما عدا ستة وعشرين موضعًا عقب عليها مبتدئًا بكلمة (قلت)، وهذا ما دعا أحد الباحثين لتأليف كتاب في نقد المعجم، ونقضه[xxx].

**ثالثًا** : كتاب : " مصطلحات نقدية وبلاغية في كتاب البيان والتبيُّن للجاحظ "، تأليف الدكتور الشاهد البوشيخي، وصدرت الطبعة الأولى منه في 1402هـ، وهذا الكتاب وإن لم يكن معجمًا فإن موضوعه المصطلحات البلاغية والنقدية، فهو يمثل مرحلة من مراحل المصطلح البلاغي المتداخل مع المصطلح النقدي في تلك الحقبة الزمنية، غير أن أهم ما يميز هذا الكتاب انحصار المادة الأصلية له في المصطلحات الواردة في كتاب الجاحظ، وإن كان المؤلف لم يقتصر على المصطلحات عنده، بل نقل آراء بعض العلماء في توضيح دلالات بعض المصطلحات .

**رابعًا** : معجم المصطلحات البلاغية للدكتور أحمد مطلوب، وقد صرح أن مجموعها ألف ومائة مصطلح[xxxi]، وقد رتبها وفق حروف الهجاء، بحسب حال الكلمة باستثناء أل التعريف، وقد نشر الجزء الأول منه سنة 1403iهـ ثم الثاني سنة 1406هـ، ثم الثالث سنة 1407 هـ، ثم أعيد طبع الأجزاء الثلاثة طبعة ثانية في مجلد واحد، وصرح المؤلف أنه لم يزد على ما في الطبعة الأولى شيئًا[xxxii]، والحق أن هذا المعجم من أوسع المعاجم البلاغية وأفضلها شمولا للمصطلحات، وتنظيمًا

لها، وربطًا بين المتشابه منها، وإن اختلفت تسميته، وأكثرها دقة في توثيق المصطلحات من مصادرها .

**خامسًا** :كتاب : " معجم البلاغة العربية : نقد ونقض "، للدكتور عبد العزيز قلقيلة،

جاء في نهاية مقدمته أنه كتبها في: 1-10-1409هـ، والكتاب ليس معجمًا ولكنه خصص لنقد ونقض معجم الدكتور بدوي طبانة رحمه الله، ولعل أبرز ما ذكره الدكتور عبده قلقيلة أن المواد التي تضمنها المعجم بلغت ( 926مادة)، لم يسلم منها سوى ( 316 ) ؛ لأن الباقي إما مكرر، أو حشو زائد، عبارة عن إحالات

لمواد أخرى، أو أنها خارج المصطلحات البلاغية[xxxiii]،

**سادسا**: المعجم المفصل في علوم البلاغة (البديع، والبيان، والمعاني) للدكتورة إنعام فوال عكاوي، وقد اشتمل المعجم على ( 842 ) مادة مرتبة ترتيبًا هجائيًا، ومع ما فيه من جهد إلا أنه لا يصل إلى مستوى معجم أحمد مطلوب، لا من حيث عدد المواد، ولا توثيق مصادرها، ولم يستوف الرجوع إلى المصادر البلاغية التي رجع إليها كل من بدوي طبانة، وأحمد مطلوب .وهناك مؤلفات أخرى تناولت المصطلح البلاغي مع غيره من مصطلحات علوم العربية الأخرى[xxxiv].

**خاتمـــــة:**

أدرك المفكرون العرب أهمية المصطلح لكونه أداة من أدوات البحث العلمي ورمزا من رموز التقدم وقد كان لوعيهم هذا أثر في ظهور عدد من الكتب والمعجمات عنيت بتعريف المصطلحات أشهرها مفاتيح العلوم لمحمد الخوارزمي وكشاف اصطلاحات الفنون لمحمد التهانوي.

وفي العصر الحديث أصبح المصطلح عند المفكرين علمًا قائما بذاته يعرف بعلم المصطلح أو المصطلحية وهو يؤكد على العلاقة بين المفاهيم العلمية والمصطلحات التي تعبر عنها

و إذا ما استقرأنا تاريخ المصطلح البلاغي وجدناه حتما قد تأثر في نشأته ومسار تطوره بظروف مختلفة سواء أكانت بيئية أم ثقافية أم اجتماعية . وعندما أصبحت البلاغة عِلماً قائماً بذاته استقرت مصطلحاتها في مؤلفات البلاغيين، وكان بعضها يحمل التسميات نفسها، وبعضها يحمل تسميات مغايرة، وبعضها كان مُبْتَدعاً، وأشهر مؤلفات القدماء في المصطلح البلاغي كتاب "مفتاح العلوم" للسكاكي وما ألف فيه من شروح و كتاب "البديع" لابن المعتز

وفي عصرنا الحديث تفرعت العلوم، وأصبح الميل إلى الاختصاص الدقيق و نشأ في عصرنا ما يسمى بمعاجم العلوم، ولهذا انفردت علوم العربية بمعاجمها، بل إن كل علم من علوم العربية حظي بمعاجم خاصة، ولم تخل تلك المعاجم من ذكر المصطلحات بلاغية وأشهر المؤلفات: : مصطلحات بلاغية، للدكتور أحمد مطلوب، ومعجم البلاغة العربية، للدكتور بدوي طبانة...... وغيرها

**المصادر والمراجع :**


1. -ينظر معاجم اللغة جمهرة اللغة لابن دريد 164/2 ولسان العرب لابن منظور 384/3 والقاموس المحيط للفيروزبادي 769/2 وكشاف اصطلاحات الفنون للتهانوي 822/1 وتاج العروس من جواهر القاموس للزبيدي 182/2 .
2. التعريفات للجرجاني 28.[1]-
3. التعريفات للجرجاني 28.
4. البستان (معجم لغوي): الشيخ عبد الله البستاني اللّبناني، المطبعة الامريكية، بيروت ، 1927م . 1349/1.[1]
5. تاج العروس 183/2

6. وضع المصطلح العربي في الفلسفة وعلم الكلام د حسن حنيفي مجلة مجمع اللغة العربية الاردني للموسم الثقافي الثاني عشر ط 47

7. تمام حسان الغة بين معيارية والوصفية مكتبة الانجلو المصرّية،1958م.ض: 120

مناطع الجعري حول الاصطلاحات العلمية مجلة اللسان العربي ج18 ط10 1980. ض:36 .

8. على القاسمي النظرية العامة لوضع المصطلحات وتوحيدها مجلة اللسان العربي ط10.ج10.كج1980-18-9.

9. عبد الرجيم محمد الرحيم أزمة المصطلح في النقد القصصي مجلة الفصول ع1987.3 ص 98 .

10. البيان العربي (دراسة في تطوّر الفكرة البلاغية عند العرب ومنهاجها ومصادرها الكبرى): الدكتور بدوي أحمد طبانة، ط4، مكتبة الانجلو المصرية ،القاهرة 1388هـ،1968م

11. رسائل الجاحظ من كتاب حجاج النبوة 143 نقلا عن كتاب بلاغة القرآن في أثار القاضي ع الجبار ع الفتاح .ص:430.

12. -ابن قتيبة. الشعر والشعراء، تحقيق: أحمد محمد شاكر، دار المعـارف، مصـر، 1387هـــ - 1967م.8/1.

13. العقد الفريد: شهاب الدّين أحمد بن محمد بن عبد ربه الأندلسي (ت 328هـ)، تحقيق أحمد أمين واحمد الزين وابراهيم الأبياري،ط3،القاهرة،1384هـ،1965م.118/6.

14. البيان والتبيين، الجاحظ، تحقيق عبد السلام هارون.ط4 .دار الفكر، بيروت 207-208 -

15. ينظر: البيان العربي : 16 .

16. ينظر: وضع المصطلح العربي في الفلسفة وعلم الكلام (بحث) : 49 .

17. -ينظر: البلاغة العربية، تاريخها، مصادرها، مناهجها للدكتور علي عشري.القاهرة. ص: 110 .

18. المكان نفسه .

19. ينظر: فخر الدين الرازي بلاغياً للدكتور ماهر مهدي هلال، وزارة الإعلام، بغداد، 1977م . ص: 30 .

20. ينظر : البلاغة تطور وتاريخ للدكتور شوقي ضيف ، ط6، دار المعارف، القاهرة. ص : 288 .

21. ينظر: مناهج بلاغية للدكتور أحمد مطلوب ، **ط1، بيروت، 1393هـ – 1973م** : 280 .

22. -ينظر: بحوث بلاغية للدكتور أحمد مطلوب، مطبوعات المجمع العلمي، بغـداد، 1417هـــ، 1996م.

ص: 216 . .23

24. ينظر: البلاغة تطور وتاريخ : 366 .

25. ينظر: في المصطلح النقدي : 316 .

26. المصدر نفسه : 316 - 318

27. – ينظر : مصطلحات بلاغية، لأحمد مطلوب، وينظر مقدمة الطبعة الثانية لكتاب : معجم المصطلحات البلاغية و تطورها ، ص 8

28. ينظر : معجم البلاغة العربية: 164/1.

29. معجم البلاغة العربية، لبدوي طبانة، الطبعة الثانية .

30. ينظر : معجم البلاغة العربية نقد ونقض، للدكتور عبده قلقيلة

31. . ينظر : معجم المصطلحات البلاغية وتطورها، **مطبعة المجمع العلمي العراقي**. ص: 9

32. ينظر : معجم المصطلحات البلاغية وتطورها، الطبعة الأولى 9/1، والطبعة الثانية ص 10

33. ينظر : معجم البلاغة العربية نقد ونقض، للدكتور عبده قلقيلة ص 8

34. ينظر مثلا : المعجم المفصل في اللغة والأدب (نحو، صرف، بلاغة، عروض، إملاء، فقه لغة، أدب، نقد، فكر أدب) للدكتور إميل يعقوب.

***

## أثر "البديع" في الدراسات البلاغية الحديثة : العلاقة بالأسلوبية نموذجا

-------------

الأستاذ أمحمد لقدي - جامعة الجزائر – الجزائر

إن الرؤية البلاغية المستندة إلى "التحسينية" فقط في علم البديع مسألة تبنّاها جمع غير قليل من النقاد والبلاغيين، وهي في الحقيقة انتباه من نوع أخر لأهمية هذا العلم دون أخويه: البيان والمعاني؛ تهدف إلى وصفه وتحديد رؤيته بنمط من التأثير.

وبقي أن ننظر إلى جانب آخر غير التحلية والتحسين، لنعرف ما يمكن أن ينتجه علم البديع في ضوء الدراسات البلاغية واللسانية الحديثة، وما أحوجنا اليوم– يقول الدكتور أحمد مطلوب– إلى أن نعيد النظر في فنونه–البديع– في ضوء الدراسات الحديثة، فنأخذ منها ما كثر استعماله في كلام العرب، وما كان له تأثير في أدبنا الحديث، وبذلك تبعث الحياة من جديد، ونعطيه حقه في الدراسات البلاغية والنقدية.

لقد جعل القزويني "البديع" علما مستقلا شأنه شأن "البيان" و"المعاني"، وهذا يعني أن حديث العلماء السابقين عن البديع كونه تابعا للعلمين السابقين فيه قصور وتنقيص لمترلته، وأن "التحسين والتزيين" أمر ثانوي يمكن الاستغناء عنه أحيانا.

وهذا الطرح في اعتقادنا مجانب للصواب، وإن قَصر "البديع" على "التحسين والتزيين والتحلية" أمر فيه كثير من التعسف لطبيعة اللغة الأدبية وإشعاعاتها.

إن الآمدي والقاضي الجرجاني رفضا فكرة التوسع في استعمال "البديع"، وأقصاه الباقلاني من إدراك الإعجاز القرآني إلا في مصطلحات محدودة، ووقف الزمخشري منه–أي البديع– وقفة تقليل لشأن هذا الفن في الكلام العربي، ورأى أن القرآن مختص بعلمي: البيان والمعاني.

ومن المعاصرين من حذا السابقين جمع لا بأس بهم، لخص رأيهم الدكتور بكري الشيخ أمين بقوله:"..ومعظم المؤلفين المعاصرين وقفوا من البديع وأهله وعصره وآدابه ... موقفا متشنّجا غير دقيق تماما." (1)

هذا وقد وجدت آراء أخذت على عاتقها فهم "البديع" فهما مغايرا لما مر من المقولات السابقة، يتقدمها قول الجاحظ حينما قال:"البديع مقصور على العرب، ومن أجله فاقت لغتهم كل لغة، وأربت على كل لسان". وذهب قدامة بن جعفر المذهب نفسه، وسجل أبو هلال العسكري رأيا متقدما في أهمية "البديع"، حينما أشار بالقول إلى أن هذا النوع من الكلام إذا سلم من التكلف وبرأ من العيوب، كان في غاية الحسن ونهاية الجودة.

ووقف عبد القاهر الجرجاني موقفا يُبين عن أهمية المصطلح البديعي، وبخاصة لّما تعرض للتجنيس والسجع، حيث قال: "وعلى الجملة فإنك لا تجد تجنيساً مقبولاً، ولا سَجَعاً حَسَنَاً، حتى يكون المعنى هو الذي طلبه واستدعاه وسَاق نحوَه، وحتى تَجده لا تبتغي به بدَلاً، ولا تجِد عنه حِوَلاً، ومن ها هنا كان أَحْلَى تجنيس تسمَعُه وأعلاه، وأحقُّه بالحُسْن وأولاهُ، ما وقع من غير قصدٍ من المتكلم إلى اجتلابه، وتأهُّب لطلبه، أو مَا هو – لحسن مُلاءمته، وإن كان مطلوباً – بهذه المترلة وفي هذه الصورة.." (2)

وقال عن التجنيس بشكل خاص:"أما التجنيس فإنك لا تستحسن تجانُس اللفظتين إلا إذا كان وقع معنييهما من العقل موقعاً حميداً، و لم يكن مَرْمَى الجامع بينهما مَرْمًى بعيداً.." (3)

(1) البلاغة العربية في ثوبها الجديد، بكري الشيخ أمين، بيروت 1987، 6.

(2) أسرار البلاغة، عبد القاهر الجرجاني، بيروت 1995، 112.

(3) السابق، 96.

وأما صفي الدين الحلّي فقد عدّ "البديع" من أحق العلوم بالتقديم، وأجدرها بالاقتباس والتعليم..

وقد نبه العلامة ابن خلدون في "مقدمته" إلى الثمرة المرجوة من هذا الفن، فهي تكمن بحسب قوله:" في فهم الإعجاز من القرآن؛ لأن إعجازه في وفاء الدلالة منه بجميع مقتضيات الأحوال منطوقة ومفهومة، وهي أعلى مراتب الكلام.." (1)

وأشار أيضا إلى عشق المغاربة للبديع وولعهم به، "إذ جعلوه من جملة الآداب الشعرية، وفرعوا له ألقابا وعددوا أبوابا ونوعوا أنواعا، وزعموا أنهم أحصوها من لسان العرب." (2)

إننا لا ننكر، بأي حال من الأحوال، ما آل إليه علم البديع في وقت من الأوقات المتأخرة؛ التي وسمت بمرحلة الجمود العقلي، حيث دب العقم والتعقيد والتلاعب بالألفاظ والتنافس في "البديعيات". وظل البديع –على هذه الحالة– محبوسا ردحا من الزمن، إلى أن ظهرت دعوات هنا وهناك تطالب بإعادة النظر في الظاهرة البديعية ودراستها وفق أسس جديدة يفرضها التفكير العلمي الحديث. ولعل من جملة هؤلاء الباحثين:

–الدكتور محمد زكي العشماوي في كتابه:"قضايا النقد الأدبي والبلاغة"

–الدكتور عبد الفتاح لاشين في كتابه:"البديع في ضوء أساليب القرآن".

–الدكتور قصي سالم علوان في بحثه:"المحسنات البديعية محاولة لدراسة بعضها بين الصبغ والوظيفة".

إن علم "البديع" ينبغي أن يقرأ قراءات مختلفة، تسمو به من التزيين والتحسين–بالرغم من خطورتهما في الكلام العربي–إلى دراسته أسلوبيا مثلا، وذلك

---

(1) مقدمة ابن خلدون، مطبعة مصطفى محمد الناشر، المكتبة التجارية–مصر، 553.

(2) السابق، 552.

ضمن فكرة **المستويات الثلاثة: الصوت والتركيب والدلالة**، التي غدت قواعد تكوينية يجب أن تراعى لكي لا يخطئ الكلام هدفه.

والأسلوبية إذ تعتمد على الكشف عن جماليات اللغة في مستويات: الصوت، والتركيب، والدلالة؛ تحاول أن تبحث لها عن منفذ يتصل بالأسس القارة في إرسال علم الأسلوب، وهي تنطلق من اعتبار الأثر الأدبي بنية ألسنية تتحاور مع السياق المضموني تحاورا خاصا[1]، من دون أن تنسى الطريقة التي يصوغ فيها المبدع إبداعه، منفتحة على القوانين التي تتحكم بالنص، ولاسيما القانون الخاص، والمهيمن على جماليات الكتابة أنفسها.

أما الناقد الأسلوبي فليست مهمته هنا الكشف – فقط – عن كل مستوى من هذا المستويات، وترجمتها، في صورة أخرى أكبر وضوحا، وأسرع فهما، لأننا نقول إن النص نفسه أكثر وضوحا من أيّ شرح أو تفسير، وإنما يمكن تبيّن المهمة الحقّة فيما يقدمه من دلالة وراء صياغة النص، بحيث يمكن القول أن الناقد يقدم لغة النص مرة أخرى أكثر توضيحا لعلاقتها، اعتمادا على تماسك مستوى النص، ومستوى دلالته.[2]

وبالعودة إلى الكلام السابق، يقترح الدكتور محمد عبد المطلب أن يقرأ البديع أسلوبيا من خلال (البعد التكراري ) الذي يسيطر على البديع، ويوجه عملية إنتاج معناه ضمن مستويي السطح الصياغي، والبنية العميقة[3].

---

(1) **البلاغة والأسلوبية، محمد عبد المطلب، الهيئة المصرية العامة للكتاب–القاهرة 1984، 278.**

(2) **السابق، 278.**

(3) **البلاغة العربية: قراءة أخرى، محمد عبد المطلب، الشركة المصرية العالمية للنشر، دت، 352.**

وعليه فإن البحث يرى أن مظاهر البديع يمكن درسها أسلوبيا ضمن فكرة المستويات اللسانية الثلاثة، وهي فكرة تدفع بالبحث اللغوي اللساني إلى أفق الدراسة الأوسع الذي يعنى بتحديد جماليات الظواهر اللغوية في الخطاب.

إن لمصطلحات البديع قيمتها وخصوصا في المعنى، وأداء المعنى لغرض، وإنها تقوم في البلاغة على عمد من جنس ما تقوم عليه خصائص التراكيب ... وأنهما سواء في قوة التأثير، وروعة التصوير، وما البلاغة إلا ذلك التصوير، والتأثير. (1)

وإن مصطلحات البديع على أكثريتها يمكن للأسلوبية أن تعمد إلى وصفها، وتحليلها على وفق المستويات المذكورة مع تحديد فاعليتها البلاغيـــــة التي تنسجم مع أحد المستويات الآتية:

## 1-المستوى الصوتي:

إنّ اللغة في جزء من تعريفها المتداول "أصوات"، ودارس الأسلوب لا يمكنه التقدم في حلقة ما لم يلّم بالصوتيات، وعلم الأصوات الدالة. فالنص العربي، قديمه وحديثه، متضمن للصوت سواء أكان نثرا أم شعرا، وبدرجات متفاوتة يمكن مسكها ضمن أطر إيقاعية تشكل مع بعضها دلالة صوتية اصطلح على تسميتها بـــ" الأسلوبية الصوتية "(2)، وهي تعني بحسب رأي بيير جيرو: تحليل المتغيرات المسموعة أسلوبيا بالإحالة على اللغة بوصفها نسقا كاملا من المتغيرات الأسلوبية الصوتية يمكن للدارس أن يتميز من بينها النبر، والمد، والتكرار، والمحاكاة الصوتية، والجناس، والتناغم وغيرها من المصطلحات(3).

---

(1) الأسلوبية والبيان العربي، محمد عبد المنعم خفاجة وآخرون، الدار المصرية اللبنانية، 1992، 119.

(2) الأسلوب والأسلوبية: بيير جيرو، ترجمة منذر العياشي، مركز الإنماء القومي-بيروت، 39.

(3) السابق، 40.

ويندرج ضمن هذا المستوى عدد من مصطلحات البديع التي لها خصيصة صوتية، يمكن للدارس الأسلوبي أن يتعامل معها تحليليا ليستجلي خصائص شكلها الصوتي، وعلاقته بالنص، وتستجيب صوتا إلى التحليل الأسلوبي المستند إلى الصوت. وسنسلط الضوء- هنا- على الجناس والسجع، تمثيلا لا حصرا:

**أ- الجناس:**

عرفه ابن المعتز بقوله:" وهو أن تجيء الكلمة تُجانس أُخرى في بيت شعر وكلام ومجانستها لها أن تشبهها في تأليف حروفها"(1). فهو مصطلح يتصل باللفظ، أي بالإطار الصوتي الذي يمثل الوحدة الدلالية الدنيا، وفي اللفظ تبدأ عملية التفاعل بين الدلالة اللغوية، والدلالة السياقية(2)، لتشكيل البنية الصوتية، والدلالية في اللغة، ومثاله- هنا- قوله تعالى: " وَيَوْمَ تَقُومُ **السَّاعَةُ** يُقْسِمُ الْمُجْرِمُونَ مَا لَبِثُوا غَيْرَ **سَاعَةٍ**"(3).

ويشتمل الجناس على خصيصة أسلوبية صوتية متميزة تجمع بين التكرار، إذ تتمظهر الحروف بمتوالية صوتية في سياقات الجمل، وبين تحقّق التشابه الصوتي للتراكيب، واختلافها في المعنى، أي أنها دوال متشابهة لمدلولين مختلفين.

وصوتية الجناس ظاهرة لا جدال فيها، ولهذا سماه "تينيانوف" تشبيها سمعيا، إشارة إلى فعاليته الصوتية المبنية على المماثلة.

وللجناس قدرة عالية على إحداث موسيقى مميزة داخل النص الواحد، وعلى لفت النظر إلى وجود أسلوب أخر موجود معه(4)، ولهذا صارت للجناس قوة

---

(1) البديع، عبد الله بن المعتز، مكتبة المثنى، بغداد، 1967م، 102.

(2) خصائص الأسلوب في الشوقيات، محمد الهادي الطرابلسي، منشورات الجامعة التونسية، 73

(3) الروم: 55.

(4) خصائص الأسلوب في الشوقيات، 68.

تجمع بين الصوت والدلالة؛ لكونه يقرّب بين مدلولي اللفظ وصورته مع جهة، وبين الوزن الموضوع فيه اللفظ من جهة أخرى.

ولقد أسهبت الدراسات الأسلوبية التطبيقية في الكشف عن مستوى المصطلح البديعي من الناحية الصوتية، وتحديد بنيته الأسلوبية في تضافر مستويين: **سطحي** يتصل بحاستَي السمع التي تتبع إيقاع الأحرف عند تجاورها لتكون كلمة أو بعض كلمة، والبصر الذي يتتبع رسم الأحرف وما بينهما من توافق أو تخالف. وأما **المستوى العميق** ففيه يتم تدقيق النظر في الحركة الذهن واختيارها لنقط ارتكاز تتشابه على مستوى الصياغة، وتتغاير على المستوى الدلالة، وهنا يكون للمتلقي أثر في إنتاج الدلالة التجنيسية.(1)

والجناس مظهر بديعي ينفتح على جملة من المصطلحات الصوتية التي يتميز منها (الجناس المشتق ) بوفرة صوتية يجمعها أصل واحد في اللغة، من مثل قوله تعالى: " فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ الْقَيِّمِ "(2)؛ فـ" أَقِمْ " و"القِيِّم " اشتقاقهما واحد، ومنه أخذا صورهما الصوتية المشتركة التي أشاعت الصوت. وكقول الشاعر أبي تمام(3):

وَأَنْجَدْتُمُ مِنْ بَعْدِ إِتْهَامِ دَارِكُمْ　　　فَيَا دَمْعُ أَنْجِدْنِي عَلَى سَاكِنِي نَجْدِ

ففي كل من: "أنجدتم"، و"أنجدني"، و"نجد" من الترددات الصوتية والدلالات الأسلوبية ما يأخذ بلب السامع أو المتلقي.

(1) البلاغة العربية: قراءة أخرى، 372-373.

(2) الروم: 43.

(3) الأغاني، أبو الفرج الأصفهاني، تح: سمير جابر، ط2، دار الفكر-بيروت، 155/2

**ب– السجع:**

وعرفه القزويني بقوله: "وهو تواطؤ الفاصلتين من النثر على حرف واحد"(1)، وهو مصطلح يعتمد التردد الصوتي في نهاية الفواصل بحروف محددة، ووصف لظاهرة صوتية إيقاعية. وقد تنبه النقاد القدماء على حضورها في النثر والشعر معا، فهو على رأي القزويني " غير مختص بالنثر " (2)، وقد أدركت صورتها الصوتية عن طريق الموازنة بين الشعر والنثر. فالشعر عند بعضهم يحسن بتساوي قوافيه، وكذالك النثر يحسن بتماثل الحروف في فصوله، وبهذا فإن القوافي في الشعر تجري مجرى الأسجاع في النثر.

أما قضية إيقاع الأسجاع فقد أدركها القزويني بالوقوف على فواصله، وهو القائل: " إن فواصل الأسجاع موضوعة على أن تكون ساكنة الأعجاز، موقوفا عليها، لأن الغرض أن يزاوج بينها، ولا يتم ذالك في كل صورة إلا بالوقف، ألا ترى أنك لو وصلت قولهم: "ما أبعد ما فات، وما أقرب ما هو آت"؛ لم يكن بد من إجراء كل من الفاصلتين على ما يقتضيه حكم الإعراب، فيفوت الغرض من السجع " (3).

وتنبه حازم القرطاجنّي إلى هدف التماثلات الصوتية في الشعر والنثر، فوجد أن تماثل المقاطع في الأسجاع، والقوافي سببه تحسين الكلم: "بجريان الصوت في نهاياتها، ولأن للنفس في النقلة من بعض الكلمة المتنوعة المجارى إلى بعض على قانون محدد راحة شديدة، واستجدادا لنشاط السمع بالنقلة من حال إلى حال، ولها

---

(1) الإيضاح في علوم البلاغة، الخطيب القزويني، تح: محمد عبد المنعم خفاجي، دار الكتاب اللبناني– بيروت– 1971، 392/2.

(2) السابق، 392/2.

(3) الإيضاح، 239.

في حسن اطّراده في جميع المجاري على قوانين محفوظة قد قسمت المعاني فيها على المجاري أحسن قسمة.(1)

## 2- المستوى التركيبي:

هو نظام يستند أصول "نظرية النظم"، التي برع في بيانها عبد القاهر الجرجاني في كتابه "دلائل الإعجاز". والباحث الأسلوبي في هذا المستوى يهمه سبر أغوار العلاقات السياقية لغرض الكشف عن الجماليات الأسلوبية، والفنية الكامنة وراء التراكيب، التي تشكل مجموعة من الأنماط اللسانية التي يمكن كشفها، وإبراز قيمتها وفعاليتها الأسلوبية، دون أن يُهمل ما تولده التراكيب في إنتاج الدلالة وجمالها.

ترى الأسلوبية في التركيب عنصرا ذا حساسية في تحديد الخصائص التي تربطه بمبدع معين، ولأنها تعطيه من الملامح ما يميزه من غيره من المبدعين، سواء أكانوا مزامنين له، أم مختلفين عنه في الزمان والمكان.(2)

من هنا صار للتركيب أثر يتجاوز قضية منتج الكلام إلى خاصية التركيب منظورا إليها من جانبين: المبدع باعتباره مصدر هذه الخواص التركيبية، ثم المتلقي من خلال قيامه بعملية الفهم والمعرفة. (3)

ويتجلى هذا المستوى في عدد من مصطلحات البديع التي تستجيب إلى المبادئ والعمليات التي تنهض بها الجمل في اللغة، لتؤدي مجتمعة إلى إنتاج معنى.

إن تركيبية البديع قضية قديمة تفرد بالتصريح بها "علي بن حمزة العلوي" في كتابه "الطراز" إذ رأى أن هذا الفن مختص بأنواع التراكيب، ولا يكون وجوده وقفا في المفردات. وهو بمقولته هذه يكون قد أنار حقيقة ظلت بعيدة عن متناول

---

(1) منهاج البلغاء، القرطاجني، تح: الحبيب ابن الخوجة، تونس، 1966، 122-123.

(2) البلاغة والأسلوبية، 145.

(3) البلاغة والأسلوبية، 192.

الدرس البلاغي على الرغم من إيمان البحث أن التركيب لا يشمل جميع مصطلحات البديع.

ومن المصطلحات البديعية التي تتضمن فعاليات تركيبية وتستجيب إلى التحليل الأسلوبي:

**أ–الاحتباك والحذف:**

هما مصطلحان بديعيان متشابهان في دلالتهما البلاغية. الاحتباك في اللغة مأخوذ من الشدّ والإحكام. وفي لسان العرب: وحبكُ الثوب سدُّ مابين خيوطه من فرج، وشده وإحكامه[1]. وهو مصطلح تركيبي يمكن أن تدركه بنيته من خلال:

– تعلقه بالحذف، أي قيامه على بنية إيجازية، والإيجاز وجه من وجوه تراكيب الجمل في العربية.

– تضمنه مبدأ الحضور، والغياب؛ حضور الدلالة مع غياب الكلمة المحذوفة، وعلى وفق مقولة الزركشي: " أن يحذف من الأول ما أثبت نظيره في الثاني، وفي الثاني ما أثبت نظيره في الأول[2].

– دخوله في تراكيب الجمل في الشعر والنثر.

ويمكن التمثيل له بقول أبي صخر الهُذَلِي:

وَإِنِّي لَتَعْرُونِي لِذِكْرَاكِ هِزَّةٌ     كَمَا انْتَفَضَ العُصْفُورُ بَلَّلَهُ القَطْرُ

قال البغدادي: "وفي شرح بديعيّة العميان لابن جابر: أن هذا البيت فيه من البديع صنعة الاحتباك، وهو أن يحذف من الأول ما أثبت نظيره في الثاني، ويحذف من الثاني ما أثبت نظيره في الأول؛ فإن التقدير فيه. وإني لتعروني لذكراك هزّة

---

([1]) لسان العرب، مادة: حبك.

([2]) البرهان في علوم القرآن، الزركشي، تح:محمد أبو الفضل ابراهيم، القاهرة 1975، 61/2.

وانتفاضة كهزّة العصفور وانتفاضته. فحذف من الأول الانتفاض لدلالة الثاني عليه، وحذف من الثاني الهزّة لدلالة الأول عليه". (1)

ومن الاحتباك أيضا قول الفرزدق يهجو جريرا:

كَمْ عَمَّة لك يا جَرِيرُ وخالة فَدْعاءَ قد حَلَبَتْ عَلَيَّ عِشَارِي

ففيه حذفان، وأصل الكلام قبل الحذفين: " كم عمة لك فدعاء، وكم خالة لك فدعاء "، فحذف من الأول كلمة "فدعاء" وأثبتها في الثاني، وحذف من الثاني كلمة "لك" وأثبتها في الأول، فحذف من كل مثل الذي أثبته في الآخر. (2)

أما الحذف في اللغة فهو القطع أو الإسقاط، وله دلالة تركيبية تأخذ شكلها من كونه إيجازا، والإيجاز اقتصاد في التركيب إذ تتمثل فيه ثنائية الحضور والغياب أيضا التي مر ذكرها.

وقد تناول البلاغيون في مباحث علم المعاني سياقات الكلام الذي يرد فيها حذف أحد أطراف الإسناد، وذالك من منطلق أن النظام اللغوي يقتضي في الأصل ذكر هذه الأطراف، ولكن التطبيق العملي من خلال الكلام قد يسقط أحدها اعتمادا على دلالة القرائن المقالية أو الحالية. (3)

ورأى عبد القاهر الجرجاني أن ترك الذكر أفصح من الذكر، وهو لا يكون إلا لأغراض بلاغية تخص تركيب الجمل، وهو في النهاية قلادة الجيد، وقاعدة التجويد (4).

---

(1) خزانة الأدب ولب لباب لسان العرب، البغدادي عبد القادر بن عمر، تح: عبد السلام هارون، دار الكتاب العربي، والهيئة المصرية العامة، 1967م، 424/2.

(2) السابق، 425/2. شرح ابن عقيل، 227/1.

(3) البلاغة والأسلوبية، 235.

(4) دلائل الإعجاز، عبد القاهر الجرجاني، مكتبة الخانجي–القاهرة، مطبعة مدني، دت، 146–147.

**ب–الاعتراض:**

الاعتراض: ويسمى الحشو، وهو أن يؤتى في أثناء الكلام، أو بين كلامين متصلين معنى، بجملة أو أكثر لا محل لها من الأعراب، لنكتة سوى دفع الإيهام، كما في قوله تعالى: " فَلَا أُقْسِمُ بِمَوَاقِعِ النُّجُومِ وَإِنَّهُ لَقَسَمٌ لَوْ تَعْلَمُونَ عَظِيمٌ"(1)؛ فقوله: " وَإِنَّهُ لَقَسَمٌ لَوْ تَعْلَمُونَ عَظِيمٌ " اعتراض، وقوله: " لَوْ تَعْلَمُونَ " اعتراض في اعتراض. (2) ومما استحسن في الاعتراض قول العباس بن الأحنف:

قدْ كنتُ أبكي وأنتِ راضية حِـــذَارَ هذا الصدود والغضبِ

إِنْ تمَّ ذا الهجرُ يا ظلومُ ولا تَمَّ فمالي في العيش منْ أربِ(3)

ففي البيت الأول اعترض بقوله:"وأنت راضية"، واعترض في الثاني بقوله:"ولا تمّ".

إن الاعتراض مصطلح بديعي ذو بنية لغوية لافتة للنظر، تستوقف القارئ بما تحمل من تنبيه يسحب الذهن المتلقي إلى قضية ما تستوجب الملاحظة، والوقوف بين عتبتيها.. وقرن قدامة بن جعفر وجود الجملة الاعتراضية برجع الذهن إلى ما في المعنى من شك عادّا إياها نوعا من الالتفات الخاص بتمثل المعنى بعد أن حدد وظائفها في: الشك في المعنى طمعا في اليقين، والظن لتحفيز القارئ، وإشراكه بتقبل المقروء والسؤال عنه. ولهذا حدد آليات عملها في الذهن بالتأكيد وذكر السبب، وحل الشك.

---

(1) الواقعة: 75–76.

(2) معاهد التنصيص على شواهد التخليص، عبد الرحيم العباسي، تح محمد محي الدين عد الحميد، المطبعة الأميرية بولاق، مصر 1889، 123/1. مفتاح العلوم، السكاكي، طبعة عيســى الحلــبي–القــاهرة، 1392هـ 185.

(3) معاهد التنصيص، 124/1.

والالتفات جملة تثير في النص الأدبي تنبيهات دلالية ترتبط بطبيعة صوغ الخطاب، وتلقي المخاطب، وطرائق إيصال المعنى عبر سلسلة قصيرة أو طويلة من الجمل التي تستعمل الضمائر استعمالا خاصا ينتقل بالمعنى من حالة إلى أخرى من أجل إثراء الصورة، وبيان القصد، وكأنها في النهاية نداء مزدوج الإشارة، محذوف الأداة، طرفاه ضميرا المبدع والمتلقي كما أفهم من الوظيفة البلاغية لهذه الجملة.

فالجملة الاعتراضية تنهض بوصفها فاصلا بين كلامين متصلين معنى لترغم القارئ على الانتقال من أسلوب عام إلى أسلوب خاص، يخرج إلى رؤية بلاغية عامة تشتمل على أسلوبية تتعدد فيها المقاصد البلاغية لعل من أهمها: التتريه، والتفاؤل، والدعاء، والتنبيه، والتخصيص، والاستعطاف، والتعظيم، والمدح، وبيان السبب لأمر فيه غرابة(1).

وقد انتهت الدراسات الأسلوبية إلى أهمية الاعتراض في تراكيب الجمل فأولاها التحليل الأسلوبي عناية كبيرة، ذات محل استثنائي، فعلى الرغم من أنها لا تمتلك محلا من الإعراب إلا أنها تمتلك ارتباطا تركيبيا جديدا يكون بمترلة المؤكد التكراري للدلالة العامة في السياق، فوظيفتها تغيير الترتيب أي تحويل أحد عناصر التركيب من مترلته، وإقحامه بين عناصر من طبيعتها التسلسل كما يكون بزيادة عنصر، أو أكثر من عنصر أجنبي تماما عن التركيب "(2).

### 3- المستوى الدلالي:

أثبت عبد القاهر الجرجاني في " دلائل الإعجاز" أن المفردة الواحدة ليس لها قيمة كبيرة، ولكن القيمة والفضيلة تظهران في ملائمة معنى اللفظة الواحدة لمعنى اللفظة التي تليها، وأن الدلالة الأدبية لا تظهر في اللفظة الواحدة لأنها تعطي معنى

(1) معجم المصطلحات البلاغية، أحمد مطلوب، مطبعة المجمع العلمي العراقي-1983، 244/1.

(2) خصائص الأسلوب في الشوقيات، 290.

واحدا من ظاهر اللفظ الذي يصل إليه المرء من غير وساطة، وإنما تظهر في "معنى المعنى"، الذي يفضي إلى دلاله مخالفة لدلالة اللفظة الواحدة [1].

والأسلوبية ترتبط عادة بما يسمى بنظرية التوسيط الذي تقضي وجود جهاز ثلاثي هو المتكلم الذي يصدر منه الكلام، والمتلقي قارئا وسامعا، ثم الحدث اللغوي الذي يتعلق بالحقائق المطروحة في المجال الكلامي، فضلا على الرمز اللغوي بأبعاده الدلالية الذي يقوم بمهمة إحضار صورة المخزون اللغوي إلى مجال التخاطب.

والأسلوبية في عملها وخطة تشكلها بلاغةٌ حديثة ذات شكل مضاعف، هي علم التعبير، وفي الوقت نفسه نقد الأساليب الفردية، لأنها معنية بدراسة التعبير اللساني، أي تمثيل الفكر عن طريق دراسة المتغيرات اللسانية إزاء المعيار القاعدي[2].

وهي بتقصّياتها اللسانية تعمل على إنارة الدلالة نفسها، والاتساع بها تفسيرا، وتأويلا. ومن أبرز المصطلحات البديعية التي تستجيب إلى التحليل الأسلوبي:

**أ–الاقتباس والتضمين:**

يعرف الاقتباس بأنه الأخذ والإفادة من القرآن الكريم، وأما التضمين فهو الأخذ والإفادة من الحديث النبوي الشريف، وكذا الشعر والنثر.

وهما من المصطلحات البديعية التي يمكن دراستهما ضمن المستوى الدلالي على وفق مصطلح "التناص"، الذي هو في حقيقة الأمر تعددية حوارية مبينة على أسلوبية تعبيرية ذات دلالة جامعة تدخل ضمن الفردية الأسلوبية لأيّ كاتب، والتي يمكن إرجاعها إلى صفاء روحي ودفق عاطفي متصل بذاتيته، ومنفتح على أساليب الآخرين.

---

([1]) دلائل الإعجاز، **263**.

([2]) الأسلوب والأسلوبية، **5–6–7**.

ومما يؤكد دخول الاقتباس والتضمين في الدرس الأسلوبي الدلالي أن البلاغيين القدماء كانوا قد درسوا هذه المصطلحات في مبحث "الصورة"، أي أن كل علاقة بين ملفوظين يحاور أحدهما الأخر يدخلان في نوع خاص من العلاقات الدلالية التي تسمى علاقات حوارية بحسب مصطلح (باختين). وهذا ما أشار إليه فعلا عبد القهار الجرجاني في "دلائل الإعجاز".

يقوم التناص بتوليد دلالات جديدة تستند إلى رواسب قديمة أو نصوص قديمة أو نصوص سابقة، أو أمثلة تحضر بشكل خفيّ، أو جليّ في ذهن مبدع جديد محققة زيادة في معنى، أو مرتبة من مراتب التأويل كما يقول ريفاتير(1).

والتناص على هذا الشكل الأدبي يقوم على كسر حدود الملكية الأدبية الفردية مما يجعل حدود الرؤية أوسع في التحليل الأسلوبي الشامل.

وترى الأسلوبية في التناص أنه يكفي أن يكون النص قابلا لأن يدرك من طرف القارئ من زاوية المعنى الواحد لكي يتحقق طابع التناص، الذي هو في حقيقة الأمر مظهر من مظاهر تداول المعنى في الأدب.

**ب– الطباق:**

ويسمى أيضا: التطبيق، والمطابقة. وهو أسلوب بلاغي يقوم على فكرة الثنائيات اللغوية التي تؤدي إلى إيضاح المعنى، وتقريب الصورة(2)، عن طريق الجمع بين المتضادين، أي معنيين متقابلين في الجملة. والتضاد النصي يقود حتما إلى المقابلات النصية التي تتضمن عادة أكثر من تضاد.

لقد تنبهت البنيوية ثم الأسلوبية إلى أهمية التضاد في بنية النص الأدبي، ولم يكتف البلاغيون برصد الثنائيات التي يقدمها المعجم اللغوي، بل امتد هذا الرصد

---

(1) قضايا الحداثة عند عبد القاهر الجرجاني، محمد عبد المطلب، شركة لونجمان–القاهرة، 1995، 150.

(2) معجم المصطلحات البلاغية، 260/2.

إلى الثنائيات التي يفرز السياق طبيعتها التقابلية و لم تحقق فيها حقيقة التضاد كما في قول الشاعر:

يَجْزُون من ظُلْم أهل الظُّلم مَغْفِرَةً     ومِن إسَاءَةِ أهْل السُّوءِ إحْساناً

إذ قابل بين "الظلم والمغفرة " وليس بينهما تضاد، ولكن تعامل البلاغيين مع بنية العمق أتاح للسياق أن ينتج التقابل بين الطرفين [1].

والطباق والمقابلة يدفعان البحث الأسلوبي لأن يكشف عن جماليات اللغة عبر تضاداتها التي تمنح المعنى إيقاعات دلالية تولد أبعادا مغايرة تهيمن على مجريات الأسلوب، وتحولاته الرافضة لكل ثبات دلالي.



(1) البلاغة العربية قراءة أخرى، 385.

# ملامح البحث الصوتي في الدّرس الصرفي عند ابن جني

——————

الدكتور لخضر روبحي - جامعة المسيلة – الجزائر

**ملخص :**

يعدّ أبو الفتح عثمان بن جني ( ت 392 هـ ) أوّل من خصّص للدّراسة الصوتية مؤلّفا مستقلا بعد أن كانت القضايا الصوتية تدرس مختلطة بغيرها من القضايا اللغوية ( نحوية و صرفية وبلاغية و نحوها )، حيث درس الأصوات و حدّد مخارجها و صفاها و سنّ العديد من المصطلحات الصوتية... كما يعدّ أيضا من أعظم علماء اللغة الذين بحثوا في اللغة بمستوياها المختلفة ، و قدّم نموذجا متميّزا في ملامح البحث الصوتي في الدّرس الصرفي من خلال اعتماده منهجا يقوم على الوصف و التحليل و الاستدلال العقلي، كاشفا من وراء ذلك بنية اللغة و أصولها، و انسجام أصواها، و مرونة اشتقاقها ..

**الكلمات المفاتيح**

الإعلال – الإبدال – الإدغام – القلب المكاني .

**Abstract**

**Abu Al-Fath Othmane Ibn Djeni** (died in **392** after the Hidjra) is considered the first and pioneer scholar in devoting a whole own book for studying phonetics, after a long time when the phonetic issues had been studied and mixed up with other linguistic issues ( grammatical , morphological and rhetorical…).

He studied the sounds, defining their places of articulation and their features, and listing a lot of phonetic terms.

He is also considered as one of the greatest linguists who effectively made great research in different levels of the language. Furthermore, he presented a particular model in the features of phonetic research into the morphological study,

relying on a method that combined description, analysis, and rational reasoning , and thus , he could discover the language structure and origins, sounds harmony and derivation flexibility.

**Key words**
Al-ilall – al-ibdal – al-idgham – al-calb Makani .

**Résumé**

**Abu Al-Fath Othmane Ibn Djeni** (décédé en **392** de l'Hégire) est considéré le premier et pionnier en consacrant un livre entier pour étudier la phonétique, après un long temps où les questions phonétiques avaient été étudiées et impliquées dans d'autres questions linguistiques (grammaticales, morphologiques et rhétoriques…).

Il étudiait les sons (phonèmes), définissant leurs lieux d'articulation et leurs caractéristiques, en énumérant plusieurs termes phonétiques.

**Ibn Djeni** est aussi vu comme un des grands linguistes qui effectivement faisait une grande recherche sur des différents niveaux du langage.

En plus de ça, il présentait un model particulier des distinctions de la recherche phonétique dans l'étude morphologique, en se basant sur une méthode qui combinait la description, l'analyse, et le raisonnement rationnel, et comme ça, il pouvait découvrir la structure et les origines du langage, l'harmonie des sons et la flexibilité de dérivation.

**Mots clés**
Al-ilall – al-ibdal – al-idgham – al-calb Makani .

**مقدمة :**

إنّ الاهتمام بالصوت اللغوي ليس أمرا جديدا، إنّما هو قديم قدم النطق الإنسانيّ . فإذا جئنا إلى علماء العربية نجدهم قد بذلوا جهدا عظيما في دراسة الأصوات، خدمة للغتهم، وحفاظا على القرآن الكريم من شبهة التحريف، فضلا عن كيفية قراءته قراءة سليمة لا يشوبها اللحن . لدرجة جعلت المستشرق الألماني

برجشتراسر يصرّح بقوله : " لم يسبق الأوربيين في هذه الدراسة ( يعني الأصوات ) إلا قومان : العرب و الهنود " (1) .

هذا الاهتمام الواسع ترجموه بإبداعهم في دراسة أصوات اللغة العربية الفصحى و لهجاتها المختلفة، فتحدثوا عن مخارج الأصوات و مدارجها ، كما تحدثوا عن صفاتها المتنوعة التي تصاحب الأصوات عند نطقها . و يتجلّى ذلك في ما صنعه الخليل و سيبويه و المبرّد و ابن جنّي و غيرهم من العلماء .

انتقيت من هؤلاء الأعلام ، اللغوي الشهير ابن جنّي ، فلقد كان له اهتمام خاص بملامح البحث الصوتي في الدرس الصرفي لإدراكه بأنّ الدرس اللغوي لا يفهم جزؤه دون وعي كامل بكل أبعاده . فكانت له تحليلات و آراء و تفسيرات، تدعونا – حقا – إلى الدهشة و الإعجاب ، تتسم بالدقة و حسن المذاق، وتقف على قدم المساواة مع ما توصلت إليه الدراسات الصوتية الحديثة ، على الرغم من الفارق الهائل من حيث الزمن من جهة ومن حيث إمكانات البحث و التحليل المتوافرة من جهة أخرى .

**و لنا الآن وقفة مع مجموعة من الظواهر الصرفية التي تعدّ من قبيل التغيرات الصوتية :**

**1 – الإدغام** : هو إدخال حرف في حرف آخر والنطق بالحرفين من مخرج واحد دفعة واحدة ، هدفه اختصار الجهد العضلي الذي يبذله المتكلم عند النطق بحرف واحد مرتين، فمن أجل التخفيف والتخلص من الثقل يدغم الحرفان معا أثناء النطق

**تعريفه :**

لغة :جاء في لسان العرب:" الإدغام هو الإدخال،وهو إدخال اللجام في أفواه الدواب. و هو إدخال حرف في حرف آخر، يقال: أدغمت الحرف ادّغمته على افتعلته " (2) .

اصطلاحا : الإدغام في اصطلاح التصريفيين : ضد الإظهار و هو النطق بحرفين – مثلين أو متقاربين – حرفا واحدا مشددا عليه ، و غالبا ما يكون الحرف الأول في الأصل ساكنا و الثاني متحرّكا دون أن يكون بينهما فاصل ، ثم تتم عملية إدغام الساكن الأول في الثاني . و يعرفه إبراهيم أنيس بقوله : " الإدغام هو فناء الصوت الأول في الثاني بحيث ينطق بالصوتين صوتا واحدا كالثاني، و هو لهذا تأثر رجعي" (3) .

و يدعم رأيه الطيب البكوش فيقول : " الإدغام هو نزعة صوتين إلى التماثل أي الاتصاف بصفات مشتركة تسهل اندماج أحدهما في الآخر، و يقع ذلك خاصة في الحروف المتقابلة المخارج" (4) .

يبين عبده الراجحي صورته بقوله:"الإدغام ضرب من التأثير الذي يقع بين الأصوات المتجاورة، و هو لا يكون إلا في نوعين من الأصوات هما :

– الصوتان المثلان كإدغام الكاف في مثل : سُكْكَر = سُكّر .

– الصوتان المتقاربان كإدغام اللام في الراء في مثل : قل ربي ( تنطق قُرّبي ) " (5)

**.الإدغام عند ابن جني :**

يعد ابن جني من بين العلماء الذين تفطنوا لهذه الظاهرة ، و يبدو أنه كان أكثرهم إدراكا لطبيعة هذه الظاهرة اللغوية كظاهرة صوتية، فهو يرى أن الإدغام تقريب صوتي. و قد ذكر ابن جني الإدغام في مواطن عديدة من كتبه، من ذلك ما جاء في كتابه الخصائص، إذ قام بتحديد مفهوم الإدغام بقوله : " هو تقريب صوت من صوت " (6). فالإدغام عنده ظاهرة تحدث بين الأصوات وتعني التقريب الصوتي .

أما أضربه فجعلها ضربين هما:

– إدغام المتماثلين : وهو على حد قوله : " أن يلتقي المثلان على الأحكام التي يكون عنها الإدغام، فيدغم الأول في الآخر، و الأول من الحرفين في ذلك على ضربين : ساكن ومتحرك، فالمدغم الساكن الأصل كطاء قَطَّعَ، وكاف سُكَّر الأولين ، والمتحرك نحو دال شَدَّ . ولام مُعْتَلٌّ " . شَدَّ أصلها شَدَدَ . ومُعْتَلَلٌ .

– إدغام المتقاربين : ويقول فيه : " أن يلتقي المتقاربان على الأحكام التي يسوغ معها الإدغام، فتقلب أحدهما إلى لفظ صاحبه فتدغمه فيه . وذلك مثل وَدٌّ في اللغة التميمية، وامَّحَى ، وامَّازَ ، واصبَّرَ و اثَّاقَلَ عنه " . وَدٌّ أصلها وَتَدٌ ، و امَّحَى أصلها امْتَحَى و امَّاز أصلها امْتاز ، واصبَّرَ أصلها اصْتَبَرَ . واثَّاقَلَ أصلها اثْتَاقَلَ .

ثم ذكر ابن جني كيفيته فقال : " ألا ترى أنك في قطَّع و نحوه قد أخفيت الساكن الأول في الثاني حتى نبا اللسان عنها نبوة واحدة ، وزالت الوقفة التي تكون في الأول لو لم تدغمه في الآخر " .

وعن حديثه عن البدل في تاء افتعل قال : " ومنهم من إذا كانت الفاء ظاء أبدل التاء طاء،ثم أبدل الظاء طاء ، و أدغم الطاء في الطاء فيقول : اطَّهَرَ بحاجتي ، و ظَلَمْتُهُ فاطَّلَمَ، وذلك لما بين الظاء و الطاء من مقاربة في الإطباق و الاستعلاء " (7) .

**2 – الإعلال :**

**تعريفه :**

لغة : جاء في لسان العرب : " يقال اعتلّ العليل علّة صعبة ، و العلة المرض . عَلّ يَعِلُّ و اعتلّ أي مرض فهو عليل .

و العلّة الحدث يشغل صاحبه عن حاجته كأن تلك العلة صارت شغلا ثانيا منعه من شغله الأول . و حروف العلّة و الاعتلال : الألف و الياء و الواو ، سميت بذلك للينها و موتها " (8) .

اصطلاحا : يعرف الشريف الجرجاني الإعلال بقوله : " هو تغيير حروف العلة للتخفيف ، فقولنا تغيير شامل له تخفيف الهمزة و الإبدال ، فلما قلنا حروف العلة خرج تخفيف الهمزة و بعض الإبدال مما ليس بحرف علة كأصيلال في أصيلان لقرب المخرج بينهما . و لما قلنا للتخفيف خرج نحو عألم في عالم ، فبين تخفيف الهمزة و الإعلال مباينة كلية لأنه تغيير حرف العلة . وبين الإبدال و الإعلال عموم وخصوص من وجه إذا وجد في نحو قال ، ووجد الإعلال بدون الإبدال في نحو يقول ، و الإبدال بدون الإعلال في أصيلان" (9) .

ونجد باحثا آخر يعرّف الإعلال على أنه : " تغيير حرف العلة بقلب أو حذف أو إسكان و حروف العلة الواو والياء و الألف . وقد اختلف في الهمزة قيل هو حرف صحيح و قيل حرف علة . و يخلص إلى أن تغييرها يسمى قلبا و لو لم نجعلها حرف علة، فالقلب إذن تغيير لحروف العلة و الهمزة " (10) . أي أنّ الإعلال يكون بالقلب أو بالحذف أو بالتسكين و يسمى ( النقل ) . و هو مقصور على حروف العلّة التي يحددها العرب بأنّها الألف و الواو و الياء ثم يلحقون بها الهمزة . و أوجز تعريف للإعلال نصه : " هو قلب حرف العلة أو تسكينه أو حذفه " (11) .

من كل ما تقدم يتضح أن الإعلال سببه الاستثقال أو طلب التخفيف، والمعروف على حروف العلة أنه ليست ثقيلة في نطقها، ولكن اجتماعها في صيغة صرفية واحدة هو الذي يسبب هذا الثقل، والإعلال هو الطريق للتخلص من هذا الثقل .

تقول فدوى محمد حسان في هذا الصدد : " أسباب قلب أصوات العلة بعضها من بعض ( أي الإعلال ) هي :

– طلب الخفة و التيسير في النطق، فإذا وجد في صيغة صرفية صوت علة مستثقل يمكن أن يبدل صوتا آخر، لأن الخفة مطلب رئيسي في اللغة العربية .

– الكثرة ، فما كثر أحق بالتخفيف، و لأصوات العلة كثرة لم تكن لغيرها، إذ لا تخلو كلمة من أصوات العلة أو من بعضها .

– المناسبة ، فإذا اجتمع في الكلمة صوت علة مع صائت لا يناسبه فإنه سرعان ما ينقلب إلى آخر ليتناسب مع الصوائت التي تجاوره " (12) .

**أقسام الإعلال :**

من تعريفات الإعلال يتضح أن له ثلاثة أقسام وهي :

أ – الإعلال بالحذف : و هو تأثير يصيب الحرف في حالات معينة يؤدي إلى حذفه من الكلمة .و يوجد في حالات نذكر منها : الفعل المثال الثلاثي بشرط أن تكون فاؤه واوا، وبشرط أن تكون العين مفتوحة في الماضي مكسورة في المضارع . فتحذف هذه الواو في المضارع و الأمر، مثل : وعد ، فهو فعل ثلاثي مثال أوّله واو، وعينه مفتوحة ، و مضارعه مكسورة العين، فتقول في المضارع ( يَوعِد ) فتحذف الواو ليصير الفعل يعد .

ب – الإعلال بالقلب : و هو قلب أحد أحرف العلة أو الهمزة حرفا آخر من هذه الأحرف مثل دُعاء ( أصلها دُعاو ) فقلبت الواو همزة، ورَضِيَ ( أصلها رَضَوَ ) فقلبت الواو ياء .

جـ – الإعلال بالنقل أو التسكين : و يسمى أيضا ( الإعلال بالنقل )، ويكون بتسكين حرف العلة بعد نقل حركته إلى الساكن الصحيح قبله مثل : يَقومُ ( أصلها يَقوُمُ ) .

**الإعلال عند ابن جني :**

تناول ابن جني ظاهرة الإعلال وتفطن إلى التغيرات الصوتية التي تطرأ عليه . يقول في ذلك " قلب الياء في موسِر ، و موقِن ، لسكونها وانضمام ما قبلها ، ولا توقّف في ثقل الياء الساكنة بعد الضمة ، لأنّ حالها في ذلك حال الواو الساكنة

بعد الكسرة ، و هذا — كما تراه — أمر يدعو الحس إليه ، ويحدو طلب الاستخفاف عليه " (13) .

وعلّل قلب الهمزة ياء بقوله : " وقد أبدلوا الهمزة ياء لغير علة إلا طلبا للتخفيف ، و ذلك قولهم في : قرأت قريت، وفي بدأت بديت ، وفي توضّأت توضّيت " (14) . كما فسّر علة الإعلال بالتسكين بقوله : " فأما من ذهب إلى أن يَقولُ و يَبيعُ و نحوهما إنما استثقلت الحركة فيهما في الواو والياء فنقلت إلى ما قبلهما فسكنتا، فغير معبوء بقوله، لأن الواو والياء إذا سكن ما قبلهما جرتا مجرى الصحيح ، فلم تستثقل فيهما الحركة " (15).

**3 – الإبدال** :

**تعريفه** : ذكرت المعاجم العربية أنّ الإبدال هو جعل شيء مكان آخر .

لغة : قال ابن منظور : " الأصل في الإبدال هو جعل الشيء مكان شيء آخر ، يقال أَبْدَلْتُ الخاتم بالحلقة إذا نحيت هذا وجعلت هذا مكانه " (16) .

أمّا اصطلاحا : عرّفه الشريف الجرجاني بقوله :" و هو أن يُجعل حرف موضع حرف آخر لدفع الثقل " (17) .

فالإبدال يكون لدفع الثقل و الحصول على بنية صرفية أسهل و أخف في الاستعمال. حيث أنّ الأصوات اللغوية الدور الأساسي فيه ، إذ هي التي يتم إبدالها بعضها من بعض، فعندما نتحدث عن إبدال الطاء من تاء الافتعال فيما كانت فاؤه أحد حروف الإطباق، فإنما نقصد إلى إبدال هذا الصوت من ذلك. و عليه فإنّ الإبدال يحدث غالبا من تفاعل الأصوات، والمقصود بالتفاعل ههنا هو التأثر و التأثير .

تناول ابن جني ظاهرة الإبدال في مواضع عديدة من كتبه ، و يعد كتابه سر صناعة الإعراب من أهم الكتب التي حوت بين دفتيها دراسات مستفيضة حول

ظاهرة الإبدال. حيث أن ابن جني كان يقف عند كل حرف و يبحث عن أحواله في كلام العرب ، ومن بين الأحوال التي كان يبحث عنها كون الحرف بدلا أو أصلا، وإذا كان بدلا فمما يُبدل .

– إبدال تاءِ افْتَعَلَ :

يقول ابن جني : " إن تاء افتعل إذا كانت فاؤه صادا أو ضادا أو طاء أ و ظاء تقلب طاء البتة و لابد من ذلك، و ذلك قولك : من الصَّبْر اصْطَبَرَ، ومن الضَّرْبِ اضْطَرَبَ ، ومن الظُّهْر اظْطَهَرَ بحاجتي " (18) .

و يعلل ابن جني سبب إبدال تاء افتعل طاء إذا كانت فاؤه صادا أو ضادا أو طاء أو ظاء هو أن هذه الأحرف مطبقة والتاء مخفتة ، قلوبها طاء لتكون أقرب من لفظ الصاد والضاد و الظاء ، واختاروا الطاء لأنها أخت التاء في المخرج و أخت الصاد و الضاد و الظاء في الإطباق و الاستعلاء .

يقول ابن جني في ذلك : " و أصل هذا كله اصْتَبَرَ و اضْتَرَبَ و اطْتَرَدَ و اظْتَهَرَ ، ولكنهم لما رأوا التاء بعد هذه الأحرف ، والتاء مهموسة، وهذه الأحرف مطبقة، والتاء مخفتة، قربوها من لفظ الصاد و الضاد والطاء، بأن قلبوها إلى أقرب الحروف منهن، وهو الطاء، لأن الطاء أخت التاء في المخرج، وأخت هؤلاء الأحرف في الإطباق و الاستعلاء، وقلبوها مع الطاء طاء أيضا ، لتوافقها في الجهر والاستعلاء، وليكون الصوت متفقا " (19).

و يعلل ابن جني إبدال تاء افتعل دالا إذا كانت فاؤه زايا أو ذالا بقوله :" ازْدَجَرَ أصلها ازْتَجَرَ ، و الزاي مجهورة و التاء مهموسة فقلبوا التاء دالا لتوافق الزاي في الجهر" (20) .

و يضيف : "اذَّكَرَ أصله اذْتَكَرَ ، و الذال مجهورة و التاء مهموسة فأبدلوا التاء ذالا لتوافق الذال في الجهر " (21) .

فابن جني اعتمد في تفسيره إبدال فاء افتعل على صفات الأصوات التي تجاور الفاء ، و تأثير هذه الأصوات على الفاء ، هذا التأثير الذي يدعو إلى التماثل الجزئي أو الكلي . ويرى ابن جني أن الإبدال يكون لتقريب صوت من صوت آخر فيقول: " و نحو من هذا التقريب في الصوت قولهم في سَبَقْتُ : صَبَقْتُ و في سُقْتُ صُقْتُ، وفي سَمْلَق صَمْلَق : وفي سُوَيْق صُوَيْق ، وذلك أن القاف حرف مستعل و السين حرف غير مستعل ، إلا أنها أخت الصاد المستعلية فقربوا السين من القاف بأن قلبوها إلى أقرب الحروف إلى القاف من مخرج السين و هو الصاد " (22) .

ومن الإبدال أيضا إبدال الميم من الواو يقول فيه:" أما إبدالها من الواو فقولهم فَمٌ، و أصله فَوْهٌ بوزن سَوْطٌ فحذفت الهاء للتخفيف فلما بقي الاسم على حرفين الثاني منهما حرف لين كرهوا حذفه للتنوين ، فأبدلوا من الواو ميما لقرب الميم من الواو لأنهما شفهيتان" (23) . فالتعليل هنا صوتي واضح لاعتماده على صفة ومخرج الصوتين الميم والواو .

ومن مواضع التغاير الصوتي في العربية ما يقع بإبدال أحد الصوتين الصامتين المدغمين في ( المضعّف ) مثل : دوّان – ديوان . وكذلك التأثير المقبل، و هو أن يتغير الصوت اللاحق في الكلمة ليماثل الصوت السابق، أي أنّ الصوت المتقدم في السلسلة الصوتية للبنية اللغوية الدالة هو الصوت المؤثر في الصوت الذي يأتي بعده، و ذلك بأن يتحول اللاحق ليماثل الصوت السابق عليه . فنقول في بناء ( زاد ) على ( افتعل )–ازتادد– ازداد .

### 4 – القلب المكاني :

**تعريفه** :

لغة : جاء في لسان العرب : " القَلْبُ تحويل الشيء عن وجهه. و قَلَبَ الشيء حوَّله ظهرا لبطن " (24)

اصطلاحا : هو تبادل الأصوات المتجاورة أماكنها في السلسة الكلامية . [(25)]

أما أسبابه : طلب الخفة، كما في : جاءٍ، اسم فاعل من جاء، و أصله جائئ، اجتمعت همزتان في الطرف، فقدمت الثانية . و كذلك التخلص من مستقبح الكلام، كما في كلمة: أشياء ، جمع شيء فقدمت الهمزة الأولى التي هي لام الكلمة على الفاء .

وقد اختلف العلماء في حقيقته، فهذه الكوفيون إلى أنه واقع في كل كلمتين اتحدا معناها واختلف ترتيب حروفهما، مثل: جذب وجبذ، فإنهما بمعنى واحد. وذهب سيبويه وجمهور البصريين إلى أنّ القلب المكاني لا يقع إلا في الكلمتين اللتين ترجعان إلى أصل واحد، وعلى هذا فإنّ"جبذت ونحوه فليس فيه قلب، وكل واحد منها على حدته، لأنّ ذلك يطّرد فيها في كل معنى، ويتصرف الفعل فيه " [(26)] .

والقلب المكاني منهج يستعمله اللغويون العرب في تحليل بعض الألفاظ التي خرجت عن المنهج الأساسي المتمثل في الميزان الصرفي. وذلك مثل كلمة أشياء جمع شيء التي أصلها شَيْئاء بوزن فَعْلاء. وبالقلب المكاني أصبحت أشياء .

**القلب المكاني عند ابن جني :**

ذهب العلامة أبو الفتح ابن جني إلى القول: " اعلم أنّ كل لفظين وجد فيهما تقديم أو تأخير فأمكن أن يكونا جميعا أصلين ليس أحدهما مقلوبا عن صاحبه فهو القياس الذي لا يجوز غيره، و إن لم يكن ذلك حكمت بأنّ أحدهما مقلوب عن صاحبه ...وذلك أنهما جميعا يتصرفان تصرفا واحدا، نحو: جذب يجذب جذبا فهو جاذب، والمفعول مجذوب، فإن جعلت مع هذا أحدهما أصلا لصاحبه فسد ذلك، لأنك لو فعلت لم يكن أحدهما أسعد بهذه الحال من الآخر، فإذا وقفت الحال بينهما و لو يؤثر بالمزيّة أحدهما و جب أن يتوازيا و أن يماثلا

لصفحتيهما معا و كذلك ما هذه سبيله فإن قصر أحدهما عن صاحبه و لم يساوه فيه لكان أوسعهما تصرّفا أصلا لصاحبه " (27) .

يرى ابن جني أنه إن وجد لفظان فيهما تقديم و تأخير، فأمكن أن يكونا جميعا أصلين ليس أحدهما مقلوبا عن صاحبه، ثم رأيت أيهما الأصل و أيهما الفرع(27)

وطريقه إلى معرفة اللفظين أصلين أم أحدهما مقلوب عن الآخر هو البحث عن تصريفاتهما فإن كانا يتصرفان تصرفا واحدا كانا أصلين و إن قصّر أحدهما عن تصرف الآخر . كان أوسعها تصرفا أصلا و الآخر مقلوبا عنه .

وكذلك قولهم :" اِمْضَحَلَّ و هو مقلوب عن اِضْمَحَلَّ . ألا ترى أن المصدر إنما هو على اِضْمَحَلَّ و هو الاِضْمِحْلال . و لا يقولون اِمْضِحْلال "(28) .
أيضا الطادي من الواطِد و هو الفاعل من وَطَدَ يَطِدُ ، أي ثَبَتَ . فقلب عن ( فاعل ) إلى ( عالف) (29) .

هذا الحديث العلمي الممتع يدلّ على وعي كامل من ابن جني، حيث تفطّن إلى هذه الظواهر و علّلها بتعليلات صوتية. ويأتي الانسجام الصوتي كنتيجة في هذه الملامح دفعا للثقل الذي يعتري الألفاظ نتيجة تجاور بعض الحروف.

وهكذا يتضح أنّ الدرس الصوتي عند العرب فاق بسعته و عمقه و تعدد مجالاته درسه و تطبيقه كل ما عرفه علم اللغة حتى العصر الحديث. فالدّارس يرى أنّ ما جاء به ابن جني متّفق عبقرية هذا الرّائد الذي أقام صرح الدرس الصوتي عند العرب و شقّق مسائله و ابتدع أصوله، وصار وسيلة لفهم التغيرات الصرفية كالإعلال و الإبدال و الإدغام و القلب المكاني.

**الهوامــش :**

**1 – د . حسام البهنساوي : التراث اللغوي العربي في علم اللغة الحديث، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة ، ط 1 ، 2004 ، ص 6 .**

2 – ابن منظور : لسان العرب ، تح خالد رشيد القاضي ، دار الأبحاث للنشر ، الجزائر ، ط 1 ،2008 ، ج 4 ، ص 358 ، مادة ( د غ م ) .

3 – إبراهيم أنيس : الأصوات اللغوية ، مكتبة نهضة مصر ، د ط ، د ت ، ص 116 .

4 – طيب البكوش : التصريف العربي من خلال علم الأصوات الحديث ، المطبعة العربية ، تونس ، ط3 ، 1992 ، ص 67 .

5– عبده الراجحي : التطبيق الصرفي ، دار المعرفة الجامعية ، الإسكندرية مصر ، ط 2 ، د ت ، ص 195 .

6 – ابن جني : الخصائص ، تح محمد علي النجار ، دار الكتب المصرية ، د ط ، 1376 هـ 1957م ، ج 2 ، ص 92 .

7 – المصدر نفسه : ج 1 ، ص 230 .

8 – ابن منظور : لسان العرب ، ج 2 ، ص 359 .

9 – الشريف الجرجاني : التعريفات ، المطبعة الخيرية ، مصر ، ط 1 ، د ت ، ص 14 .

10 – عمر بوحفص الزموري : فتح اللطيف في التصريف على البسط والتعريف ، دار الهدى ، عين مليلة الجزائر ، د ط ، د ت ، ص 245 .

11 – جورجي شاهين عطية : سلم اللسان في الصرف و النحو و البيان ، دار ريحاني ، بيروت لبنان، ط 4، د ت ، ص 63 .

12 – فدوى محمد حسان : أثر الانسجام الصوتي في البنية اللغوية في القرآن الكريم ، عالم الكتب الحديث ، إربد الأردن ، ط 1 ، 2011 م .

13 – ابن جني : الخصائص ، ج1 ، ص 58 .

14 – ابن جني : سر صناعة الإعراب ، تح محمد حسن إسماعيل وأحمد رشدي شحاتة عمر ، دار الكتب العلمية ، بيروت لبنان ، ط1 ، 1421 هـ / 2000 م ، مج 2 ، ص 369 .

15 – ابن جني : المنصف ، تح محمد عبد القادر أحمد عطاء ، دار الكتب العلمية ، بيروت لبنان ، ط 1 ، 1419 هـ / 1999 م ، ص 223 .

16– ابن منظور : لسان العرب ، ج 1 ، ص 327 .

17 – الشريف الجرجاني : التعريفات ، ص 2 .

18 – ابن جني : سر صناعة الإعراب ، مج 1 ، ص 229 .

19– المصدر نفسه : ص 229 .

20– ابن جني : المنصف ، ص 545 .

**21** – المصدر نفسه : ص **546** .

**22** – ابن جني : سر صناعة الإعراب ، مج **1** ، ص **198** .

**23**– المصدر نفسه : مج **2** ، ص **89 – 90** .

**24**– ابن منظور : لسان العرب ، ج **11** ، ص **243** . مادة ( ق ل ب ) .

**25** – أحمد مختار عمر : دراسة الصوت اللغوي ، ص **335** .

**26** – سيبويه : الكتاب،تحقيق عبد السلام هارون،ج**3** ، ص **380** .

**27** – ابن جني : الخصائص ، ج **1** ، ص **467** .

**27** – المصدر نفسه : ج **2** ، ص **47** .

**28** – المصدر نفسه : ج **2** ، ص **49** .

**29** – المصدر نفسه : ج**2** ، ص **52** .



# مقالات

# في الأدب و النـقد

# نماذج حَيَّة مِن إشكاليَّة التَّجنيس في القصَّة الأردنيَّة

----------

الدكتور أحمد حمد النعيمي – جامعة البلقاء التّطبيقيّة – الأردن

**الملخَّــص :**

تَبْحَثُ هذه الدِّراسة في إشكاليَّة التَّجنيس في القصَّة الأردنيَّة، وقد اتَّخَذَتْ مِن ثلاثة كتب قصصيَّة وسيلة لإثبات أطروحتها، أمَّا هذه الكتب فهي: "تحولات سلمان التايه ومكابداته" لخليل السواحري، و "الذي قال أخ أولاً" لسليمان الأزرعي، و "بعد خراب الحافلة" لسعود قبيلات.

وتَبَيَّن للدِّراسة أنَّ بعض الكُتب القصصيّة صعبة التَّصنيف، وقد تكون للرواية أقرب بخلاف مَا يعطيه الإنطباع الأوَّل بأنَّها للقصَّة أقرب. وخَلُصَتْ الدِّراسة إلى أنَّه لا ضَيْرَ مِن أنْ نَمْنَح بعض السَّرديات امتيازاً خاصاً، بحيث يمكننا الحديث عنها حين نتحدَّث عَن القصّة، وحين نتحدث عن الرّواية.

**Live Models** of Problematic Genre in the Story of Jordan

**Abstract**

This study examines the problematic Genre in the story of Jordan, it has taken three story books a way to prove its thesis, these books are: "Tahawolat Salman Al tayeh Wa Mokabadatoh" Khalil Assawaheri, and " Who feel the pain first" to Salman Alazroaei, and "After the destruction of the bus" to Saud Eqbilat.

The study found that some of the books are tough to genre, its closer to be a novel than what it gives in first impression that its closer to a story. The study concluded that it does not hurt to give some special privilege narratives, so that we can talk about it when we talk about a story, and when we talk about a novel.

**المُقَــدِّمَة :**

منذ أنْ صدرت "سداسيَّة الأيام الستة" للكاتب الفلسطيني إميل حبيبي في أعقاب نكسة حزيران عام 1967، وقد أثارت عاصفة مِن القراءات النقديَّة لم تهدأ لليوم، وعلى الرغم مِنْ أنَّ هذه العاصفة اتخذت وجوهاً عدّة، فإنَّ إشكالية التَّجنيس كانت وجهاً مِن هذه الوجوه؛ ذلك أنَّ هذا الكتاب السَّردي حيّر النُّقاد والدارسين، وهو الأمر الذي كان قد دفع الدكتور حسني محمود– رحمه الله– لنشر بحث في مجلة علامات بعنوان: "سداسية الأيام السِّتة: الجنس الأدبي؟" رصد فيه اختلافات الباحثين حول الجنس الأدبي للسداسية، فمنهم من رآها رواية، ومنهم من رآها مجموعة قصص، أو لوحات قصصية. وقد أعاد الدكتور حسني محمود نشر البحث نفسه في كتابه الذي حَمَلَ عنوان "سداسية الأيام الستة: الرؤية والدِّلالة والبنية الفنيَّة"، وهو الكتاب الذي صدر عن وزارة الثقافة في الأردن بعد أشهر مِن وفاة صاحبه في عام 2002[1].

وإذا كان إميل حبيبي رائداً في كتابة شكل سردي بدا عصياً على التصنيف، فإنَّه لم يكن الأخير في هذا الاتجاه، فقد بَرَزَ في الأردن مبدعون كُثُرٌ في كتابة أعمال سردية بَدَتْ عصية على التصنيف أيضاً، خاصَّة حين يتعلق الأمر بالالتباس بين اللوحات القصصيَّة والرِّواية، ومِن هؤلاء على سبيل المثال خليل السواحري[2] في كتابه الذي حمل عنوان:"تحولات سلمان التايه ومكابداته" الصادر عن دار الكرمل في عمّان عام 1996، وكتاب "الذي قال أخ أولاً" لسيمان الأزرعي[3]، الصادر عن المؤسسة العربيَّة للدراسات والنِّشر، عام 1997، وكتاب "بعد خراب الحافلة"لسعود قبيلات[4]الصادر عن المؤسسة العربيّة للدِّراسات والنَّشر عام 2002.

**تحولات سلمان التايه: وجَعٌ في الزَمان وحنين إلى المكان :**

يدور الزمن الكرونولوجي لقصص هذه المجموعة في الفترة ما بين أيار1993 وكانون الأول1995، وهي الفترة التي زار فيها الكاتب خليل السواحري وطنه الأصلي (فلسطين) ضمن أوَّل دفعة تعود مِن المبعدين بَعْدَ اتفاق أوسلو، وبذلك فإنَّ مكان القصص جميعها فلسطين المحتلة، أمّا الموضوع فمكابدات الإنسان الفلسطيني وآلامه تحت الاحتلال مِن جهة، والحنين إلى الوطن مِن جهة ثانية: "هذا بحر يافا.. وأشار بيده إلى المدى الأزرق الفسيح الذي ترتطم فوق أمواجه الهادئة أشعة شمس توشك على السقوط"[5].

إنَّ القاص في الوضع المألوف يكتب قصصه إثر مكابدات وملاحظات ومشاهدات شتى يعيشها أو يلامسها في الحياة، لتنصهر على شكل قصَّة، بعد أنْ تختمر فكرها وأحداثها في ذهن كاتبها، ثم يعمد بعد أنْ تتوفر له مجموعة مِن النِّصوص إلى جمعها في كتاب؛ لذلك تعودنا على مجاميع قصصيَّة تضمُّ قصصاً متباينة المواضيع والمضامين، وأشكال السَّرد، بحيث يكتبها كاتبوها لمعالجة مواضيع شتى في الحياة، ولا يربط بينها أيّ رابط سوى أنّها بين دفتي كتاب واحد، وهو أمر له ما يبرره في عالم القصَّة القصيرة، غير أنّ الأمر هنا مختلف إلى حدّ ما، حيث نَجد في ما كتبه السواحري شيئاً من السيرة الذَّاتية وشيئاً من التَّركيبة الروائيَّة، ووجهاً من وجوه القصص القصيرة، "فلم تَعُد الرِّواية العربيَّة الحديثة تقتصر على مجرَّد القَصِّ والعرض التّاريخي للأحداث، بل سلَكَتْ مسالك تطوريَّة ممتعدِّدة، متأثِّرة بالمناهج النقديَّة الحديثة، مِن حيث بناؤها بأبعادها التَّشكيليَّة المختلفة"[6]، وقَدْ سلك كتاب "الذي قال آخ أولاً" هذا المسلك أيضاً.

**الذي قال آخ أولاً: سِجْنٌ وقصَّة**

ومن الأعمال السردية التي تثير اشكالية في تجنيسها وتصنيفها كتاب: "الذي قال آخ أولاً" للأديب والباحث الأردني الدكتور سليمان الأزرعي، حيث وفّر السجن مكاناً خصباً لهذا العمل السردي، ونَهَضَ بفضائه القصصي والإنساني، واستطاع المؤلِّف مِن خِلاله أنْ يتغلغل في العالم الدَّاخلي للسجين أثناء صموده وأثناء انهياره.

وبذلك يشكّل السِّجن الفضاء المكاني لل" الذي قال آخ أولاً"، فهو المكان الذي جرت فيه الأحداث جميعها باستثناء قصة الباحثة التي دارت أحداثها بعد خروج السجين مباشرة، أي بينما كان هذا الأخير ما يزال مشدوداً إلى تجربته المرّة، "وهذا مِن شأنه أنْ يُتيح مساحَة للمتلقي، بحيث يستطيع أنْ ينفذ إلى مَا وراء النَّص ليبني على أنقاضه نصَّاً أو نصوصاً أخرى بوساطة براعته التأويليَّة وقراءته التي يستند فيها إلى اللغة على اعتبار أنَّها لوحة مقروءة يستخلص مِنها رؤاه وتصوراته للواقع بكل معطياته"[7].

وهذا الكتاب كسابقه إذ سرعان ما يُدْرِكُ قارئه أنّه أمام عمل سردي غير واضح الملامح من حيث التَّجنيس والتَّصنيف، فإنْ أراده رواية فهو كذلك، وإنْ أراده مجموعة قصصيَّة، أو لوحات قصصيَّة فهو كذلك أيضاً، غَيْرَ أنَّ أفضل طريق لقراءة هذين العملين، هي النَّظر إليهما مِن زاوية واحدة، وهذا ما ستفعله هذه الدِّراسة تالياً.

**تحولات سلمان التاية والذي قال آخ : سِمَاتٌ مشتركة**

ينبغي الإشارة في البداية إلى أنَّ الخطاب القصصي في كِتَابَي (الذي قال آخ أولاً) لسليمان الأزرعي، و(تحولات سلمان التايه ومكابداته) لخليل الســـواحري، فيه مِن السِّمات المشتركة في الشَّكل وطريقة تناول المواضيع، وبالتالي المضـــامين

على اختلافها الشيء الكثير، وليس الغرض هنا عقد مقارنة بين خطابيهما القصصيين بقدر ما تفرض هذه المقارنة نفسها على القراءة، وخاصَّة في ثلاثة محاور رئيسية هي: وحدة الزمان، ووحدة المكان، ووحدة الموضوع، وهناك محاور فرعية مثل: الأسلوب، واللغة، والسرد، والحوار.

فالزمن الخارجي في قصص مجموعة (الذي قال آخ أولاً) ينحصر في: فترة ملاحقة الشيوعيين واعتقالهم، والمكان – باستثناء قصة الباحثة التي دارت أحداثها بعد خروج السَّجين مباشرة– عبارة عن مكان واحد ألا وهو السِّجن، أمّا الموضوع فهو مكابدات السجين وآلامه، تلك الآلام التي تغزوه من جهتين: السجن الخارجي المتمثل بالقضبان، والسِّجن الداخلي– الذَّاتي المُتمثِّل في الجمود العقائدي للسَّجين.

وأودّ هنا أنْ أتوقّف عند المكان، فالمكان لا يعيش منعزلاً عن باقي عناصر السرد، وإنّما يدخل في علاقات متعددة مع المكونات الحكائيَّة الأُخرى للسَّرد كالشَّخصيات، والأحداث والرؤيات السرديّة... وعدم النظر إليه ضِمْن هذه العلاقات والصلات التي يقيمها يَجْعَل مِن العسير فهم الدور النّصي الذي ينهض به الفضاء الروائي داخل السّرد[8].

ولعلَّ "التأمل في فضاء السجن بوصفه عَالَمَاً مفارقاً لعَالم الحريّة خارج الأسوار، قد شكّل مادة خصبة للروائيين في التحليل وإصدار الانطباعات التي تفيدنا في فهم الوظيفة الدِّلالية التي ينهض بها السجن، كفضاء روائي مُعَدّ لإقامة الشخصيات خلال فترة معلومة، إقامة جبريَّة، غير اختياريَّة في شروط عقابية صارمة"[9].

وقد أثبتت مجموعة (الذي قال آخ أولاً) أنّ تلك المادة الخصبة التي وفّرها السجن كموضوع لم تعد حكراً على الرِّواية بشكلها التَّقليدي، فالقصة أو النَّص الجيد قادر على أنْ يحمل تلك المادة، وأن يفيدنا –أيضاً– في فهم الوظيفة الدِّلالية

التي ينهض بها السِّجن كفضاء قصصي، كما أنّ النَّص الجيد – بِصَرْفِ النَّظر عَن تصنيفه– قادر على أنْ يعكس الحالات الشعورية المتباينة التي يعيشها السَّجين، وأنْ تتغلغل في عالمه الجوّاني أثناء صموده وأثناء انهياره. وبالإضافة إلى ذلك، "يشـكّل السِّجن نقطة انتقال مِن الخارج إلى الدَّاخل، ومِن العَالَم إلى الذَّات بالنسبة للنّزيل، بما يتضمنه ذلك الانتقال من تحول في القيم والعادات، وإثقال لكاهله بالإلزامات والمحظورات، فما إنْ تطأ أقدام النّزيل عتبة السجن مخلفاً وراءه عالم الحرية، حتى تبدأ سلسلة العذابات التي لن تنتهي سوى بالإفراج عنه"[10]. وهذا بالضبط ما حصل لسُجناء مجموعة (الذي قال آخ أوّلاً).

أمّا عن كتاب (تحوّلات سليمان التايه ومكابداته) لخليل السواحري، فإنّ زمنه الكرونولوجي يقع في الفترة ما بين أيار 1993 وكانون الأوّل 1995، وهي الفترة التي زار فيها الكاتب وطنه، ضمن أول دفعة تعود من المبعدين بعد اتفاق أوسلو. أمّا المكان فهو أرض فلسطين المحتلة، وبطبيعة الحال فإنّ الموضوع هو مكابدات الإنسان الفلسطيني وآلامه تحت الاحتلال.

وكما توقفنا عند المكان في كتاب الأزرعي، فإننا سنتوقف عنده في كتاب السواحري، إذْ إنّ المكان في كتاب الأزرعي كان يُصَنّف ضمن أماكن الإقامة، وعلى وجه الدّقة ضمن "أماكن الإقامة الجبريَّة". أمّا المكان عند السواحري فَيُصَنّف ضمن أماكن الانتقال، وعلى وجه الدقة "أماكن الانتقال العمومية: فضاء الأحياء".

إنّ "الأحياء والشوارع تُعْتَبر أماكن انتقال ومرور نموذجية، فهي التي تشهد حركة الشخصيات، وتشكّل مسرحاً لغدوها ورواحها عندما تغادر أماكن إقامتها، أو عملها، وتمدنا دراسة هذه الفضاءات الانتقالية المبثوثة هنا وهناك في الخطاب الروائي بمادة غزيرة من الصور والمفاهيم، تساعدنا على تحديد السمة أو السمات

الأساسية التي تتّصف بها تلك الفضاءات، وبالتالي الإمساك بما هو جوهري فيها، أي مجموع القيم والدّلالات المتصلة بها"[11].

وقد أثبت كتاب (تحولات سلمان التايه ومكابداته) أنّ مثل هذا الفضاء المكاني ليس حكراً على الرواية، ولكنَّ القصة – حتى لو عَانَت مِن إشكالية التَّجنيس- قادرة على التعامل معه، والتغلغل فيه وتصويره، بما يضمن التأثير بالمتلقي:

"هذا هو بحر يافا! وأشار بيده إلى المدى الأزرق الفسيح الذي ترتطم فوق أمواجه الهادئة أشعة شمس توشك على السقوط"[12].

هذا من حيث المكان، والزمان، والموضوع، وقد تحقّقت في قصص كل من الكتابين، وهو ما يندر أن نجده في كتاب قصصي، فقد تعودنا على مجاميع قصصية متباينة المواضيع والمضامين، وأشكال السرد... يكتبها كاتبوها لمعالجة مواضيع شتى في الحياة، ولا يربط بينها أي رابط سوى أنّها بين دفتي كتاب واحد، وهو أمر له ما يبرره في عالم القصة القصيرة.

ولذلك فقد كان خروج السواحري والأزرعي عن هذا النسق أمراً لافتاً للنَّظر، ممَّا استحقّ هذه الوقفة عند مجموعتيهما، فالقاص في الوضع المألوف يكتب قصصه إثر مكابدات وملاحظات ومشاهدات شتّى يعيشها أو يلامسها في الحياة، لتنصهر على شكل قصَّة، بعد أنْ تختمر فكرتها وأحداثها في ذهن كاتبها، ثم يعمد بعد أنْ تتوفر له مجموعة من النصوص إلى جمعها في كتاب، لكن ما فعله الأزرعي والسواحري -كما أسلفنا- كان شيئاً مختلفاً إلى حد بعيد.

إذن، رغم أنّنا أمام كتابين قصصيتين مختلفتين، إلاّ أنّنا مع كل كتاب نكون أمام همٍّ واحد، وألمٍ واحد، ولعلَّ في عنوانَيّ الكتابين، مَا يساعدنا على

الفهم، حيث يشترك كل من العنوانين في طرح الألم كموضوع أساسي، ويمكن النظر إليهما كالآتي:

الذي قال آخ أولاً = الذي تألّم أوّلاً.

**تحولات سلمان التايه ومكابداته = آلام سلمان التايه.**

الآن، وبما أنّ الشيء المشترك بين الكتابين أنّ كلاً مِن الكاتبين كَتَبَ أحداثاً حقيقية عاشها في فترة زمنية معينة، فقد يتساءل البعض: هل يمكن إدراج ما كتباه ضمن السيرة الذاتية بالنسبة للسواحري، والسيرة الذاتية والغيرية –إلى حد ما– بالنسبة للأزرعي؟ هل نعتبر ما كتباه "ظل رواية" إنْ جازت التسمية؟

مِن محاسن الصدف أنْ نجد في كل واحدة من الكتابين قصة تنتمي إلى جنس القصة الطويلة ذات النفس الروائي، ففي كتاب سليمان الأزرعي التي نَجِدُ قصة بعنوان "الرحلة" زاد عدد صفحاتها عن أربعين صفحة، وقسمها القاص إلى جزأين؛ الأوّل: "وشم على ساعد سجين" ويتكون من أربعة مقاطع، في حين جاء الجزء الثاني: "سائق المدحلة" في ثلاثة مقاطع، وفي كتاب خليل السواحري نَجِدُ قِصّة "أوراق سلمان التايه" وقد زاد عدد صفحاتها عن أربعين صفحة أيضاً، وجاءت في اثنتي عشر مقطعاً.

وإذا ما انتقلنا إلى محاور أخرى في هذه الدراسة، فسوف نجد أنّ كلاًّ من الكاتبين انتهج الأسلوب الواقعي، واستطاع أنْ ينقل مِن خلاله جوانية شخصياته ويغوص في أعماقها.

ويعود ذلك إلى سببين أوّلهما أنّ الكاتبين من كتّاب الواقعية أصلاً، وثانيهما طبيعة المواضيع والمضامين التي تناولاها، فالسجن والاحتلال لا يُمْكن إلاَّ أنْ يكونا واقعيين، أمّا فيما يخص اللغة "السرد والحوار" فقد ابتعدا عن اللغة

الشِّعريَّة، واقتربا كثيراً مِن اللغة الكلاسيكيَّة مع محافظتهما على جمـــال التصـــوير والتوصيف، فيما جاء الحوار مناسباً لطبيعة الشخصيات التي تفوهت به.

لقد أصرَّ الأزرعي في كتابه على مناقشة فكرة الجمود العقائدي للسجين، فكما "أنَّه لا أحد بإمكانه أنْ يعيش سعيداً بمجرَّد أنْ يتخيّل السَّعادة"[13]، فإنّه لا أحد يستطيع أنْ يعيش حراً بمجرد أن يتخيل الحريّة؛ لذلك نَجدُ السجين سجينين سجين الذات، وسجين الآخر، أمّا سجن الذّات فقد بلغ مِن الجمود درجة جعلت السجين يدخل لعبة عض الأصابع مع ابنه: "كنتُ أطلبُ إلى طفلي الأصـــغر أن يضع سبابته في فمي، ثم يبدأ العد: واحد، اثنان، ثلاثة.. ويُطبق كل مِنا أسنانه على إصبع الآخر"[14]، في حين اتَّخذ السواحري مِن الإنسان الذي يسعى للخلاص مِن وطأة الاحتلال الثقيلة رمزاً آخر ذا معنى كوني، ولعله في هذا كان يسعى للإيحـــاء بأنَّ المشاكل الإنسانية يمكن حلُّها مهما طالت[15].

بقي أنْ أُشير إلى أنّ الأزرعي استخدم في خطابه القصصي ضمير المتكلم، في حين استخدم السواحري ضمير الغائب، وأنّ عنصر التشويق ميزة أُخرى تُضاف إلى الكتابين اللذين لا شيء يضمن وضعهما في قالـــب محـــدد، أو إرســـالهما إلى تصنيف بعينه.

**بَعْدَ خراب الحافلة: إشكالياتان في كتاب واحد**

**أولاً: الغِلاف**

أمّا كتاب "بعد خراب الحافلة" لسعود قبيلات والصادر عن المؤسسة العربيَّة للدِّراسات والنَّشر عام 2002، فيثير اشكاليتين في آن واحد، وتتمثل الاشكاليَّة الأولى في علاقة الغلاف بمحتوى الكتاب: هل الغلاف مجرّد وسيلة لحفظ الأوراق

التي يتكّون منها الكتاب، أم أنَّ له علاقة مباشرة بمضمونه، بحيث يحمل رموزاً، وإشارات، ومدلولات ، وعبارات تفتح أبواباً لفهم المحتوى؟ .

والاشكاليَّة الثانية التي يثيرها الكتاب هي اشكالية التَّجنيس: مَا الذي قَدَّمَه سعود قبيلات لنا: مجموعة قصصية؟ رواية؟ أم غير ذلك؟.

إنَّ النَّظر إلى غلاف "بعد خراب الحافلة" يوحي لنا بأنَّ للكتاب مؤلفين اثنين، الأول هو سعود نفسه، الذي ورد اسمه على الغلاف الأمامي بشكل واضح، والثاني هو عابر السبيل، الذي أخبرنا– وعلى الغلاف نفسه– بأنَّه ليس ثّمة دليل على صحة ادعاء سعود بأنه مؤلف الكتاب. ولعلَّ عابر السبيل الذي يَرِدُ اسمه على الغلاف كنكرة "عابر سبيل" يملك قدرة مهولة على التأثير في المؤلِّف الأوَّل "سعود"، ودليل ذلك ما نَجده على الغلاف الخلفي، حيث نَجِد صورة لسعود وهو طفل، ثمّ نقرأ بجانب الصورة ما يلي: "صورة التِّمثال في صباه"، وتحت هذه العبارة نَجِد شرحاً للأسباب التي دعت عابر السبيل لأنْ يطلب مِن التِّمثال صورة على هذه الشاكلة كي يضعها على غلاف الكتاب، ثم يأتي تذييل الكلام مِن جديد باسم عابر سبيل، بحيث يصبح هذا العابر الشخصية الأقوى والأكثر حضوراً في الكتاب وعلى غلافه، وحتى في مقدمته التي نجدها موقعة باسمه.

ولعلَّ سعود قبيلات كان يرمي مِن وراء إعطاء عابر السبيل كل هذا الدَّور إلى التَّأكيد على أكثر مِن مسألة، فمصطلح عابر سبيل يشعرنا بأنَّ الحياة إلى زوال، كما يشعرنا بأنَّنا أمام إنسان يقول كلمته ويمضي، بَعْدَ أنْ يُوحي لنا بأنَّ هذا العابر ليس كأيِّ عابر آخر.

أمّا عن التِّمثال فعلى الرّغم مِن وروده كمروي عنه، فإنَّه لم يكن سلبياً في هذا الاتجاه، بل بل كان له دور ومشاركة ووجهة نظر، وما ورد على غلاف

الكتاب يؤكد هذا الأمر، فحين طلب منه عابر السبيل صورة كي يضعها على الغلاف فَاجَأَهُ التمثال باستخراج صورة التُقطت له وهو صغير.

إنَّ في مثل هذه المكونات الكثيرة للغلاف ما يؤكِّد بأنَّ الغلاف له علاقة مباشرة بالمحتوى وقد يكون ذا تأثير كبير فيه، كما أنّه قد يَحْمِل المؤشرات والمفاتيح الأولى لما سوف يرويه لنا الكتاب.

**ثانياً: إشكاليّة التّجنس**

من ناحية ثانية تبدو اشكالية التجنيس واضحة في "بعد خراب الحافلة"؛ ذلك أنَّه بإمكان القارىء أو الدِّارس أنْ يصنف الكتاب على أنّه مجموعة قصصيَّة، وسوف يكون له على ذلك أكثر مِن دليل، وبإمكانه تصنيفه على أنَّه رواية، وسوف يكون له على ذلك أكثر مِن دليل أيضاً، وبإمكانه أنْ يقول إنَّ الكتاب يقبع في زاوية أخرى، فلا هو قصص ولا هو رواية، وإنَّما كتاب سردي عصي على التصنيف.

ومن الأدلة على القول بأنَّ الكتاب مجموعة قصصيَّة أنَّنا نَجِد على الغلاف نفسه كلمة "قصص" كإشارة واضحة إلى فهرسته في باب القصَّة، غير أنَّ سعود قبيلات (مؤلِّف الكتاب) سَبَقَ وأنْ أخبرنا بأنَّه لم يكن له علاقة بتثبيت هذا التَّصنيف بالذات، وعلى الرغم مِن ذلك فهناك دليل آخر، وهو العناوين التي أسبغها الكاتب على كل مقطع أو قصَّة، إضافة إلى أننا لو تناولنا بعض المقاطع القصيرة لوجدنا فيها مواصفات القصَّة القصيرة جداً، كما أنَّ القصص ذات الطول العادي حملت مواصفات وعناصر القصَّة.

وإذا قلنا بأنَّ الكتاب رواية فلنا على ذلك أكثر مِن دليل أيضاً، وتبدأ هذه الأدلة بتبويب سعود لكتابه، فالكتاب يتكوَّن مِن خمسة أبواب مترابطة، هي: "الخراب، واليباب، والضباب، والغياب، والسَّراب"، وهو إضافة إلى ذلك يحمل

ملحقاً وَضَعَه كل من: سميحة خريس، ومؤنس الرزاز، وهاشم غرايبة، ويوسف الحسبان، وعابر سبيل.

ومضمون الكتاب يساعد على روائيته، فهو يناقش أكثر الأسئلة الوجودية الحاحاً وغموضاً ألا وهو سؤال المَوت، كما أنَّ الحافلة حاضرة في سياق الكتاب كشاهد على كل شيء، هذا إضافة إلى أنَّ المؤلف اختار للكتاب عنواناً لم يرد في أي من العناوين الفرعية للقصص أو المقاطع، ممّا يعني إدراكه بأنَّه يكتب شيئاً مختلفاً عن التصنيف المألوف.

بل إنّ مِثْلَ هذا الإدراك يتَّضح منذ البداية، حيث يخبرنا الكتاب في أولى فقراته أنَّه في حيرة مِن أمْرِهِ مثل القارىء تماماً، إذْ يقول: "بين دفتي هذا الكتاب حكايات غريبة لرجل غريب صار تمثالاً بعدما انقطعت به السبل طويلاً في محطة لم تَعْد تأتي إليها الحافلات. وكان في أثناء طريقه الطويل الطويل يتسلى بسرد حكاياته تلك على مسامع العابرين، أو ينقشها على قاعدته وجسده الجرانيتيين" (16).

هي إذن حكايات لرجل واحد حتى وإنْ تعدَّدت، ممّا يعني أنّ ثمَّة رابطاً مشتركاً بينها، وثمّة شخصيّة مركزيّة لكلّ هذه الحكايات، وهذا لا يكون إلاَّ في الرّواية، أمَّا المجاميع القصصيَّة فأبطالها متعدِّدون ومتفرِّقون، ولا يَجْمَع بينهم سوى أنَّهم في دفتي كتابٍ واحد.

على أنَّ وجود الشخصيَّة المركزيَّة أو النَّامية في هذا العمل السردي لا يجعل مِنه رواية بالضرورة، بل قَد يقربه مِن عَالَم القصَّة القصيرة؛ لأنَّنا لو قمنا بتفتيت الأحداث، سنُلاحظ بسهولة أنّ أيّ مقطع قصصي في الكتاب يُمْكِن أنْ يكون مستقلاً، بحيث يُشكِّل وحدة قصصيَّة مكتملة الجوانب، وبطبيعة الحال لا يُمْكِن لأيّ جزء مِن أي عَمَل روائي تقليدي أن يُعطي الانطباع بأنّه مستقل إذا ما اجْتُزِىء مِن سياقة.

أمّا في هذا العَمَل، فلو جئنا إلى قصَّة "ثعبان" على سبيل المثال، وأوردناها هنا، لوجدناها كما يلي: "مَا إنْ فَتَحْتُ حقيبتي، حتى قفز منها ثعبان طويل أثار فزعي، فأطلقتُ ساقيَّ للريح، وجَعَلْتُ أرْكُضُ، وأرْكُضُ، وأرْكُضُ، وأرْكُضُ، إلى أنْ بَلَغْتُ مكاناً قَصِيًّا... أقصى ما استطاعت قدماي أنْ تحملاني إليه، ثمَّ انتحيتُ جانباً مِن الطَّريق، وقلت لنفسي، فلأسْتَرِح قليلاً، لكنْ ما إنْ هَمَمْتُ بالجلوس حتى وجَدتُ الثعبان نفسه يتلوى بقربي"(17).

مِن الواضح أنَّ هذه الأسطر تَحْمِل في طياها معالم القصَّة القصيرة جداً، بل هي كذلك، بمَا فيها مِن تكثيف للحدث، ورسم موجز ودقيق للشخصيَّة، ولغة موحية، ونهاية مفتوحة، وحبكة عالية المستوى، وزمان ومكان غير واضحي المَعَالِم تماماً، لكنَّهما موجودان تماماً!

إذا كانت طبيعة العَمَل النثري توجب علينا أنْ نُحَدِّد "طبيعة الإيقاع النثري الذي ينتمي إليه"(18)، فمِن الطبيعي أنْ نُصَنِّف بعض الأعمال النثريّة على أنَّها لا طبيعة لها، وإذا اتَّفقنا على أنَّ "الرِّوايَة تروي قصَّة"(19)، فلماذا لا نعطيها الشكل الذي تختاره، ونُحَمّلها مسؤولية النَّجاح أو الإخفاق؟.

لقد حاول ميخائيل باختين أنْ يصنِّف الأشكال التَّعبيريَّة للرّواية على أنَّها بوليسية أو رواية رسائل أو مذكرات، أو ما إلى ذلك، لكنَّه حين نَظَرَ إلى الرِّواية مِن داخلها وجدها في كثير مِن الأحيان لا شكل لها(20).

وفي حالة (بعد خراب الحافلة) إذا قلنا: هذا كتاب سردي فيه ملامح القِصَّة وملامح الرِّواية في آن واحد، ولا يمكن تصنيفه هنا أو هناك فسنجد أنَّ لكلامنا ما يبرره؛ لذلك أجدني أتساءل لماذا لا نمنح بعض السرديات امتيازاً خاصاً، فنتحدث عنها في سياق القصَّة حين نتحدث عن القصَّة، ونتحدث عنها في سياق

الرِّواية حين نتحدث عن الرِّواية؟ أليس الإبداع الجَيِّد هو الذي يخرج عن المألوف؟ وبما أنَّ العمل الإبداعي ليس المضمون وحده، بل هناك الشَّكل أيضاً، فلا شيء يمنع مِن خروج هذا الشَّكل عن المألوف أيضاً.

**الخاتمـــة :**

أسْفَرَت معالجة إشكاليَّة التَّجنيس في القصَّة الأردنيَّة عن النتائج والملاحظات التَّالية:

- بعض الكُتُب القصصيَّة في الأردن تَمَرَّدت على التَّصنيف التقليدي لفَنِّ القَص، حتى بات مِن الصَّعب الحُكم على جِنس الكتاب.
- يوجد تشابه كبير مِن حيث الشَّكل بين كتاب " تحولات سلمان التايه ومكابداته" لخليل السواحري، وكتاب "الذي قال أخ أولاً" لسليمان الأزرعي، وإن اختلف الكتابان في المضمون، فالأوّل موضوعه زيارة الكاتب لفلسطين بعد اتِّفاق أوسلو، والثاني موضوعه السِّجن والسَّجين السياسي العربي.
- مِن الصَّعب تصنيف كتاب "بعد خراب الحافلة" لسعود قبيلات إذا مَا كان رواية أو مجموعة قصص، إذْ لكلا الحجتين مَا يؤكّدها، وهذه مِن ميزات هذا الكتاب.
- عدد الذين يتمردون على الشَّكل التقليدي للرِّواية، والذين يتمردون على الشَّكل التقليدي للقصَّة القصيرة في تزايُد، ولعلَّنا في المستقبل نرى نوعاً مِن الرّواية، وكذلك الحال القصَّة القصيرة بحُلَّة جديدة.

**الهوامش:**

(1) **حسني محمود، سداسية الأيام الستة: الرؤية والدلالة والبنية الفنية، عمّان، وزارة الثقافة الأردنية، 2002.**

(2) **ولد خليل حسين السواحري في القدس عام 1940، وتوفي في عمّان عام 2007، درس المراحل التعليمية الثلاثة الأولى، الأبتدائية والإعدادية والثانوية في مسقط رأسه في القدس، تابع السواحري**

تعليمه العالي وحصل على الدرجة الجامعية الأولى من جامعة دمشق والثانية من الجامعة اليسوعية في بيروت. عمل مدرساً في مدارس وزارة التربية والتعليم مدة اثنتي عشر عاماً (1960–1972)، غير أنّه ترك التدريس واتجه للصحافة الأدبية والتحرير إذ عمل في صحيفة الدستور كاتباً ومحرراً مدة خمسة عشر عاماً (1970–1985)، وخلال هذه الفترة عمل في مجال الدراسات والاعلام في وزارة شؤون الأرض المحتلة، وقد انتهى به المقام إلى عَالَمِ النَّشر، فأسس دار الكرمل للنشر والتوزيع، وأدارها منذ عام 1985 وحتى وفاته، وبالإضافة إلى ذلك عَمِل السواحري منذ عام 1995 مستشاراً في وزارة الثقافة في السلطة الفلسطينية، وهو عضو ناشط في العديد من الروابط والهيئات الثقافية في الداخل والخارج. حصل على العديد من الجوائز المحليّة والعربيّة عن أعماله القصصية والدراميّة، وهذه الجوائز هي: جائزة المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم للقصة القصيرة الفلسطينية لعام 1977، جائزة رابطة الكتاب الأردنيين للقصة القصيرة للعام نفسه، جائزة محمود سيف الدين الإيراني للقصة القصيرة عام 1986، الجائزة الذهبية لمهرجان القاهرة الرابع للإذاعة والتلفزيون 1988. كتب المقالة السياسية، والصحفيّة، ونشر عدداً من الدراسات المتنوعة والنّصوص الأدبيّة، كما نشر كثيراً مِن نتاجاته في الصحف والدوريات المحليّة والعربيّة وأعاد، تجميع بعضها في ما بعد في كُتُب. حَظِيت أعماله بأهتمام واسع من لدن الباحثين والنقاد، لا سيما أعماله الإبداعية، إذ نافت الدراسات التي تناولت أعماله على خمس عشرة دراسة ، كما تُرجمت بعض أعماله الإبداعية إلى اللغتين الإنجليزية والتشيكية.

[3] ولد الدكتور سليمان نزال الخضر الأزرعي في الحصن/ اربد عام 1949، حصل على ليسانس في اللغة العربية وآدابها من جامعة دمشق عام 1972، وعلى دبلوم التأهيل العالي من الجامعة نفسها عام 1974، وعلى ماجستير في الآداب العربيّة من الجامعة اليسوعيّة عام 1980، وعلى دكتوراه الدولة في الآداب العربية (تخصص النقد الحديث) من الجامعة اللبنانية عام 1998، وعلى دورة الإدارة العليا من معهد الإدارة العامة في عمان عام 2000م. عمل معلماً في وزارة التربية والتعليم خلال السنوات 1975–1983، ومديراً في مدارس الوزارة نفسها من 1983–1986، ومديراً في وزارة الثقافة، عَمِل محاضراً غير متفرغ في جامعة آل البيت مِن 1996–1998، ومحاضراً غير متفرغ في جامعة العلوم والتكنولوجيا خلال السنوات 1999–2001 ومحاضراً غير متفرغ في جامعة جرش للعام الدراسي 2000–2001، كما عَمِل مديراً لمديرية المراكز الثقافية في وزارة الثقافة ومحاضراً غير متفرغ في جامعة فيلادفيا. وهو عضو رابطة الكتاب الأردنيين، واتّحاد الكتاب العرب، وعضو مجلس كلية الفنون الجميلة بجامعة اليرموك، ورئيس فرع رابطة الكتاب الأردنيين في

اربد لعدة دورات، وعضو هيئة تحرير مجلة أفكار، وكاتب مقالة أسبوعية أدبية وأخرى سياسية في جريدة الرأي، أعد للتلفزيون الأردني برنامج العشيات للعام 2000–2001.

(4) ولد سعود مصبِّح قبيلات في قرية مليح بمادبا – الأردن بتاريخ 1955/10/10. حصل على شهادة الثانوية العامة – الفرع الأدبي سنة 1975، ثمَّ حصل على البكالوريوس في عِلْم النفس مِن الجامعة الأردنيّة سنة 1984. انتُخِب رئيساً لرابطة الكتاب الأردنيين ما بين (2007– 2011)، والنائب الأوَّل للأمين العام للاتِّحاد العام للأدباء والكتاب العرب– القاهرة (2007– 2011)، ومِن مؤلفاته الأدبيَّة: في البدء ثم في البدء أيضاً (قصص 1982)، مشي (قصص 1995)، بعد خراب الحافلة (قصص 2002)، الطيران على عصا مكنسة (قصص 2009)، 1986 (قصص 2002)، كهفي (قصص 2012).

(5) خليل السواحري، تحولات سلمان التاية ومكابداته، عمّان، دار الكرمل، 1996، ص7.

(6) عبد العليم بوفاتح، الخطاب الروائي بين المنهج والإبداع والهويّة، مجلة الباحث، جامعة عمّار ثليجي بالأغواط، الجزائر، مج6، ع6، أفريل 2011، ص168.

(7) المرجع السابق، ص169.

(8) حسن بحراوي، بنية الشكل الروائي، الدار البيضاء، المركز الثقافي العربي، 1990، 26.

(9) المرجع السابق، ص55.

(10) المرجع السابق، ص55.

(11) المرجع السابق، 79.

(12) خليل السواحري، تحولات سلمان التايه ومكابداته، ص7.

(13) Mouat, Kit, What Humanism is About . (1st ed) –London: Pemberton Publishing Co. LTD, 1963, P.25.

(14) سليمان الأزرعي، الذي قال أخ أولاً، بيروب، المؤسسة العربيَّة للدراسات والنشر، 1997، ص21.

(15) Schiller, F.C.S, Studies in Humanism. –London: Macmillan and Co. Limited, 1907, P.9.

[16]سعود قبيلات، بعد خراب الحافلة، بيروت، المؤسسة العربيّة للدراسات والنشر، 2002، ص7.

[17]السابق، ص70.

[18]رينيه ويلك، وأوستن وارين، نظريّة الأدب؛ ترجمة محيي الدين صبحي، مراجعة حسام الخطيب، بيروت، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، 1987، 171.

[19]أ. م. فورستر، أركان الرواية؛ ترجمة موسى عاصي، طرابلس– لبنان، جروس برس، 1994، ص35.

[20]انظر: ميخائيل باختين، الخطاب الروائي، القاهرة، دار الفكر، 1987، ص70–90.

قائمة المصادر والمراجع:


- أ. م. فورستر، أركان الرواية؛ ترجمة موسى عاصي، طرابلس– لبنان، جروس برس، 1994.
- حسن بحراوي، بنية الشكل الروائي، الدار البيضاء، المركز الثقافي العربي، 1990.
- خليل السواحري، تحولات سلمان التاية ومكابداته، عمّان، دار الكرمل، 1996.
- رينيه ويلك، وأوستن وارين، نظريّة الأدب؛ ترجمة محيي الدين صبحي، مراجعة حسام الخطيب، بيروت، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، 1978.
- سعود قبيلات، بعد خراب الحافلة، بيروت، المؤسسة العربيّة للدراسات والنشر، 2002.
- سليمان الأزرعي، الذي قال أخ أولاً، بيروب، المؤسسة العربيَّة للدراسات والنشر، 1997.
- عبد العليم بوفاتح، الخطاب الروائي بين المنهج والإبداع والهويّة، مجلة الباحث، جامعة عمّار ثليجي بالأغواط، الجزائر، مج6، ع6، أفريل 2011.
- ميخائيل باختين، الخطاب الروائي، القاهرة، دار الفكر، 1987.
- Schiller, F.C.S, Studies in Humanism. –London: Macmillan and Co. Limited, 1907.
- Mouat, Kit, What Humanism is About . (1st ed) –London: Pemberton Publishing Co. LTD, 1963.


--------

# الترجمة للأطفال : بين ثقافة الأنا وثقافة الآخر

---------

الأستاذ الدكتور عيسى بريهمات – جامعة الأغواط – الجزائر

## مقدمة

ما تزال الترجمة الموجهة إلى أطفالنا تفتقر إلى الاختصاص ،فتنجز على هامش الأدب والتربية ،لا تخضع لطبيعة الطفل ،بل تخاطبه كأنه راشد ودونما اهتمام بخلفيته اللغوية والثقافية التي تفرض قيودها على التواصل. ويبدو سياق الترجمة غالبا مباينا بل مجافيا للسياق التربوي الذي يتميز بمعطيات نفسية واجتماعية خاصة. هذا المنحي الترجمي يتأسس في واقع الأمر على المعايير والاعتبارات التربوية كالنمو العصبي والنفسي وطبيعة لغة الأطفال وخيالهم وسلوكهم وإدراكهم المميز.أما نسقيا فتختلف ترجمة قصة الأطفال عن القصة الموجهة إلى الكبار،وتتجلى مظاهر الاختلاف في المستويات التركيبية والصرفية والمعجمية ،وعلى مستويات قابليات التأثيروالتأثر. وهي مظاهر تنعكس بشكل أو بأخر على الشروط التقنية وخصائص الجنس الأدبي وطبيعة الوسيط الثقافي أو طبيعة الاتصال الإعلامي.

الترجمة الأدبية– التربوية الموجهة إلى الطفل ، تعد من الأنشطة التي تصل بين أدبين فأكثر ،وتؤسس جسرا بين ثقافتين ولغتين مختلفتين. وتساهم في توصيل بعض روائع الأدب الإنساني – العالمي إلى قطاع من القراء الصغار ما كانت لتصل إليهم بدونها.الترجمة إدراك وتمثل فكر وافد،لا تقتصر على اللغة وحدها ولا تختصر في مجرد استبدال دوال وطنية بدوال أجنبية.إنها حالة من التفاعل الثقافي يتمثل في نقل النص الأصلي إلى فضاء ثقافة التلقي . و بهذا الوضع الترجمة

للأطفال واليافعين نشاط أدبي- تربوي وفكري مهم وعنصر من عناصر التقاء الثقافات وتفاعلها جدير بالاهتمام والدراسة.

يقوم المترجم ،في عملية الترجمة، بمد الجسور الثقافية التواصلية، فهو يمكن أن يقرب الثقافات كما يمكن أن يعمق الهوة بينها ويميل إلى ثقافة على حساب الأخرى. وفي مقدوره أن يسبغ مدلولا محليا على النص الأجنبي كما في استطاعته أن يدمغ النص المحلي بمدلول أجنبي.غير أنه لا يستطيع أن يخلص لغته من تباينات (*الأنا والآخر* ) دون عقبات ويستطيع ذلك بمهارة التفاوض التي يعقدها بين اللغتين والثقافتين.هذه المكابدة التي يعانيها المترجم لا تذهب هدر وجُفاء بل تُحَوِل النص المترجم ،في واقع الأمر، إلى " رأس مال ثقافي" حيوي يعزز ويوسع القاسم المشترك من العلاقات بين أطفال العالم بل بين الشعوب والثقافات.

الترجمة تدمج ثقافة( الأنا والآخر) في دائرة القيم الإنسانية والعالمية فلا أحد يستطيع اليوم أن يستغني عن خدماتها المختلفة اللسانية والثقافية... ورب أمة لا تُعرف عند الآخر بكيانها المادي بل تُعرف من خلال رأسمالها الثقافي . فالغرب تَعرف علينا مثلا من خلال ثقافة ألف ليلة وليله وظل أطفاله وكباره يعتكفون على قراءتها طوال أربعة قرون من خلال ترجمتها إلى لغاتهم الأوروبية حتى تحولت إلى أصل جديد مفارق لأصلها العربي . أخصبت أدب الطفل الأوروبي والعالمي تقاطعت وتناصت مع كل أشكال التعبير الغربي.

أما أطفالنا فتعرفوا على( الأخر) من خلال حكايات ذات نفس عالمي[xxxv] . رومنسيا وواقعيا سحرتهم ترجمة "البؤساء" فهي رواية تأثر بها كل أطفال العالم تجاوزت القارات والقوميات فوصلت إلى أبعد الفضاءات . إن ترجمتها إلى مختلف اللغات هي التي سمحت لها بعبور الثقافات والإثنيات Les ethnies. أثرت على معظم أدباء العالم

دوستويفسكي،تولستوي،المنفلوطي...فهي من الكتابات العالمية التي خاطبت الضمير والوجدان ،كرست المحبة والسلام،واجهت الظلم والاستبداد فعكف عليها الكبار والصغار.

انتشرت جغرافيا وديمغرافيا في كل الآفاق حيث الإنسان جاهل ويائس ومجروح الكيان،وفي كل مكان تباع فيه المرأة أو الطفل بسبب رغيف خبز،وفي كل مكان يتألم طفل لأنه لم يجد كتاب أو لم يجد مأوي يحويه ويحميه من النوائب[xxxvi].دقت رواية البؤساء كل أبواب الدنيا فدخلت بأريحية ودون إذن على متن الترجمات .إن الأدباء الأجانب الذين نترجم أعمالهم وإبداعاتهم ليتلقاها أطفالنا يشاركون في إثراء لغتنا وثقافة أطفالنا.إن بروز الكتاب العالميين من أمثال "فيكتور هيقو" لم يكن ممكنا إلا بفضل المترجمين والترجمات المكررة والمعدلة لصالح (أنا )الطفل.

من واقع الترجمة إلى العربية نلاحظ بصفة عامة أن النصوص العالمية- الفرنسية والإنجليزية – كان لها النصيب الأوفر في الترجمة للصغار واليافعين.ومن الأجناس المكرسة لهم تأتي الحكاية ثم الرواية على رأس القائمة. ويأتي الشعر ربما لصعوبته في ذيل القائمة حجما.أما ممارسو هذه الأجناس الأدبية الطِفْلِيَة فليس لهم تكوينا خاصا في الترجمة وإنما هم من رجال التربية والتعليم وممن لهم علاقة وطيدة مع الطفل والطفولة في مختلف المواقع والفضاءات الاجتماعية.

تطرح ترجمة الرواية إلى الأطفال والمراهقين ،إشكالية الفروق الثقافية والنكهات اللهجوية واللهجات الفردية .كما أن تعريب الأسماء والأمكنة والفضاءات يشكل ندوبا تشوه الأصل وتجتث منه نكهته وألوانه وثقافته ورؤاه الدينية وطبوعه العرقية .وتصل التشوهات إلى حد العبث بعبقرية لغته،و تعابيره المألوفة ،وقوالبه الأثيلة.هذه الظواهر تتجلى أيضا معكوسة حيث أنها تفعل المفعول نفسه في نص التلقي أو المصب الذي يجده الطفل مجافيا لأعراف ثقافته ولغته ومجتمعه .

نذكر في هذا السياق ترجمات سمعية بصرية لــ Heidiهايدي Sandy belle ،ساندي بالSaly، ساليBarby ، باربي . ترد معظم هذه الأعمال محملة بعاطفة أو مسحة دينية مسيحية أو رومنسية يصعب على المترجم استبدالها بأخرى توافق أنا الطفل المتلقى وإذا اجتثها من النص يفقد مذاقه. تظهر التشوهات أيضا على أسماء الشخصيات والأماكن وتنتاب المترجم الحيرة أمامها أيتركها على عواهنها أم يستبدلها أم يبقيها كما هي أجنبية؟ فلا يصل الطفل إلى معناها أم يبقيها كما هي ويشرحها على الهامش؟ مثل شخصيات رواية البؤساء: Fantine,Gavroche,Fauchelevent,Madelaine,Jean Valjean,Cosette,Javert عندما توظف كما هي في أصل اللغة الفرنسية تصيب حصيلة الترجمة بافتقار يقضي على نزعتها البيئوية écologisme لأن هذه الأسماء بما فيه أسماء الأماكن(Montreuil,Montfermeil) لها دلالات لا تظهر في اللغة المحلية إلا بالشرح على الهامش.

بعد هذا التقديم ،والذي أتصوره مسهبا سأحاول عبر هذه المداخلة تقديم بعض الأفكار والملاحظات حول الترجمة من الفرنسية إلى العربية في عدد من الأنواع والأشكال الأدبية التي يحتضنها الكتاب الورقي والرقمي وتحتضنها الشاشة السمعية البصرية والعديد من الوسائط ،التي تبث مختلف النصوص ومختلف الخطابات ،والتي يدمن عليها الأطفال بشراهة ،منفقين معظم أوقاتهم . و بهذا الاعتبار فإن المحاكاة والسرد بمختلف الشفرات والاستماع إلى القصص وحكيها نشاط ثقافي لا يستغني عنه الطفل إطلاقا.

عندما نسعى إلى إنجاز عمل ترجمي للأطفال ينبغي لنا أن نتسلح بأقصى درجات الحيطة والحذر وعلينا الابتعاد عن التهوين من شأن الترجمة أو الأدب الموجه إلى الأطفال وكأن ترجمة أدب الطفولة تمثل طفولة الترجمة،الترجمة العفوية البسيطة. إن الترجمة التي تستهدف الأطفال مهما بدت بسيطة، فهي أعقد الترجمات وأرهفها. تحتاج منا إلى نخل وغربلة ما لدينا من معطيات حول واقع الطفل وثقافته، وما يقرأ محليا وعالميا. لأن كل ثقافة تتحدد بخصائصها وبالعلاقات التي تقيمها مع الثقافات الأخرى .إن التداخل أو التناص الثقافي مكون أساسي في الثقافة[xxxvii].ومن جهة أخرى علينا كذلك، رصد مفهوم الطفولة ومراجعته من حين إلى أخرى وتحيِّنه بكل مستجداته ،والنظر إليه في بعده المؤسساتي إذا كنا بالفعل نسعى إلى تنمية بشرية و كنا نريد لأطفالنا ولأمتنا نماء اجتماعيا وثقافيا طموحا.

وأيًّا كانت الترجمة أو الكتابة الموجهة إلى الأطفال فهي تنجز، في واقع الأمر، من قبل الكبار وترسخ هيمنة من صنع وتوجيه الكبار. ومن هنا، وحتى يستطيع المترجم التواصل مع الأطفال عليه أن يعرف «ماذا يوجد في الكبار من طفولة، وماذا يوجد في الطفل مما عند الكبير، حتى يتقبل ما يقدم إليه من الكبار»[xxxviii].وعليه ،أيضا ،معرفة ما إذا كان الكبار على حق دائما ولا ينطلقون من أحكام مسبقة يمارسونها عنوة على الطفل.وفي هذا المضمار على المترجمين ومؤسسات الترجمة الانتباه إلى المفاهيم والأسس التعليمية «الصادرة عن الكبار والتي "تترصد"الصغار باعتبارهم خطابا جاهزا،مباحا وخلوا،ومفتوحا للوصاية الغازية »[xxxix].

يعتبر موضوع الترجمة للطفل من أهم وأخطر النشاطات في حياة الأمم والدول.وذلك لأن الطفولة الصالحة والمعدة الإعداد الهادف والمخطط، هي الاستثمار الثقافي المثالي لغد أفضل.إن الترجمة أو الكتابة للطفل – بوصفها استراتيجيه تنموية – لا ينبغي أن تكون جزافية متروكة للصدف دون مراقبة صارمة ودون تقويم وتوجيه. فلا يعهد بها لمن هب ودب ،ولمن لا يرعاها في إطار العلوم النفسية والتربوية والعصبية وفي نطاق بيئتها وثقافتها المحلية ،من مثل الترجمة العرضية أو الترجمة العفوية أو المُسْتَهْدِفة الواردة علينا من ثقافات أجنبية غريبة عنا تجارية النزعة. والتي تلفظ أحيانا سموما تفتك بالناشئة ،نراها من يوم لآخر تزداد حجما وضغطا عبر الوسائط الإلكترونية ،حتى كادت تهمش دور المؤسسات المنوط بها تربية الطفل والترجمة له في نطاق الأسس والأبعاد التربوية ،التي تحترم خصائصه وثقافته وهويته.

تعتبر الترجمة أداة مثاقفة تتبادل بواسطتها الحضارات مختلف التأثيرات،وتتجاذب عن طريقها الأفكار والعلوم والعادات والتقاليد،فهي من أنجع أدوات التواصل والسلام في العالم تلطف الأجواء بين الشعوب والثقافات وفي هذا السياق اعتبرها الباحث الفرنسي«ميشال دوكستر» «مجموع التفاعلات التي تحدث نتيجة شكل من أشكال الاتصال بين الثقافات المختلفة،كالتأثير والتأثر والاستيراد والحوار والرفض والتمثل وغير ذلك مما يؤدي إلى ظهور عناصر جديدة في طريقة التفكير وأسلوب معالجة القضايا وتحليل الإشكاليات،مما يعني أن التركيبة الثقافية والمفاهيمية لا يمكن أن تبقى أو تعود بحال من الأحوال إلى ما كانت عليه قبل هذه العملية»[xl] خاصة الطفولة وما تمثل من حساسية وهشاشة ثقافية سهلة الاختراق

بواسطة الترجمة الموظفة للمثاقفة ،الموظفة عبر وسائط القراءة من كتب رقمية ونصوص ورقية مكتوبة.

من أولى الصعوبات التي تواجه الترجمة المحلية من وإلى اللغة العربية ،ذلك التغير في وسائط الاتصال الحديثة،تبدلت كثيرا وسائط الاتصال،وتنوعت مخاطبة الأطفال سمعيا- بصريا وكتابيا وازدادت تشابكا وتعقيدا،وتراجع الدور التقليدي للأسرة والمدرسة والمؤسسات التربوية وحلت محلها وسائل الاتصال الحديثة والتقنيات المتطورة في نقل ترجمة الأدب إلى الأطفال.أجمع مترجمو أدب الأطفال في العالم على خطورة وضع الأطفال في عالمنا الراهن.أبدوا قلقهم المتزايد حيال المصائر التربوية والتنموية لأدب الأطفال.توالت اعترافاتهم في أكثر من مكان داعية إلى الدفاع عن الأطفال ضد الترجمات الرديئة وعلى وجه الخصوص ما ينشر عبر وسائل الاتصال الجماهيرية.

والمترجم العربي عندما يهتم بترجمة نص أجنبي أو انتاج كتاب مترجم أو عمل فني للطفل؛ فهو يخاطب حاجات الطفل اللغوية والوجدانية والخيالية... ، ولكن ما هي المعيير التي تعتمد في جلب النص الأجنبي إلى ساحة ترجمتنا ؟إلى أي مدى كان نجاح ترجماتنا العربية؟ هل خاطبت حاجات وطموحات الطفل ؟هل حرضت خياله ،وكرست الحوار معه ،ونمت هويته وحريته وإبداعيته؟. لماذا تهيمن الترجمة الغربية وتشد اهتمام أطفالنا ؟ ما مدى جودة ما نترجم للطفل العربي ؟من يترجم وبأي أدوات أو تأهيل ؟ما السبيل إلى ترجمات عربية تكون في المستوى المطلوب تجيب عن أسئلة واستفسارات الطفل، تكرس قيما إنسانية وتبث روح الطفولة الحقيقية التي تقوي وتدعم إحساس الطفل بالخلق والنظام والقانون؟ هذا الأسئلة العديد لا تتسع المداخلة لها فسنجيب عن بعضها.

## الترجمة الموجهة إلى الأطفال:

إن حقل ترجمة الطفل بما يتضمنه من قصص وأشعار ومجلات وكتب ومسرح وموسيقى وأفلام كرتوية وغير وإشهارات وبرامج تلفيزيونيه وإذاعية وصور متعددة اللغات والشفرات.مجال الترجمة يبدو واسعا وكثيفا يحتاج إلى تضافر وتكامل اختصاصات عديدة ترافق المترجم بل أكثر من هذا المؤسسة المنوط بها فعل الترجمة التي تملك القدرات فتستطيع تلبية معطيات وشروط الطفولة[xli] العديدة والمتنوعة المشارب .و مثل هذه الترجمة تخضع في واقع الأمر إلى أهداف نبيلة تشجع على الإبداع وتنمية القدرات الخلاقة تدعم التنوع الثقافي، والحوار بين الثقافات بوصفهما مفتاحين لتكريس السلام بين الشعوب .بالإضافة لما سلف تسهم الترجمة في رىء الصدع واعداد مواطن الغد الحريص على أناه وهويته وثقافته والقادر على تكريس الموائمة والمُناغمةً بين الذات والآخر.

بغير ما جهد كبير يلاحظ المهتم بمشهد الترجمة أن ترجمة أدب الأطفال تطورت ولم تعد مقصورة أو مختصرة في الكتاب الورقي التقليدي . والكتاب نفسه، بوصفه المصدر الرئيسي لثقافة الأطفال وأهم وسيط من وسائطها، تراجع كثيراً أمام وسائل الاتصال الثقيلة المهيمنة على عمليات تشكيل ثقافة وعقول الصغار والكبار. تغير وتحول الكتاب شكلا ومضمونا ولم يعد كما كان بل أصبح رقميا إلكترونيا يحمل تحديات ثقافية ولغوية وإبداعية بوسائط تكنولوجية متطورة نجهل تأثيراتها على عقل ووجدان الطفل. كنا ،قبل عقد من الزمن أو عقدين ،نجتهد في مناقشة وتحليل إشكاليات يفرزها واقع التربية والفن في مؤسساتنا. أما في عشرية مستهل القرن الجديد انبثقت على السطح إشكاليات أخرى معقدة ومضاعفة، وما هذه الدراسة إلا مقاربة لمفهوم الترجمة للأطفال واليافعين في ظل

هذه الوضعية الإشكالية.

ونلاحظ أن التعدد في أشكال ووسائط " التثاقف Acculturation" [xlii] التي تستغلها الترجمة يتلازم أيضا مع تعدد بواعث الترجمة وأهدافها. ولما كانت الترجمة إجمالا فعلا سياسيا بالمعنى العام كما تؤكد "مني بكر" لم يعد بالإمكان النظر إليها بوصفها فعلا لغويا تواصليا محايدا يلعب فيه المترجم دور الوسيط غير المنحاز.إن كانت الترجمة من الناحية النظرية يرجى لها أن تكون فعل تواصل يسعى إلى إحراز التفاهم والتفاعل بين ثقافتين، فالواقع اليومي ينفي ذلك ،حيث تتحول الترجمة فيه إلى أداة يستثمر فيها أفراد ومؤسسات وجماعات ضغط متعددة بغرض تحقيق أهداف سياسية معينة ، أو تغليب وجهة نظر أو طرح فكري ما على آخر [xliii].

وتأسيسا على ما سلف يرى "جدعون توري" أن خيارات المترجم هي دائما مشروطة بمعايير الترجمة السائدة، ومن ثم تتشكل بفعل هذه المعايير ،فقد رأى الدارسون الذين تبنوا المنحى الثقافي في دراسة الترجمة أن الفاعلية الثقافية والسياسية للمترجم تمكنه من الاشتباك مع معايير الترجمة،ومناوشتها،بل وتحيدها.والمترجم هنا ،وفقا لتصور أصحاب المنحى الثقافي في دراسات الترجمة ،لا يتحدى فقط معايير الترجمة واللغة، وإنما يتحدى أيضا التوجهات السياسية والاجتماعية والثقافية التي تضمرها هذه المعايير.ومن هنا ركزت دراسات الترجمة ذات المنحى الثقافي على الفاعلية الفردية للمترجم، وذلك من خلال إلقاء الضوء على الاختيارات السياسية التي يتبناها المترجم الفرد وأشكال وديناميات توظيفه لهذه االاختيارات في عملية الترجمة [xliv].وهو ما يعني أن الظاهرة تفقد وجودها الموضوعي أثناء البحث وتصبح رهنا لتصورات الباحث وأدواته وتتلون برؤاه واختياراته البحثية[xlv] .

ومن جهة أخرى تشير المعطيات الحالية أن الترجمة أصبحت هي لغة أوروبا وأن سلطة العولمة اكتسحت العالم وبات الوضع يتجه نحو ثقافة القطب الواحد ولغته،ثقافة الهيمنة والاختراق،ثقافة الآخر الغربي الذي بدأت أسهمه ترتفع على حساب أسهم اللغات والثقافات الأخرى ،ومن ضمنها الثقافة الإسلامية.[xlvi] .وفي ظل هذه السلطة لم تعد الترجمة تمارس المثاقفة والتعايش،ولا تمارس التعريف بالثقافات المتنوعة والمتعددة ،بل صارت تقتصر فقط على تعميم ثقافة القطب الواحد ولغته،«الأمر الذي جعل الرئيس الفرنسي "شيراك" يدعو لدى افتتاح منتدى تحديات العولمة في مارس2001 للتصدي لهيمنة اللغة الإنجليزية»[xlvii] مثلا.

**كيف نترجم للطفل:تقنيات وآليات الترجمة الطفلية .؟**

إن الترجمة التي يوجهها الكبار إلى الصغار وإن بدت تتميز بخصوصيات الأطفال وطبيعتهم فهي لا تختلف في أسسها ونظرياتها إلا قليلا عن ترجمة الراشدين. تتمظهر الترجمة والكتابة الموجهة إلى الأطفال بوصفهما وريثتي الممارسة الشفوية التقليدية. ويستدعي السؤال كيف نكتب للطفل ؟ توأمه كيف نترجم للطفل واليافع؟وقبل الإجابة على هذه الأسئلة علينا الإلمام بطبيعة هذا المتلقي الصغير وذلك لربط وضبط السياق الأدبي – الترجمي على السياق التربوي. ومن المعطيات المساعدة على انجاز ترجمة مجدية ومفيدة للطفل هي معرفة هذا المتلقي الصغير سنه وقدراته العقلية ولغته ومطالعاته وأعرافه الشفوية والقرائية والجنس الأدبي الذي تعود عليه ووسطه الثقافي وكل هذه المعطيات وغيرها تساهم في إعداد الترجمة المفيدة والمقبولة من قبل الطفل .

هذه المعطيات تساعدنا على تجاوز العقبات والمعتقدات الخاطئة التي تعتقد «أن الترجمة انطلاقا من البسيط هي أصعب من الترجمة من المركب المعقد

وهنا يتعلق الأمر بسهولة مخادعة »[xlviii] بل مغررة .ويشرح "دوقلاس" هذا الاعتقاد المخادع قائلا:«يبدو أن كتابة الأطفال تقتضي سيولة ووضوح القراءة في لغة التوصيل أو الهدف ،وان كانت عقبات كل ترجمة تفضيى ،في واقع الأمر ، إلى التضخم »[xlix] أما R.M.Vassalo فيرى ويعتقد أن « ترجمة ما هو بسيط تلتهم الوقت أكثر من ترجمة المركب »[l] ويدقق أيضا فيقول :«كلما كان الملفوظ بسيطا كلما احتوى معاني متراكبة أكثر والتي تقتضي من المترجم أن يخفيها بدوره بملفوظ بسيط وليس ملفوظا بجانب ملفوظ يشرح النص»[li]

وفي هذا السياق الترجمة الموجهة إلى الأطفال لا تعني على الإطلاق "ترجمة مختصرة" (Traduction en raccourci)هذا المنظور التبسيطي محض وهم ،فوراء مثل هذه البساطة فروق ثقافية،ونكهات لهجية وأحيانا مصطلحات متخصصة. جهل اللغة والثقافات الأجنبية التي تختلف عنا يساهم في تعزيز عقبات الترجمة التي تستهدف الصغار.وأهم عقبة تجابه المترجم ما السبيل إلى إيقاع أو نبرة تدعو وتحث صغار القراء على الاستغراق في القراءة ومواصلتها حتى النهاية؟.

وفي إطار الترجمة الثقافية نرى أن ثقافة الطفل ثقافة خاصة مغايرة لثقافة الكبار وان شاركتها في بعض الجوانب والملامح، على أن المجتمع العربي والجزائري على الخصوص ـــ في بدايات اهتمامه بأدب الأطفال ـــ لم يكن يملك قدراً كبيراً من النصوص الصالحة للطفل[lii] فاستعان بالترجمة. ومن ثم كانت ندرة النصوص العربية مسوغاً للترجمة للطفل العربي. ولما نما التأليف أضيف مسوغ آخر هو الانفتاح المعرفي على آداب العالم وعلومه وفنونه وعدم التقوقع على الذات الثقافية العربية. وما زال مفهوم الانفتاح المعرفي ـــ نظرياً على الأقل ـــ سائداً في المجتمع العربي، ومسوغاً رئيساً للترجمة للطفل العربي، وهذا أمر مشروع، لأن الأمم بدأت تقاس بما تقدمه لأطفالها من غذاء ثقافي، وبمقدار مراعاتها حقوق هؤلاء الأطفال.

في هذا المضمار لا ننسى أن أدب أطفالنا تأسسا عفويا على مشافهة الجدات والأجداد. أما الاهتمام المؤسساتي بأدب الأطفال في الوطن العربي وفي الجزائر التي عانت من "كولونيالية" بغيضة فقد دخل الحياة الثقافية من باب التبعية الثقافية والإعلامية، حين طُرح أدب الأطفال بقوة من مراكز التبعية الغربية، وحين لاحظت النخب الثقافية والسياسية والتربوية العربية أن الغرب يعنى بمخاطبة الأطفال والناشئة العرب، وشرع ينتج لهم الترجمات الهجينة و أدب الأطفال عموما، وينقله إليهم بلغات أجنبية وهجينة وبوسائط ثقافية متعددة، وعبر وسائل الاتصال بجماهير الأطفال التي تنوعت وزاد تأثيرها بما لم تستطع وسائل القياس أن تحيط به في ظل تردي البحث العربي في الأدب الطفلي .

وهكذا، برز الاهتمام العربي بأدب الأطفال من خلال أمرين أولهما: توجيه أدب الأطفال ضمن أهداف محددة لم يتفق حتى الآن على توصيفها ومحتواها القيمي والفكري والفني، وثانيهما: مواجهة مخاطر هذه الكتابة التي تستهدف الأطفال والناشئة غير أن الغلبة والتأثير الأوسع ما يزال وقفا على مراكز التبعية التي تنتج أدب الأطفال لجمهور من الأطفال والناشئة العرب، بمواصفات أفضل وتنوع أوضح، وسعر أقل، يتيح لهذه المنتجات الرواج والانتشار أكثر من المواد الأدبية العربية النادرة والقليلة، نوعا وكماً.

**الترجمة وثقافة الذاكرة أم ثقافة الإبداع :**

إذا كان الأطفال يدركون العالم الطبيعي والعالم الاجتماعي بكل خثله الثقافي من خلال السرد أو القص.إن القصص التي يسمعها الأطفال أو يقرؤونها في حضن أسرهم ومدارسهم وبيئتهم الوطنية تجعلهم يُقطِّعُون الوجود وفقا لطبيعة لغتهم وثقافتهم[liii] .إن اللغات تختلف في تمثل نفس الحقائق فكل لغة طريقتها الخاصة في تصوير أو تمثيل الواقع. أما طبيعة النصّ في أيّ لغة فتخضع لعوامل دينيّة

وثقافيّة وبيئيّة واجتماعيّة، تسهم في إنتاجه وتطبعه ملامحها التي تنعدم في نظيراتها، لهذا كانت النسبيّة في فعل التّرجمة ونقل نصّ من لغة إلى لغة أخرى. الترجمة حتميّة فرضتها طبيعة تعدّد اللّغات وتنوّعها، فلولا هذه الكثرة والاختلاف لكان النّاس أمّة واحدة قال تعالى:﴿وَمِن آيَاتِهِ خَلقُ السَّمَاوَاتِ والأرضِ واختِلاَفُ أَلسِنتكُم وأَلوَانِكم إنَّ فِي ذَلِكَ لآيَاتٍ للعَالِمِينَ﴾ الروم/22

إطلاقا من طبيعة كل لغة ،القصص المحلية القومية التراثية تمنح الأطفال واليافعين طرقا يفسرون ويحللون بها الأحداث والتجارب. بالإضافة لهذا تجعلهم يعيشون حياتهم بكل أحداثها ومغامراتها وصعوباتها كمتوالية أو سلسلة من القصص المتشابكة والمتماوجة التي تعزز اندماجهم في مجتمعهم وثقافتهم. فالاستماع إلى القصص ومحاكاتها تعد نشاطا ثقافيا لا يستغني عنه الطفل.إن شكل القصة ومحتواها يؤسس ثقافتهم التي لا تتطابق حتما مع ثقافة الآخر نظرا لاختلاف المعطيات.تشكل بنيات أو أشكال ثقافتهم طريق تفكيرهم وتذكرهم للتجارب.

عندما نترجم قصص الآخر ونوجهها لأطفالنا نقدم لهم في واقع الأمر صياغة الأخر لوجوده ومجتمعه وثقافته التي قد لا يقبلها أطفالنا أو ربما يقاومونها أو ربما يتكيفون معها على كل تلقيها يبقى مفتوحا حتى نعمل على توطينها وتأهيلها عبر الترجمة لتكون مفيدة . السرد أو القص لا يختلف عن اللغة له الوظائف المتشابكة نفسها ،فالأطفال يستمعون ويقرؤون ويحكون القصص للتفكير وللتواصل .القص كلغة هو، في واقع الأمر، شكل من أشكال الترجمة أو الوساطة يصنع نظاما للعالم وللثقافة .وإذا كان اختلاف الثقافة يتأتى من خلال اختلاف اللغة على المترجم أن يكون ماهرا في انجاز تفاوض ما بين اللغتين وبالتالي بين الثقافتين المختلفتين .

يلاحظ أن كتب الأطفال المؤلفة والمترجمة عموما تعتني بتنمية ثقافة الذاكرة على حساب ثقافة الإبداع وجعلت الطفل آليا مبرمجا مستهلكا للمعرفة حافظا لها.وأهملت جوانب أخرى تتناغم وطبيعة القرن الحادي والعشرين التي من أهمها إثارة التفكير بوضع المادة الأدبية المؤلفة أو المترجمة على شكل مشكلات تتحدى عقل الطفل فتحفزه وتدفعه إلى الاستقراء والاستنباط والاستنتاج والتركيب ... موظفا كل طاقاته العقلية.وفي هذا السياق إذا تأملنا الترجمات الحالية نجد أن المعيير التي تحكمها في العالم العربي قد تغيرت قياسا بالمعايير التي كانت سائدة في النصف الثاني من القرن العشرين وهذا بفعل العولمة التنميطية والانفتاح.على العموم بدت الترجمة للكبار وللصغار محكومة بجدلية الأنا والآخر.لقد احتفت بالمفاهيم الثقافية المعاصرة واتسمت بالتبادل الثقافي والمثاقفة،والغزو الثقافي والاستلاب والانفتاح على الآخر كما ونوعا أو الانغلاق على الذات.

تتطلب الإحالات الثقافية من المترجم أن يكيف كتاباتها وفق الأعراف والمعارف المفترضة لدى القارئ الصغير دون تجريح المعايير الدينية والاجتماعية التي تشكل تحديا كبيرا للمترجم الذي يقوم بترجمة نصوص ذات مناخات واذواق وصبغات دينية منافية لتقاليدنا الإسلامية ويصعب اجتثاثها من النص الأصلي إلى بخيانته والتفاف حوله .

في هذا السياق واستنادا لما سلف يتلخص دور المترجم في عملية الترويم أو المفاوضة المرنة ما بين نص الانطلاق ونص الوصول يجب عليه أن يقوم بتوصيل مواد وأنظمة ومناهج وصيغ ومعجم وتراكيب مفيدة ومجدية للمتلقي الصغير.إن المترجم في مواقف كثيرا لا يملك إلا أن يفاوض في عناصر الترجم على سبيل المثال:

**يفاوض من أجل تبديل الترتيب :**

مثلا جاء العنوان في الفرنسية La cigale et la fourmi الثقافة العربية لا ترتاح لهذا الترتيب وفضلت ترجمة العنوان كما يلي:«النملة والصرصور»وتعليل هذا الترتيب في ثقافة الأنا أن النملة في الثقافة العربية الإسلامية أمة لها نظامها ذكرت في القرآن الكريم ولا يجوز أن نقدم عليها الصرصور الذي ليس نموذجا يقتدى به سلوكيا فهو كسول وليس نشيطا وأخلاقنا تمجه.في هذا السياق المقاومة الدينية جاءت عفوية وفرضت هذا الترتيب بوصفه عرفا وسلوكا راسخا.

**يفاوض من أجل استبدال شخصية بأخرى:**

بعض الشخصيات القصصية قذرة تكرهها ثقافتنا بسبب تحريمها متاعا مأكلا ومشربا وتجارة. ثقافتنا العربية الإسلامية تستنكف وتتأذى من ترجمة هذه الجملة الواردة في قصة الخنازير الصغيرة الثلاث. تقتضي الأنا ترجمة هذه الجملة باستبدال الشخصية بأخرى تقبلها ثقافتنا « j'aime notre <u>cochon</u> il est beau et si doux» نترجمها« أحب <u>خروفنا</u> فهو جميل وأكثر لطفا».

يفاوض لاستبدال عناصر بعناصر ملائمة لثقافة الهدف فلا تكون غريبة بل مقبولة ومفيدة.يستبدل الرموز والأبطال والفضاءات وسيمياء الأشياء بأخرى مخالفة لثقافة نص الانطلاق .فالمترجم يمارس قي واقع الأمر عمليات كثيرة تتراوح بين *الإلتزام والتكييف والتحييد والتخيير والتحويل والكشف والاستبدال والانتقاء والتطبيع*...إلى جانب هذا يمكن أن يكون المترجم عفوا أو قصدا أداة فصل أو توفيق أو تحريف وقد يعمل حتى على إقصاء النص الأصلي.إن الانفتاح الترجمي المثري للثقافة والتبادل لا يجب أن يفضي إلى انطواء هوية الأطفال،انطواء يقهر شخصية الأطفال ويورثهم العديد من العقد ويحول دون نماء سيكولوجي سليم.وهكذا نتيجة يكون المترجم قد هدم ماهية الترجمة لا الترجمة في حد ذاتها[liv].

هناك قوى وميولات ونزعات عرقية كثيرة تتقاطع عند المترجم ونص الانطلاق ونص الوصول، تعمل على تشويه وتحريف حصيلة الترجمة ،وتمنعها من الوصول إلى الأهداف المرسومة، ومن ضمنها الظواهر التالية والتي نكتفي بذكرها فحسب . منها عقلنة النص وتجريده من الأحاسيس وبالتالي لا يقبل عليه الأطفال بل ينفرون من جفافه وجدبة لأن الحواس محرك الأطفال الأساسي.إغراق النص بالتوضيحات التي تضخمه وتُطَوِلُه فيمجه ويبتعد عنه المتلقي الصغير.أما اختصار النص وتقليص حجم نسيجه عن طريق توظيف أيقونات ومثل مضبوطة فيعسر ولا يسر على الطفل فك مغاليقه وحِكمه الثقافية.

إن النص المترجم إذا تم مسح تنوعات نسيجه اللغوي وهُدِم إيقاعه عمدا أو عجزا فيفقد دليل القراءة بل يصبح معتما لا تفك طلاسمه .فإن هدمت عباراته باستبدال الصور والصيغ والأمثال بمقابلات في لغة المصب ربما افتقد غيريته وفقد معها فضول القراء الصغار.تحويل معجم الترجمة مثلا إلى معجم ذي طبيعة مادية واقعية أو خرافية أو أسطورية فالاقتصار على معجم والميل إليه قد يورث الأطفال ضعفا في الإدراك والتخيل يشوه عالمهم ووجودهم فيتمثلونه على غير حقيقته.أما عدم التوازن بين مختلف الشفرات(الكتابة،الصوت،الصورة،الألوان...) فيؤدي إلى فشل الترجمة السيميائية في الوسائط الأخرى التي تعتمد عليها كالفيديو والسينما والأفلام المتحركة وبقية الوسائط.

وتتجلى إجابيات القصص والنصوص المترجمة في تطعيم قدرات الطفل بصيغ وبنيات عقل وتفكير متطورة عم يجده في ثقافته المحلية التي تنعت بأنها ضعيفة ولا ترقى إلى الاكتفاء الذاتي بل تحتاج إلى روافد عالمية مستقاة من نصوص اللغات الأجنبية. انبثقت في السنين الأخيرة أفكار في غاية الأهمية طرحت من قبل علماء النفس والأعصاب تقول:«إن القصص هي الشكل الذي ننظم من خلاله التجربة

،وتلك القصص أو مخططاتها لا توجه ذاكرتنا فحسب بل توجه كذلك تجربتنا الآنية وما قد يحدث في المستقبل،هذا ما نفهمه من شذرات المعلومات وننظمه في شكل قصص»[lv] مخططاتها هي بمثابة "برمجيات Logiciel".

ومن جهة أخرى يرجح أن يتأثر الطفل العربي بموضوعات الأدب المترجم وقيمه، هذا التأثر ذو وجهين: وجه ايجابي يكمن في اطلاع الطفل العربي على عادات الأمم الأخرى وتقاليدها وعلاقة أطفالها بمجتمعهم وأسرهم وأوطانهم، وهذا ما عزز لدى الطفل العربي مجموعة من القيم المعرفية والاجتماعية والوطنية والإنسانية، إضافة إلى المتع الفنية النابعة من الحكايات الشائقة والشخصيات المحببة التي تستجيب لتطلعات الطفل وحاجاته.

غير أنه أمام المد الكاسح للمواد المترجمة كبضاعة مجزية في الأسواق العربية ،سرعان ما تسربت مواد فاسدة مخربة للعقل والوجدان ترتبت عنها نتائج وخيمة تمثل الوجه السلبي للقيم ،وتعكس صورة للتلوث البيئي والخروج عن العادات والتقاليد والقيم. وهذا الوضع لا يصلح إلا بردة فعل قوية مصحوبة بتخطيط تعززه سياسة ثقافية تهدف إلى القضاء على هذا التلوث بواسطة إنتاج عربي وطني وقومي موجه للأطفال والمراهقين. و هذا الدور يمكن أن تنهض به كتب الأطفال المؤلفة والمترجمةفي إطار رفع التحدي ووضع البديل أمام الأطفال مع التوجيهات التربوية المناسبة له.

أما الوجه السلبي الثقافي الذي كرسته الترجمات أو حتى بعض التآليف تمثل في ضمور الحرص على اللغة العربية والإخلال بدقتها وانضباطها بالإضافة إلى انعدام التوازن بين ما هو علمي وأدبي ، إلى جانب التركيز على العوالم العجيبة

والغريبة، والشخصيات المستمدة من الحكايات الخرافية، وخصوصاً السحرة والكائنات الغريبة الجينة أو مخلوطة الجينة وما يرتبط بذلك من خوارق كطيران البواخر وناطحات السحاب والحيوانات الضخمة واختراق باطن الأرض ومسخ الإنسان حيواناً أو مخلوقا آليا وانقلاب الظواهر المعتادة وما إلى ذلك مما يفتقر إلى السند العلمي وان كان مفيداً لتنمية مخيلة الطفل. وليس هذا الوجه السلبي خاصاً بالقصص التي ترجع إلى منتصف القرن العشرين، بل هو عام، يلاحظ في قصص كثيرة[lvi] يتصدى فيها للترجمة مترجمون ليس لهم نصيب وافر من اللغة العربية بل هم دون مستوى لغة الأصل أو المصدر بل لا يدركون أدنى عقبات الترجمة وما ينجم عنها من عوارض تستحق المساءلة. هذه الأخطاء والفجوات كرست الضعف في تكوين الأطفال وخلقت فجوة كبيرة بينهم وبين الواقع المعاش.

**الترجمة وبناء هوية الطفل :**

عندما نتوجه إلى الطفل بترجمة قصة أو حكاية أو حدث لا ينبغي أن ننظر إلى الترجمة المُكَرسة على أنها فعلا لغويا فحسب بل هي فوق هذا وذاك غالبا ما تكون مسكونة بعناصر أجنبية فهي أيضا عملية ثقافية – اجتماعية ونتاج البيئة والظروف المحيطة بالمترجم كالتأثيرات السياسية والإيديولوجية والعقائدية والميول السيكولوجية [lvii]. إن الترجمة تتميز بموقعها البيني لكن نادرا ما تكون على مسافة متسواية ما بين الأصل والهدف فهي في الغالب تكون مشدودة إلى أحد الطرفين الأصل أو الهدف .

نظرا للخطورة التي تكتسيها الترجمة في حياة الطفل والأمة علينا أن ننتدب لها مناهج معاصرة قادرة على معالجة الظاهرة التي شرعت تتعقد في زمن العولمة حيث الترجمة هي لغة أوروبا أو الإنسانية المشبوكة في الشبكة العنكبوتية .ومن بين

المناهج التي تصلح في هذا المضمار سوسيولوجيا الإنتاج الثقافي كما طورها عالم الاجتماع الفرنسي"بيير بورديو " أو حتى سوسيولوجيا التلقي الثقافي وذلك لإتمام الدورة الترجمية التي تنتهي بالتلقي المنتج الذي يصدر عن المتلقي الصغير – الطفل – .ويأتي اختيار مثل هذه المناهج بسب تركيزها على الحضور الاجتماعي والثقافي الذي يكتنف نص الترجمة ويغمره بكائنات ومواد ثقافية وعقائدية وسلوكية نخشى من تأثيرها على هوية أطفالنا وقد تصنع منه رجلا معاديا بل ومنتقصا لهويته . ينطوي فعل الترجمة على مفارقة أساسية تشكل العامل الأساسي الذي يجعل من الترجمة فعلا اجتماعيا – ثقافيا بامتياز أكثر من كونها مجرد فعل لغوي.

الترجمة الموجهة إلى الأطفال والمراهقين أو حتى الكبار لا ينبغي لنا أن نختزلها في مجرد النقل اللساني والذي من شأنه تسطيح بل انتقاص فهمنا للترجمة التي نريد منها أن تكون أداة قوة وتعزيز لـــ الأنا . نحفظ لها كيانها عندما نهتم بمهادها وسندها الثقافي وهو ثوب أساسي لا تستطيع أن تتخلص منه بل تجره غصبا عنها أرادت ذالك أم لم ترده. الترجمة تتطلع دائما إلى مترجم يكسوها بثوبها القديم أو بالثوب الجديد،لكنها لا تقبل الظهور عارية. والمترجم عندما يرغب في التعريف بالآخر يلبس الترجمة ثوبا ملائما معتادا لا تنفر منه الأنا بل تقترب منه فهو يسعى بكل مهارة إلى جعل هذا الآخر مفهوما ومألوفا للأنا،وهو ما لا يتم إلا بترع الغرابة عن هذا الآخر، وتجريده من بعض "أخرياته–غيرياته " وخصوصياته التي تحول بينه وبين الاندماج في الآخر.

تنطوي هذه المفارقة على توتر بين فاعلين (*الأنا والآخر*) أو فعلين، الترجمة بالميل إلى (*الأنا* )أو بالميل إلى (*الآخر*)- وهنا أتوسل بمصطلحي "بول ريكور" الذي سبق أن وظفهما في آليات التأويل – وهما المماسفة Distanciationوالملائمة Appropriation الأول يسعى من خلاله

المترجم إلى صيانة المسافة بين (*الأنا والآخر*) ، والثاني يتوسل به المترجم لردم الهوة بين الطرفين . الترجمة إذا هي في واقع الأمر عملية تفاوض بين هذين الفعلين ،يسعى المترجم من خلالها إلى إحراز هدفين : الاحتفاء بالاختلاف (وهو ما يمنح فعل الترجمة شرعيته) وإنجاز الإتلاف(وهو ما يمنح نتاج الترجمة مقبوليته أو بالأحرى مقرؤيته في الثقافة المنقول إليها) . و في سياق المنهج الثقافي لا يختفي التقابل كليا بين اللفظ والمعنى، ولكنه يميل إلى التمركز حول مسألة اللغة: أهل المصدر من جهة وأهل الهدف من جهة أخرى فعلى المترجم أن يتوسل بإحدى الاستراتيجيات أو يعتمد على عبقرية المفاوضة بين الطرفين[lviii] .

يفضي بنا التعليل والتمثيل السابق الذكر إلى مراجعة المقابلة الثنائية بين الطرفين فلا ينبغي لنا أن نختصر الترجمة في أشكال مـــن المواجهة والمفاوضة ( المماسفة ،الملائمة،التقريب، التغريب ، الاختلاف، الإتلاف ) بين مترجم ونص أصلي من ثقافة أجنبية ،بينما هناك أطراف عديدة وفاعلة تشارك في عمليات إنتاج وتلقي الترجمة وكل عنصر من هذه العناصر يساهم في تشكيل نسق وسياق الترجمة ويمنحها سماتها ومعاييرها ومسارها ومصيرها داخل الثقافة المنقول إليها.

من بين الأطراف المشاركة في الترجمة نذكر مؤسسة النشر،وسياسة النشر المعتمدة،وطريقة تقديم الترجمة ،بما في ذلك الرسوم والصور وعتبات النص التي تشمل الغلاف الأمامي والخلفي،والمقدمات والحواشي والنص السابق واللاحق والموازي .أظف إلى ذلك علاقة هذه الترجمة بغيرها من الترجمات المتاحة في سوق الترجمة ،وعلاقتها بمعايير الترجمة المقبولة في الثقافة المترجم إليها ، بما في ذلك المساحة المتاحة لتقبل الاختلاف، لاسيما فيما يتعلق بما يمكن أن تراه الثقاثة المترجم إليها على أنه من قبيل المحرمات .

**وظيفة الحضور الثقافي داخل نص الترجمة :**

قلما يكون نص الترجمة خلوا من الحضور الثقافي الذي يحتاج إلى تفاوض بين الطرفين لما ينجم عنه من خسارة أو ربح بين الطرفين.إن المترجم بوصفه جمركي بين حدين لغويين وثقافيين يراقب السلع فيمنع الرديئة والخطيرة والفاسدة ويتخير النافع والمفيد والأخلاقي والتربوي والإنساني فيسمح له بالمرور عبر اللغة التي هي بمثابة العربة الناجعة التي تشحن بمواد ثقافية مختلفة لا تمثل خطرا على من يقتنيها من النشأة واليافعين تعرف الترجمة على أساس أنها:«تواصل من خلال رسائل مترجمة في إطار نظام ثقافي – لغوي محدد،بما يترتب عن ذلك من نتائج تستدعي تفكيك الرسالة الأصلية وتحديد العناصر الثابتة ثم نقلها عبر الحدود الثقافية اللغوية وإعادة تشكيل الرسالة في اللغة المترجم إليها.»[lix] وهنا المترجم يرصد ويتتبع المواد الأدبية الأجنبية(شخصيات،فضاءات أفعال،عواطف،أفكار،قيم،أجناس،صور،أساليب،قوالب،أساطير قديمة وحديثة،معتقدات،عقائد،أمزجة)منها ما يعمل المترجم على *تثبيته أو محوه أو تحويله أو استبداله أو اختصاره أو تقليصه ...*

يقول هوراس في كتابه فن الشعر:« لا يجمل بك أن تحاول نقل الأصل كلمة بكلمة مثل عبيد الترجمة»[lx] فالترجمة كلمة بكلمة تكون محالة،لأنه لا توجد لغتان تتطابقان في بنائهما التركيبي للجمل،ولا في الصيغ الصرفية،ولا في الأنماط النحوية،باختصار ليس هناك لغتين تتطابقان في تصميمهما اللغوي الجوهري.وفضلا عن هذا تختلف اللغات باختلاف البيئات الثقافية التي نشأت فيها. هذا الوجود اللغوي – الثقافي المزدوج،أو المخطط الجنسي – اللغوي ethnolinguistique للاتصال ،كما يسميه "إوجان أ نايده" Eugene A Nida يجعل «من المحال

كليا أن نتعامل مع أية لغة بوصفها علامة لغوية، دون أن نقر على الفور علاقتها الجوهرية بالسياق الثقافي بوصفها كلا ».[lxi]

ومشكلة ترجمة الشعر،بصفة خاصة ، أكثر حدة ،حيث تكون العلاقات اللغوية في أكثر أبنيتها حساسية وتعقيدا وتركيزا، فتغدو جسد القصيدة .« وتغدو المشاكلة مبدءا بنائيا للنص في الشعر ...فترجمة الشعر محالة بحكم تعريفه ،وليس هناك شيء ممكن سوى التبادل الخلاق. [lxii]» . المترجم الممتاز وهو يترجم للأطفال يمكن أن يضيف للغة الأم ،ذلك أنه يدفع طوالع الإدراك لمواطنيه إلى أبعد مما هي عليه ،وذلك عندما يوظف اللغة في وظائف جديدة ، ويكشف عن الطرائق التي استخدمت في أماكن أخرى وثقافات أخرى لتوصيل حالا بأعينها من حالات العقل ،أو توصيل حدوس مباغتة ومشاعر غير مالوفة للكبار والصغار[lxiii] .

النصوص المترجمة أو المعربة تتميز بوضع خاص ضمن النسق الأدبي العربي .تأسست من عمليات نقل وترجمة وتحويل لنصوص أصلية غير عربية . إنها نص ثان يفترض نصا أصليا أول ، لكنها كذلك نصوص مستقلة بشكلها وصياغتها في اللغة المنقول إليها،وهذا هو المعنى الذي نقصده .بمصطلح" تعريب" المتعدد الدلالات والاستعمالات في اللسان العربي. في هذا السياق نعني .بمصطلح "تعريب" في آن واحد عمليات الترجمة والنقل والتحويل لنصوص من لغاتها الأصلية إلى اللغة العربية ،وأيضا وبالأساس البنيات النصية والخطابية والشكلية والأجناسية التي تم بها إدماج النص المترجم في النسق الأدبي العربي،والتشكيل النصي الذي توسلت به تلك النصوص للتداول في الحقل الأدبي العربي.إن مصطلح "تعريبّ يعني الترجمة كما يعني كذلك منح شكل عربي لنص غير عربي.

إن كل نسق أدبي في لغة ذات تاريخ وثقافة وحضارة يتضمن بدرجات متفاوتة في الحجم والأهمية نصوصا أدبية مترجمة تندرج في النسق الأدبي المنقول

إليه،وقد يحصل أن يصير لها وضع مركزي ومؤثر في تاريخ ذلك الأدب كما وقع لألف ليلة وليلة التي ترجمت أول مرة إلى الفرنسية من قبل "أنطوان جالان".إن الأدب المترجم نسق فرعي في النسق الأدبي،وقد يحدث في فترات من التاريخ أن يحتل مركز النسق الأدبي بأكمله ويكون العنصر المهيمن فيه.

الأدب المترجم ليس أدبا أجنبيا وليس كذلك تأليفا محضا وإبداعا أولا.إن قصص وخرافات " *سندريلا* **Cendrillon** *" و"أليس* *Alice* *في بلاد العجائب" "والبؤساء" و"هاري بوتر* **Harry Potter** *"و"الحسناء والوحش"*...المترجمة إلى العربية مثلا ،ليست نصا أدبيا عربيا أصليا لكنها في الآن ذاته ليست نصا فرنسيا أو إنجليزيا ...،إنها أدب مترجم، والمترجم ينقل إلى اللغة العربية نصا غير عربي بل هجين أو نص بيني، لكنه يصوغه عربيا وفق مقاييس النسقين اللغوي والأدبي العربيين، أو بالأحرى يحاول إدراجه في النسق الأدبي العربي العام إما بالخضوع لهذا النسق أو التمرد عليه أو الإلتفاف حوله ومراوغته . وفي هذا السياق يرى بعض المترجمين «أن كل تدخل لأحد تراكيب لغة الانطلاق يعتبر رعونة، لا بل عدم إتقان للغة الوصول»[lxiv] .

ومـــا يسترعي الانتباه، في حـــدود صناعة الترجمة الأدبية سواء للصغار أو الكبار، هو الاختلاف البعيد الأثر بين سيكولوجية إنتاج النص الأدبي الأصل المعد للترجمة، و سيكولوجية التلقي و الترجمة. فإذا كان الكاتب أو الشاعر حرا في نشاطه الإبداعي فإن المترجم أسير و لا يبدع أو يعيد الإبداع إلا في ضيق سيكولوجي تحت رقابة النص المصدر الذي يجب أن « يفهمه و يستوعبه و يتحسس تفاصيله و يؤوله و يحافظ على أصالته وثقافته التي لا تقبل التشويه »[lxv]و من أجل هذا عليه أن يلجأ إلى تأسيس حوار بينه و بين النص المصدر و صاحبه و متلقيه الافتراضي كي يتجلى قصد كل عنصر قصد المصدر و قصد

الهدف و قصد المتلقي .وهنا المتلقي الصغير يواجه فائض القيمة والأثر المتبقي للترجمة التي تطلق طاقات واحتمالات للمعنى وثيقة الصلة باللغتين والثقافتين اللتين يترجم إليهما النص.

مسألة الاختلاف والابتعاد في الترجمة مسلمة بل حتمية .في واقع الأمر المترجم ينتج نصا مفارقا ومختلفا عن النص الأصلي سواء مارس الخيانة أو الأمانة على النص.ما يحدث في فعل الترجمة أن المترجم يكتب بشفرات لغوية مختلفة أو مخالفة للشفرات اللغوية للنصي المصدر. فهو يساعد النص الأجنبي أو المصدر على الاندماج ليعيش حياة جديدة.فعندما يُترجِمُ إلى اللغة العربية على سبيل المثال فهو يكتب بلغة سليلة ثقافة وفكر معينين . والمترجم وهو يستخدم ألفاظ وكلمات ودوال وتراكيب ومراجع ومستويات لغوية مختلفة فهو بالضرورة يخون ويبتعد عن النص المصدر أو الأصل، لأن هذا النص المصدر هو كذلك وليد ثقافة بعينها[lxvi].

عندما يقارب المترجم النص الأجنبي عادة يذيب شخصيته و يتلبس بشخصية من يترجم عنه ليتقن عمله. و في هذا السلوك إنئخاذ بشخصية الآخر و تطويع لغة الأم كي تقترب من صيغ و أبنية و دلالات و استعارات اللغة الأجنبية[lxvii].

فمن أجل الوصول إلى ترجمة موفقة مكافئة يتأرجح المترجم بين الانقياد و الانعتاق من سيكولوجية المبدِع أو المبدَع أو المبدَع له . هل هو زجاج شفاف أو ملون . لمـــن الهيمنة و السب أ لنص المنبع أم لنص الهدف ؟ فإذا ما سوينا بينهما تطرح طبيعة الوسيط اللغوي بينهما و يحتدم النقاش حول الترجمة أ هي فن ( Levy savory) أم علم ( Catfood , Nida) أم تقنية أم هي شيء مستحيل نظريا لكن تبرره الممارسة [lxviii]من هنا ليس غريبا أن يضطر المترجم إلى التوسل بكل آلية من آلية المحاكاة إلى الخيانة الذكية و التعويض إلى التغيير بل يذهب حتى إلى ما وراء

النص من أجل أن ينهض بتفسيره و ترجمته . فهو « كالغائص في البحر يحتمل المشقة العظيمة و يخاطر بالروح ثم يخرج الجواهر الثمينة الراسية في القاع »[lxix]

إن نص الترجمة حسب رأي معظم الدارسين نص هجين أو نص بيني تتصالب فيه وتتقاطع عدة نصوص ،النص الأصلي أحدها فحسب.من بين النصوص الأخرى التي تترك أثرها في نص الترجمة مجمل النصوص الأخرى المؤلفة والمترجمة في الثقافة المنقول إليها والتي تتسرب سماتها إلى النص الأصلي.إن الثقافة هي المجال الحيوي الذي يتم فيه إنتاج الترجمة وتلقيها، وهو ما يعني أن أية دراسة جادة لظاهرة الترجمة لا يمكن أن تتجاهل هذا المجال الحيوي[lxx].الترجمة ليست عملا محايدا،بل هي انتماء وتموقع ومن ثم يجوز لنا أن نتساءل عن خندق المترجم وهل يتموقع بين الثقافات أم داخل الثقافات وهل يستطيع أن يقف مسافة عادلة بين النصين أم هو دوما مصاب بالميل[lxxi]. «وفي هذا السياق تعد الترجمة الحرفية إبقاء على الأخر متميزا متخندقا داخل خصوصياته مما يجعل المترجم حارسا على الحدود بين الكيانات الثقافية والعرقية»[lxxii]

**خلاصة:**

عمل المترجم بوصفه حصيلة – أنا وآخر- ليس نهائي ولا محدود،يحتاج دوما إلى المراجعة والإعادة والتحسين.على الرغم من كونها لعبة ومتعة الترجمة للأطفال سواء كانت حكاية أو رواية أو رسم كرتوني أو إشهار أو شعر محترم للأصل والجمهور المتلقي الذي يستأهل الأمتع والأجود.فالترجمة أبعد من أن تكون مجرد لعبة أطفال بل هي مسألة جادة تتطلب جهدا مضنيا ومضاعفا لا ينهض بها إلا أصحاب الاختصاص بل المؤسسات المختصة.

إن العمل الترجمي الذي يستهدف الأطفال واليافعين،يثير إشكاليات وأسئلة أعقد من الترجمة في حد ذاتها والترجمة للكبار .إن الترجمة للأطفال عمل شاق يشارك في بناء أدب أو آداب مستقلة لها خصوصيتها الواضحة والمميزة.في معظم أحوالها ومظاهرها ،الترجمة في مرورها من لغة الانطلاق إلى لغة الهدف يعترض سبيلها إشكال ثلاثي الأبعاد:أولا الخيانة السردية وتتمثل في الكيفية التي توظف بها القصة أو الحكاية بداء من درجة السفر وانتهاء بالأدبية الفائقة.ثانيا الخيانة الاجتماعية وهي تتلخص في الكيفية التي يوظف بها المترجم الشفرات والمرجعيات .ثالثا الخيانة اللسانية وتعري الطرق والأساليب التي تبين كيف تنعكس الإشكاليات الثقافية في شعرية الترجمة.

إن ترجمة أي نص للأطفال لا تكون نهائية بل محكوما عليها بانتهاء الصلاحية وأن تستبدل بغيرها لكونها مصبوغة بعدم الكمال وعدم الدوام مقارنة بنصها الأصلي الثابت الصفات والموازين التركيبية والصرفية غير القابلة للتصحيح.إن نص الانطلاق الأجنبي لا يعد نهائيا بشكل مطلق طالما أنه يعتمد على الترجمة لتأكيد بقائه.فقي النص المترجم لا تختفي الترجمة ولا يختفى المترجم ولا يغيب في عملية الترجمة [lxxiii].

النص المترجم إلى الأطفال يحكم عليه بالقبول من قبل الناشرين والتربويين إذا كانت قراءته سلسة،خالية من سمات لغوية أو أسلوبية غريبة أو أجنبية مبهمة ،مما يجعل النص يبدو شفافيا دون ندوب ،موحيا بأنه يعكس شخصية الكاتب الأجنبي أو قصده أو المعنى الجوهري للنص الأجنبي موحيا كذلك، بكلمات أخرى، أن الترجمة ليست ترجمة في واقع الأمر،وإنما "الأصل" . الترجمة لغة الجميع ولا تكون رديئة، على الإطلاق، إلا عندما لا تحقق أهدافها المرسومة .فإن فشلت فشلا

واضحا وجب علينا مساءلتها لتعيد الكرة فتحسن الأداء.على الرغم من الصعوبات والانتقادات الموجهة إلى الترجمة تبقى هامة وضرورية ولا سبيل للتخلي عنها فهي أنجع وسيلة لنقل الثقافة والحضارة .تفتح أذهان أطفالنا على العالم وتعرفهم على الآخر ،فيكتسبون قيم الحوار والنقاش ،وأعراف السلام والتسامح ويبتعدون عن التعصب والانغلاق.

**الإحالات :**

---

**xxxv -Voir :La belle au bois dormant,الجميلة الغافيةLa belle et la bête, الجميلة والوحشة.Cendrillon, Saladin et la lampe merveilleuse, صلاح الدين والمصباح السحري. Le petit chaperon rouge,القبعة الحمراء.Sindbad le marin, سندباد البحار.Les trois petits cochons,الخنازير الصغيرة الثلاث.La reine des neiges , ملكة الثلوج.Ali Baba et les quarante voleurs,.علي بابا والأربعين حراميLe chat botté,القط ذو الجزمة.Les fées ,الجنيات.Baba Yaga ,بابا ياقا.Grisélidis, اليرقات المذهبة.Peau d'âne,.جلد حمار**

**xxxvi Voir : *La Gloire de Victor Hugo*, Paris, Editions de la Réunion des Musées nationaux, 1985, p.40**

**xxxvii Tzvetan Todorov, *Le croisement des cultures*, in *Communications*, no.43, p.16,**

***apud* Jean-René Ladmiral et Edmond Marc Lipianski, *La Communication***

**xxxviii - سيسيليا ، ميَرايل ،مشكلات الأدب الطفلي،ترجمة مها عرنوق،دراسات نقدية عالمية،دمشق ،1997،ص33.**

**xxxix - سوزان إنجيل ،القصص التي يحكيها الأطفال –محاولة لفهم السرد عند الطفل –ترجمة إزابيل كمال،المشروع القومي للترجمة ،المجلس الأعلى للترجمة،القاهرة ،2004.**

**xl- Michel de coster,L'acculturation,diogene,Revue,n73 ;1971,p15-28et suite.**

**- يقول الأستاذ يعقوب الشاروني، كاتب الأطفال (مصر): كتاب الطفل لا بد أن يتدرج مع قدرة الطفل على الاستيعاب، وأن يراعي المرحلة السنية التي يخاطبها؛ فرسوم الطفل الصغير يُراعى فيها الألوان الأساسية الجذابة (أزرق- أصفر- أحمر)، ويقل فيها عدد الأشخاص، مع إلغاء الخلفيات والاعتماد على ما نسميه الصورة المقربة؛ فالطفل الصغير يرتبك عندما تكثر الخلفيات والشخصيات، كذلك لا بد أن تكون الجمل قصيرة، وعدد المفردات قليلا، مع مراعاة التبسيط في الموضوع، وكلما تقدم العمر قل دور الرسوم وزاد دور النص المكتوب.[xli]**

[xlii] - التثاقف (التكيف الثقافي). التثاقف هو العملية التي يستطيع الفرد أو الجماعة عن طريقها اكتساب الصفات الحضارية لجماعة أخرى من خلال الاتصال أو التفاعل بينهما. غير أن التثاقف بالنسبة للفرد هو عملية تعلم اجتماعي أشبه بعملية التنشئة الاجتماعية التي تلعب فيها اللغة دوراً جوهرياً. أما بالنسبة للمجتمع فالتثاقف هو عملية انتشار القيم والمقاييس والأحكام الاجتماعية إلى المجتمعات الأخرى مع تعرضها لعملية التبدل التي تجعلها منسجمة مع ظروف وأحوال المجتمعات التي دخلت إليها. غير أن هذه المقاييس والقيم والأحكام التي دخلت إلى هذه المجتمعات غالباً ما تسبب لها ظاهرة الصراع الحضاري أي الصراع بين القيم الأصيلة والقيم الدخيلة.

[xliii] - Voir : Baker,Mona,Narratives in and of translation,Skase journal of translation and interpretation,1(1) :4-13.online : www.skase.sk.

[xliv] - Toury, Gideon ,In search of a theory of translation ,Tel Aviv ,Porter Institue for poetics and semiotics ,1980.

[xlv] -Voir : META, Traduction pour les enfants ,num.special dirigé par Riitta Oittinen,48 :1-2,mai2003.

[xlvi] - ينظر عصام نور،العولمة وأثرها على المجتمع الإسلامي،مؤسسة شباب الجامعة،كلية الآداب جامعة الزقازيق،2002 ،ص24-30

[xlvii]- ممدوح محمد منصور،العولمة،دراسة في المفهوم والظاهرة والأبعاد،الجامعة الجديدة للنشر،الإسكندرية،مصر،2003،ص22-25.

[xlviii] CONSTANTINESCU, Muguras, 2008, *Lire et Traduire la littérature de jeunesse*, Suceava, Editura Univertatii,p243.

[xlix] Op.cit.p111.

[l] - ibidem,p206-207.

[li] -ibidem,206-207.

[lii] - على سبيل الاطلاع : صدرت بالجزائر مجموعة من الصحف من جرائد ومجلات متخصصة في مجال أدب قصص الأطفال. ومن أهم المجلات المعروفة في البلد نذكر: مجلة" مقيدش" التي أصدرتها الشركة الوطنية للنشر والتوزيع عام 1969م. كما خصصت بعص الصحف الجزائرية ملحقاتها لأدب الأطفال كجريدة "الشعب" اليومية، وجريدة " المجاهد" الأسبوعية، ومجلة " ألوان "الأسبوعية.

وتلت هذه الصحف الستينية مطبوعات أخرى في سنوات السبعين والثمانين كجريدة" قنيفد" سنة 1972م، ومجلة " ابتسم" سنة 1977م، و" جريدتي" سنة 1981م، ومجلة " رياض" سنة 1986م إلى جانب مجلات طفلية أخرى كنونو والشاطر/

ينظر:جميل حمداوي ، أدب الأطفال في الجزائر

[liii] - يقول محمد عابد الجابري في مقال له تحت عنوان: "العولمة والهوية الثقافية" في مجلة فكر ونقد العدد السادس من سنة 1998، معرفا الثقافة "بأنها ذلك المركب المتجانس من الذكريات والتصورات والقيم والرموز والتعبيرات والإبداعات والتطلعات التي تحتفظ لجماعة بشرية بهويتها الحضارية، في إطار ما تعرفه من تطور بفعل ديناميتها الداخلية وقابليتها للتواصل والأخذ والعطاء، وبعبارة أخرى إن الثقافة هي المعبر الأصيل عن الخصوصية التاريخية لأمة من الأمم عن نظرة هذه الأمة إلى الكون والحياة والموت والإنسان ومهامه وقدراته وحدوده

وما ينبغي أن يعمل وما لا ينبغي أن يعمل".

[liv]

- أنطوان برمان، La traduction et la lettre,ou l'auberge du lointainترجمة عزالدين الخطابي،بعنوان الترجمة والحرف أو مقام البعد،ص44.

[lv] حسن شحاتة، أدب الطفل العربي،الكتاب الحائز على جائزة الدولة التشجيعية،الدار المصرية اللبنانية،القاهرة،1994 ،ص19.

[lvi] - ينظربعض الأعمال التي ترجمت إلى العربية مثلا: story Hansel and gretel,story Rabunzel,les trois petit cochon,Vilain petit canard,cendillon,la barbe bleue,la belle et la bêteبالإضافة إلى القصص المصورة والكرتونية الصحوبة بالسرد الشفوي المترجم إلى اللغة الهدف العربية مثلBatman,Speder man ,Grand laser .

[lvii] Voir : Shavit,Zohar,Poétics of children's literature,Athens,Georgia,1986.

[lviii] -Voir : Jean René Ladmiral, Sourciers et ciblistes, Revue d'esthétique, N° 12, Toulouse, Privat, 1986, P; 3

[lix] - فصول:مجلة النقد الأدبي،لورانس فينوتي،الترجمة جماعات التلقي اليوتوبيا،ترجمة نجوى إبراهيم،الهيئة المصرية،القاهرة،ع2008،74، ص66.

[lx] - ينظر كتاب Arts poeticaترجمة لويس عوض تحت عنوان "الشعرالفاهرة 1947.

[lxi] - Eugene A Nida , (Principles of translation as exemple by Bible Translating) , in on[lxi] Translation, Ed, Reuben A Brewer, New-York,1966,p14.

[lxii] - Roman Jackobson , On linguistig aspects of translation, Brewer, New-York, p238

[lxiii] - Henry Gifford,Comparative literature,London,1969,pp54-55.

[lxiv] - محمد أحمد طجو، ميخائيل أوستينوف: نظريات الترجمة،الأربعاء 25 يونيو 2008

[lxv]- مجلة الوحدة، الأساليب و المشاكل و الحلول، نزار الزين، الرباط، المجلس القومي للثقافة، ع33 – 34 يوليو 1987 .

[lxvi] -Marie-Christine Hellot,La tradaptation :Quand traduire, c'estadapter Shakespeare, Jeu :revue de theatre,n133,2009,p78-82.

[lxvii]- Joelle Redouane , op . cit , P 61-62 .

[lxviii]- Jean Delisle , L 'analyse du discours comme méthode de traduction ottawa , Ed de l'université, 1980 , P 96 .

[lxix]- عبد القاهر الجرجاني، أسرار البلاغة، ص12 .

[lxx] - ينظر مجلة فصول ع74،مس،ص40.

[lxxi] - جمال حضري،الترجمة والمثاقفة،مجلة حوليات التراث،جامعة مستغانم،ع2006،5،ص48-52

[lxxii]Antony Pym ,Pour une éthique du traducteur, Puf,1997,pp16.

[lxxiii] -Venuti,Lawrence,The Translator's invisibility :A History of translation.London and New York,Routledge,1995,p1.

# الأسلوبية صراع بين القدامة و الحداثة

## (دراسة علاقة الأسلوبية بالبلاغة)

---

الدكتورة آفرين زارع و الأستاذة مرضية ميرزاييان

جامعة شيراز – إيران

---

**الملخص**

الأسلوبية فرع من اللسانيات ووليدة علم اللغة، تغذت من البلاغة القديمة، وعلى خلاف زعم بعض الباحثين الغربيين الذين يعدون الأسلوبية وليدة الغرب وأوروبا، يرى العرب جذورها في البلاغة القديمة وعلم اللغة والنقد الأدبي، ولكنها كانت في الانزواء خلال سنوات عديدة حتى تطورت بتطورعلم اللغة الحديثة، وانضمت هذه العلوم تحت لوائها وتوسع مداها، و لم تكتف بهذه العلوم بل تطرقت إلى علوم أخرى نحو علم الاجتماع وعلم النفس وغيرهما.

هذه المقالة تختارعلم البلاغة من بين العلوم المرتبطة بالأسلوبية، وتبحث عن وجوه التشابه والخلاف بينهما حتى تكشف عن العلاقات الوطيدة بينهما عبر الدراسات التطبيقية والتحليل الأدبي في سورة طه، و تتناول مدى فاعلية التحليل البلاغي والتحليل الأسلوبي في كشف أسرار القرآن الكريم.

أهم نتيجة توصلت إليها المقالة هذه هي أن للبلاغة دورها في التحليل الأدبي لكنها قصيرة اليد ضيقة المجال مقارنة مع الأسلوبية التي يكون نطاقها أوسع وتعتبر البلاغة فرعا لها.

**الكلمات الأساسية**: الأسلوبية،البلاغة،التشابه،الاختلاف،الدراسات التطبيقية

**المقدمة**

الأسلوبية منهج نقدي، تطورت بتطور علم اللغة وتقوم بدراسة التحليل اللغوي وهي من الدراسات الحديثة التي لا تزال في التطور و التحول.

على خلاف زعم بعض البلاغيين المحدثين الذين يعدون الأسلوبية نفس البلاغة الجديدة أو فرعا من فروع البلاغة القديمة، لابد من القول إن الأسلوبية تختلف عن البلاغة في غالبية مناهجها و إن ارتبطت بها في بعض المواضيع وفي بعض قضايا التحليل اللغوي لكن فاعليتهما تختلف في التحليل الأدبي أيضا . والأسلوبية أوسع مدى من البلاغة.

اهتم كثير من الباحثين المحدثين بدراسة التحليل البلاغي والأسلوبي والقياس بينهما بالتطبيق نحو ما فعل أسامة بحيري في كتابه البنية المتحولة في البلاغة الجديدة، ويوسف أبو العدوس في كتاب الأسلوبية النظرية و التطبيق، وماهر هلال في كتابه رؤي بلاغية في النقد والأسلوبية ، ومحمد عودة في كتابه تأصيل الأسلوبية في الموروث النقدي والبلاغي.. وغيرهم . ما يستنتج من دراساتهم التطبيقية بين الأسلوبية و البلاغة هو أن البلاغة تقوم بالتحليل الأدبي بعلومها الثلاثة : المعاني ، البيان و البديع بينما الأسلوبية تدرس أثرا أدبيا في ثلاثة

مستويات : المستوى الصوتي ، المستوى الدلالي ، المستوى التركيبي. وهذا أكثر شمولا من البلاغة؛ إذ تدخل في دراسة الأسلوبية قضايا نحوية ولغوية.

هذه المقالة تدرس نشأة الأسلوبية محاولة الإجابة عن هذا السؤال: هل الأسلوبية حديثة النشأة أم قديمة النشأة وحديثة التطور؟ و إذا كانت قديمة النشأة إلى أين ترجع جذورها؟ ثم تسلط الضوء على علاقتها بالبلاغة من بين سائر العلوم وأخيرا تقدم معايير لتحليل أدبي باستخدام البلاغة المحضة و الأسلوبية.

اجتهد الباحثون في تحديد مفهوم الأسلوبية اجتهادا بالغا حتى الآن وإن لم يتفقوا على مفهوم واحد.قدمت للأسلوبية تعاريف عديدة وتعريف مولينيه يعد أكملها إذ يقول « هي فرع من اللسانيات الحديثة مخصص للتحليلات التفصيلية للأساليب الأدبية أو للاختيارات اللغوية التي يقوم بها المتحدثون و الكتاب في السياقات_ البيئات الأدبية و غير الأدبية »[lxxiii]

جورج مولينيه في هذا التعريف يشير إلى بعدها اللساني والباحثون يعتقدون بأن اللسانيات ظاهرة غربية و وليدة بيئة أوروبية وهي من الدراسات الحديثة وإن كانت لا تزال في معرض الصراع بين القدامة والحداثة.[lxxiii].

وهذا ليس بمعنى أن الثقافة العربية واللغة العربية تعتزل عن اللسانيات في انتمائها وتكوينها بل يقول إن العرب لم يحصلوا على هذا العلم الجديد إلا بعد صلتهم بالغرب ومعرفة اللغات الأجنبية.

كما يشير إلى أن الأسلوبية مخصصة للتحليلات التفصيلية للأساليب الأدبية أو للاختيارات اللغوية التي يقوم بها المتحدثون والكتاب في السياقات واللبيئات الأدبية وغير الأدبية .

هذا بمعنى أن « مجالات التحليل لدى الأسلوبية قد تجاوزت حدود اللسانيات فأخذت من علم الاجتماع وعلم النفس فانضوت تحت مظلتها، وهذا يجعلنا نقول بأن الأسلوبية قد مدت يدها إلى بعض العلوم من أجل إجراء تحليلاتها » [lxxiii].

بهذا التعريف يتسع مدى الأسلوبية وتتجاوز دائرة الأدب؛ أما الدكتور محمد سليمان فيرد على هذه النظرية ويعتقد أنه لا يمكن التعامل مع الجوانب الأخرى مع النص الأدبي بالدراسات الأسلوبية [lxxiii]

وهو يحدد الأسلوبية في الأحكام اللغوية ويعتقد بأن الأسلوبية ليست قادرة على تحليل الأحكام الثقافية والاجتماعية والحضارية و لكن أكثر الباحثين يتفقون على نظرية مولينية.

يتفق نقاد الأدب على أن الأسلوبية بين سنة 1968 حتى 1975 كانت ضيقة المجال والدراسات اللغوية القديمة كانت تنحصر على الجملة وهذا كان أعلى مستوى دراستهم ولكن الجملة كانت فاشلة في تلبية حاجاتهم لأن دراسة وتحليل بعض الظواهر اللغوية لا يمكن إلا على مستوى النص [lxxiii]، فتقدمت الدراسات اللغوية إلى أن بدأت تدرس بنية اللغة من الجوانب التالية:

الأصوات، بناء الكلمة، بناء الجملة و الدلالة [lxxiii].

فشهدت الأسلوبية تحولا جذريا مع انتشار الدراسات اللسانية و ما تبع ذلك من هيمنة المنهجات البنيوية في ميادين العلوم الإنسانية، وقد أخذ هذا التطور منحيين اثنين :

منحى القاعدة العلمية الصلبة (المنهجية البنيوية) و منحى الاستقلال في إطار علم متكامل يتعامل مع العلوم الأخرى معاملة الند للند» [lxxiii].

فمعدن الأسلوبية البحث عن مقومات اللغة [lxxiii].

من العلوم الأخرى التي ترتبط بالأسلوبية بصلات وثيقة هي البلاغة حيث يعدها بعض الباحثين وليدة البلاغة القديمة وأطلقوا عليها البلاغة الجديدة.ويعتقد بعض الباحثين عكس هذه النظرية نحو فان وايك الذي يرى الأبنية البلاغية للنص ترتبط بالأسلوبية بصلات وثيقة وتعرف جزءا منها ويعدها من صور الأسلوب[lxxiii].

مع تطور علم اللغة في العصر الحديث ونشأة علم الأسلوب في الدراسات اللغوية اهتم الباحثون بالجمع بين البلاغة القديمة والأسلوبية الحديثة الغربية واجتهدوا في طرق تجديد البلاغة وربطها بالدراسات الأسلوبية الحديثة.ولكن ما الربط بين علم البلاغة والأسلوبية؟

هذه الدراسة تدرس بدء نشأهما وتطورهما وأقسامهما و تقوم بالقياس بينهما وتصل عبر هذا الى جواب السؤال المذكور أعلاه.

**نشأة البلاغة و تطورها :**

اهتم العرب والمسلمون منذ القدم بعلم البلاغة وهو من أبرز وأشرف العلوم عندهم لأنها كانت من الأدوات مهمة لفهم القرآن وإدراك إعجازه، وهذا دفع الباحثين إلى فهمها ودرسها حتى أصبحت فنا مستقلا ذات قواعد و أصول. « فإن البلاغة التي نرى بين أيدينا الآن علما مستقلا مميزا عن العلوم الأخرى لم توجد دفعة واحدة و لم تكن ثمرة لجهد عالم معين من العلماء أو فترة من الزمان

و لكن هذا العلم كان ثمرة لجهود كثير من العلماء على مر العصور تعددت مناهجهم واختلفت ثقافتهم وشاركوا جميعا في بناء هذا الصرح البلاغي الكبير » [lxxiii].

وإذا اتبعنا الدراسات الأولى لنشأه هذا العلم وصلنا إلى سنة 208 هـ مع كتاب مجاز القرآن لأبي عبيده معمر و يشير هذا الكتاب إلى المسائل البلاغية للقرآن .

ثم نصل إلى القرن الثالث مع كتاب البيان و التبيين للجاحظ وهذا الكتاب في الفصاحة والبلاغة . ثم تطور هذا العلم ووضع اللغويون القواعد العامة له ثم بادروا بترتيب هذه القواعد والأصول وتيسيرموضوعاتها وتوسيعها إلى العصر الحديث الذي حاول الباحثون فيه تجديد البلاغة وربطها بالدراسات الأسلوبية الحديثة .

لخص باطاهر مراحل نشأة البلاغة و تطورها في أربع مراحل :

المرحلة الأولى : دراسات عامة في فهم القرآن و الأدب العربي.

المرحلة الثانية : وضع القواعد العامة.

المرحلة الثالثة : ترتيب القواعد.

المرحله الرابعة : الاهتمام بتجديدها [lxxiii].

**نشأة الأسلوبية وتطورها :**

في نشأة هذا العلم أقوال متعددة : بعض يقول ترجع نشأته إلى سنة 1968 وبعض آخر يعتقد بأن نشأته كانت في سنة 1886 وآخرون ذهبوا إلى أن

الأسلوبية أسّسها شالرز بالي سنة 1865 ميلاديا. ويتفق جمهور الباحثين على أن نشأتها كانت مع نشأة علم اللغة وتصل قدمتها إلى علم البلاغة ولو أن البلاغة أقدم زمنا منها هكذا نستطيع أن نقول : كانت الأسلوبية وليدة البلاغة القديمة وعلم اللغة وليست علما حديث النشأة.

البلاغة القديمة كانت فن القول لإقناع الناس وكانت ملكة تؤثر على عقول الناس وقلوبهم وانحصرت في ثلاثة علوم: المعاني، البيان، البديع. ولكن لم تتجاوز الجملة إلى النص إلا قليلا .

ولكن البلاغة الحديثه تعدّت فن القول واجتهدت في وضع القواعد وترتيبها وتحليلها في المستوى الأعلى وأصبحت فنا مستقلا.

هكذا نرى أن معيار تشخيص الأحكام النقدية في القديم كان طبع الناقد وذوقه ولكن اليوم المعيار هو الأحكام والقواعد التي انبعثت عن عقلية الإنسان ، فقامت الأسلوبية على الفكرة والعاطفة والخيال والبلاغة وتتناول النص من خلال هذه المعايير ولا تنفك عن هذا.

« فالأسلوبية الحديثة تقوم بتحليل النص من خلال ثلاثة عناصر :

1. العنصر اللغوي : تعالج نصوصا قامت اللغة بوضع رموزها.

2. العنصر النفعي : يؤدي إلى أن ندخل في حسابنا مقولات غير لغوية مثل المؤلف، القارئ، الموقف التاريخي وهدف الرسالة وغيرها.

3. العنصر الجمالي الأدبي : ويكشف عن تأثير النص على القارئ والتفسير والتقويم الأدبي له[lxxiii].

على أساس هذا التعريف تبرز وجوه الخلاف والتشابه بين البلاغة والأسلوبية :

- العنصر اللغوي كما يصرح به اسمه يتجاوز بيئة الأدب إلى اللغة مع أن البلاغة لا تخرج من الأدب.
- في العنصر الجمالي الأدبي يهتم كلاهما بالأثر الذي يتركه النص على المتلقي، لكن الأسلوبية في التحليل الأدبي تهتم بالنص والسياق الحاكم عليه وتنظر إلى الأثرنظرة شاملة على خلاف العلماء البلاغيين الذين يهتمون بدارسة جملة أوجملتين لذا يعتقد بعض النقاد أن البلاغة لا تقدرعلى البحث عن البنية المشتركة بين الصور المختلفة.
- والعنصر النفعي يشير إلى أن الأسلوبية تعنى بالكاتب أو المتكلم عناية بالغة. إضافة إلى هذا تهتم بحالته النفسية ومكانته الاجتماعية اهتماما بالغا ، خلافا للبلاغة التي تعني بالمخاطب وجل اهتمامها التأثير على المخاطب دون الاهتمام بالمتكلم، نحو هذه الآية :

*** ألم يعدكم ربكم وعدا حسنا *** [lxxiii]

في التحليل البلاغي : ليس غرض المتكلم ( موسى) الاستفهام بل يقصد أن يؤثر على المخاطب (قومه ) أي يلاحظ مخاطبه وأحواله ( عصيانهم على موسى ).

ثم استخدم أسلوبا من أساليب علم المعاني ليؤثر على المخاطب ويهز مشاعره، هكذا استخدم تركيب الهمزة و النفي؛ إذ إن هذا التركيب يدل على الإنكار؛ و نفي النفي ايجاب.

أما الأسلوبية فتهتم بالبنية السطحية والعميقة لهذا السؤال أي يلاحظ المتكلم وأحواله النفسية والاجتماعية ويستنتج بأن موسى كان نبيهم و لم يسألهم هذا السؤال لأنه كان جاهلا ، بل لينكر عليهم.

هكذا تتناول الأسلوبية البعد الخارجي لهذا السؤال ثم البعد الداخلي من خلال المتكلم.ففي الآية المذكورة على سبيل المثال، تبدأ الأسلوبية تحليلها بالمستوى التركيبي فتحلل مباحثها الصرفية والنحوية وتدخل في علم المعاني، ثم تدرس المستوى الصوتي فيها فتتناول متغيراته الإيقاعية، التوازي والتكرار والتماثل الصوتي للحروف والسجع والجناس.ثم تدخل في المستوى الدلالي وتحلل النص بكل ما يفعل علم البيان في تحليل الاستعارة والمجاز والتشبيه وغيرها إضافة إلى تحليل الانزياح في المصاحبات اللفظية.

إذن لا تقوم البلاغة بالجمع بين علومها الثلاثة ولا تربط بين السجع في ( وعدا و حسنا) والاستفهام المجازي في علم المعاني، أما الأسلوبية فتربط بين ثلاثة مستوياتها وتحكم : على سياق هذه الآية نوع من التهديد ( يهدد موسى قومه)

هذه المقالة تذكر علاقة الأسلوبية بهذه العلوم الثلاثة : المعاني، البيان والبديع بعد أن شرحت فاعليه الأسلوبيه في التحليل الأدبي:

**علم المعاني** : أصول و قواعد تعرف بها أحوال الكلام التي يكون بها مطابقا لمقتضى الحال بعباره أخرى يقوم علم المعاني بتحليل الجملة من حيث إفادتها المعاني التي هي الأغراض المقصودة للمتكلم مطابقا لمقتضى الحال ولكن الأسلوبية إضافه إلى هذا النوع من التحليل تهتم بتعدد الأساليب المستخدمة مثل

الأمر والنهي والإستفهام وغيرها ومواضع خروج الكلام عن مقتضى الظاهر وتفسيرها.

**علم البيان** : يقوم بإيراد المعنى الواحد بطرق مختلفة بزيادة ونقصان مهتما باللفظ لكن الأسلوبية لا تكتفي باللفظ وظاهر النص بل تحلق في أجواء البنية العميقة للنص أكثر من علم البيان.

**علم البديع** : « هو علم تعرف به وجوه تحسين الكلام والمزايا التي تزيد الكلام حسنا وطلاوة وتكسوه بهاء ورونقا بعد مطابقة لمقتضى الحال »[lxxiii]، ويعتبر التحسين عملية فنية تتقابل مع التطبيق على مقتضى الظاهر ووضوح الدلالة وهو تقابل يجعل من التحسين شيئا هامشيا[lxxiii]، لكن الأسلوبية تجتهد في إيجاد تلاؤم اللفظ مع المعنى إضافة إلى تحسين الكلام و تزيينه. فإن الدراسة الأسلوبية تتمثل في أمرين: الأول: تطوير مفهوم نظرية اللغة وعلاقتها بالواقع الحضاري والاجتماعي، الاعتماد على العلوم المختلفة والإلمام بالأثر الأدبي مطابقا لمقتضى الحال [lxxiii].

و الأسلوبية تقوم بالتحليل الأدبي في ثلاثة مستويات :

أ. **المستوى الصوتي( الإيقاعي)**: يهتم في النص بمتغيراته الإيقاعية، التوازي و التكرار والتماثل الصوتي للحروف، السجع و الجناس و الوقف و الوزن و النبر والمقطع والتنغيم و القافية.

ب. **المستوى التركيبي**: في هذه الدراسة يمكن دراسة الجملة والفقرة والنص وما يتبع ذلك مثل الاهتمام بطول الجملة وقصرها، البنية العميقة والسطحية وكل ما يرتبط بعلم المعاني وعلمي: النحو والصرف.

ج. **المستوى الدلالي:** وفي هذا المستوى يمكن دراسة الكلمات المفاتيح، الاختيار، المصاحبات اللغوية والصيغ الاشتقاقية وما يرتبط بعلم البيان.

على أساس هذه التقسيمات نرى جذور الأسلوبية في البلاغة لأن الأسلوبية تضع علوم البلاغة الثلاثة تحت مظلتها وهكذا يظهرأنها ليست حديثة النشأة.

هذه المقالة تبرز مواضع العلاقة بين الدراسة البلاغية والأسلوبية عن طريق التحليل الأسلوبي والبلاغي للجمل الاستفهاميه في سورة طه وتكتفي في المستوى البلاغي بدراسة علم المعاني وفي الدراسة الأسلوبية بتحليل المستوى التركيبي مهتمة بالبنية العميقة والسطحية للاستفهام.

أسلوب الاستفهام أسلوب لغوي ويستخدم لطلب الفهم بشيء اسما أوحقيقة أو صفة أو عددا لم يكن معلوما من قبل.« الاستفهام من التراكيب التي تحمل في ذاتها إمكانيات الاتصال من المرسل والمتلقي لما ينطوي عليه من مضمون وجداني ونفسي وهو من وسلئل تأثيرية تفعل فعلها في المتلقي »[lxxiii]

وهو أحد أساليب الأدب الإنشائي؛ والجمله الإنشائية هي كل كلام لا يحتمل الصدق والكذب[lxxiii]. والكلام الإنشائي مرتبط بتصور المتكلم ومشاعره أي يقوم على أساس الطلب الذي يطلبه المتكلم من المخاطب و إن يخرج عن أغراضه الحقيقية إلى أغراضه المجازية.

استخدم الله تعالى هذا الأسلوب في سورة طه بكلتا حالتيه الحقيقية والمجازية يحتفظ صلته مع الآخرين بهذا الأسلوب ويجعلهم مشاركين في بيان مراده؛ خاصة يحكم على هذه السورة عنصر قصصي، والحوار من عناصر النصوص

القصصية وهذه السورة تحفل بكثير من هذه الحوارات التي لا تخلو من الاستفهامات.

*** هل أتاك حديث موسى***[lxxiii]

**على أساس الدراسة البلاغية** : هذه الجملة إنشائية واستفهامية ومجازية لأنها صادرة عن الله تعالى والمراد منها التشويق وإثارة الذهن نحو ما يعقب المستفهم عنه.

**الدراسة الأسلوبية** : و تفسرها في بعدين :

1. البعد الخارجي ( صورة الشيء) أو البنية السطحية و يحلل من خلال سياق النص .

2. البعد الداخلي ( الذهن) أو البنية العميقة وهو يشير إلى المتكلم .

البعد الخارجي لهذه الآية يقول : الجملة إنشائية استفهامية لطلب التصديق عن وقوع النسبة بين طرفي الإسناد أو عدم وقوعه ( إتيان حديث الرسول أو عدم إتيانه )

هذا الأسلوب يستخدم في المواضع التي لم يكن المتكلم عارفا بهذا الموضوع ويسأل عن الدلالة الكلية، وهذا بالنسبة إلى الله تعالى أمر محال؛ إذ لا شيء مخفي عنه في العالم .

البعد الداخلي لهذه الآية هوأسلوب الأمر: أنظر إلى قصة موسى .

البعد الداخلي لهذه الآية يشير إلى مجازية هذا الاستفهام أي ما كان قصد الله تعالى طلب فهم الجواب بل أراد أن ينبه رسوله محمدا – صلى الله عليه و آله و سلم– إلى قصة موسى.

هذا الأسلوب من خصائص القصص القرآنية حتى يشوق المخاطب إلى أن يستمع إلى بقية المشاهد.« السطح و العمق أحدهما لفيلمور، يؤكد فيه على الدلالة وبالتالي الفاعلية و الأداتية والآخر لتشومسكي و يؤكد فيه على التركيب وبالتالي التحويلات فيه»[lxxiii]

تظهر الوظائف الثلاث: الانفعالية (المتكلم) والطلبية (المخاطب الخاص أو العام ) والمرجعية(السياق) في المستوى الصياغي الأصلي لبنية الإنشاء [lxxiii]. والاستفهام لا يستثني عن ذلك.

عملية التوليد الدلالي في الاستفهام تمر بثلاث مراحل حتى تتجاوز دلالته الأصلية إلى دلالات جديدة.

هذه المراحل هي : 1. التنبيه 2. التفاعل 3. الإنتاج [lxxiii].

**التنبيه** : هو إيقاظ المخاطب و إثارة ذهنه نحو ما فعل الله تعالى بالنسبة إلى نبينا محمد– صلى الله عليه و آله و سلم– حين أراد أن يبدأ بالحوار معه، فبهذه الجملة الاستفهامية أثار فكره وحسه للتوجه نحو قصة موسى .

ولو استخدم أسلوب الأمر هنا لم يتحقق هدف زيادة الارتباط بين المتكلم والمخاطب و لم يفد هذا الإيقاظ، فالاستفهام هنا أبلغ من الأمر.

**التفاعل** : هو تعامل القارئ مع النص وسياقه.

المخاطب هنا الرسول وفي هذه المرحلة يحصل ذهن الرسول على البعد الخارجي لهذا السؤال، فبعد أن خاطبه الله تعالى يلتفت إلى سياق النص أو الكلام و يتعامل معه لإدراكه.

**الإنتاج** : وفي هذه المرحلة يحصل ذهن الرسول على البعد الداخلي للاستفهام و يتجاوز البنية السطحية إلى البنية العميقة مستنتجا أن الله تعالى ملم بجواب هذا السؤال و قصده شيء آخر.

***و ما تلك بيمينك يا موسى*** [lxxiii]

**الدراسة البلاغية تقول:** هذه الآية جملة إنشائية وصدرت بأداة الاستفهام "ما"، هكذا تسأل عن حقيقة وماهية الشيء ولكنها صادرة عن الله تعالى والاستفهام هنا ليس حقيقيا بل مجازي والغرض منه التقرير، أي تقرير موسى بأن الذي يمسكه بيده اليمنى قطعة مستطيلة من الخشب لا حياة فيها وليستحضر هذا في وجدانه و يقرّ به حتى عندما حدثت المعجزة الإلهية.

**أما الأسلوبية فتقوم بتحليل هذه الآية على البعدين :**

**البعد الخارجي أو البنية السطحية** : هو الاستفهام و السؤال عن الدلالة الجزئية و يطلب المتكلم تحصيل صورة جزء من أجزاء الجملة و هو الشيء الذي كان بيد موسى اليمنى.

هذه الآية حوار بين الله وموسى، والمتكلم هو الله تعالى وهو عارف بما في يد موسى وهي العصا.

**البعد الداخلي أو البنية العميقة** : جملة خبرية ( هذا الذي في يدك اليمنى عصا خشبية ولكننا قادرون على تحويلها إلى حيّة).

فالبنية العميقه لهذه الآية ، الخبر و الإنشاء من لدن الله تعالى وهوملم بما في يد موسى ولكن يريد أن يوطأ الأرضية حتى يظهر قدرته وإعجازه لأخذ الاعتراف من موسى حتى يقرّ بأن قدرة الله تعالى لاتقارن بقدرة فرعون. فالاستفهام ههنا أقصر طريق إلى إلقاء المقصود بالنسبة إلى أسلوب الخبر و أبلغ طريقا في اهتزاز مشاعر المخاطب .

عملية التوليد الدلالي في هذه الآية أيضا مرت بمراحلها الثلاث : الله تعالى ينبه موسى بالاستفهام وهذا أبلغ أسلوب للإيقاظ ثم في المرحلة الثانية يتعامل موسى مع السياق في بنيته السطحية وفي المرحلة الثالثة تحضر في ذهن موسى الدلالات المتولدة من هذا الاستفهام وتنكشف له أغراض الاستفهام .

***قال فمن ربكما يا موسى***[lxxiii]

**الدراسة البلاغية** : في هذه الآية تخاطب فرعون موسى و أخاه و ليس الاستفهام هنا حقيقيا بل مجازي بدلالة الإنكار و السخرية أي الانكار و التهكم[lxxiii].

**الدراسات الأسلوبية** تحلل هذه الآية في بعديها : **الخارجي** وهو إنشائية الاستفهام، يسأل المتكلم عن الدلالة الجزئية. وبعدها **الداخلي** : لا رب لكما و أنتما تكذبان؛ والجملة الخبرية المنفية هذه، تدل على أن المتكلم (فرعون) لا يسأل عن حقيقة الله سبحانه و تعالى بل يريد إنكار موسى و هارون و إبطال قولهما ثم الاستهزاء بهما.

في هذه الآية تبرز هذه العملية التوليدية الدلالية على مراحلها المتتابعة :التنبيه حين يسأل فرعون موسى ويطلب التفاته إليه، ثم تعامل موسى مع سياق كلامه حين لم تحصل الصورة الدلالية المجازية لهذا الاستفهام في ذهنه وحين تصل إلى مرحلة الإنتاج، يدرك مقصود فرعون من سؤاله وهذا بيّن من الاستجابات التي ترد إلى فرعون في وصف ربه و بيان قدرته.

**و آية أخرى :* قال آمنتم له قبل أن آذن لكم** *[lxxiii]

بعد أن سأل فرعون موسى (ع) حين أتى بمعجزته (تحويل العصا الى الحية و افتراس حيات السحرة و إيمان موسى للسحرة) خاطب فرعون السحرة بهذا السؤال .

**الدراسة البلاغية** تدرس الاستفهام في هذه الآية وتعتبره إستفهاما مجازيا و الغرض منه التهديد و الوعيد.

**والدراسة الأسلوبية** تقوم بتحليلها في بعديها :

البعد **الخارجي** أو البنية السطحية: الجملة إنشائية و استفهامية بالهمزة و يسأل عن الدلالة الكلية وعن حصول النسبة أو التصديق عن الإيمان بموسى أو عدم الإيمان به. والبعد **الداخلي** و هو: بسبب إيمانكم بموسى قبل أن آذن لكم، أعذبكم و أقتلكم .

لم يكن قصد فرعون الاستفهام حقيقة بل يريد أن يهددهم ويخوفهم على عملهم، و إن كان يخاطبهم بجملة خبرية لم يحصل منها هذا الإنذار و التخويف و شدة غضبه من عصيانهم كما حصل بالاستفهام.

عملية التوليد الدلالي تمر أيضا في هذه بمراحلها الثلاث :

تنبيه السحرة على سؤال فرعون و توجه التفاقم إليه ثم ارتباطهم ومعاملتهم مع سياق الكلام والاستنتاج من غرض فرعون و استخراج غرض الاستفهام عن كلامه.

هكذا نرى ما وصلت إليه الأسلوبية خلال الأزمنة المتتالية لم تكن غيرمألوفة للعرب وإن انشعبت منها فروع أخرى وأطلقت عليها مصطلحات جديدة كما رأينا أن علم المعاني جاء تحت لواء المستوى التركيبي و البيان تحت المستوى الدلالي والموسيقى في البديع ( السجع و الجناس) تحت المستوى الصوتي.

**النتيجة :**

تستنتج هذه المقالة أن الأسلوبية وليدة بلاغة القديم وعلم اللغة هكذا ليست حديث النشأة وليست مولود الغرب وأوروبا و إن كانت تطورت بتطور علم اللغة الحديثة أو لسانيات النص .

علم البلاغة كان ضيق المجال وبقي منحصرا على علومها الثلاثة (المعاني، البيان، البديع) ، لكن الأسلوبية اتسع مداها وانضوت هذه العلوم تحت مظلتها في التحليلات الأدبية واللغوية وإن كان علم البلاغة من مقومات الأسلوبية ويرتبط بها بصلات وثيقة لكن يختلف عنها في مواضيع كثيرة ولا يمكن جمعهما في علم واحد .

هكذا توسع المجال للنقاد في الأسلوبية ومد أيدي الباحثين في التحليل الأدبي بالأسلوبية أكثر من البلاغة.

* **المصادر و المراجع :**

1. القرآن الحكيم

2. أبو العدوس، يوسف (2007) **الأسلوبية النظرية و التطبيق**؛ ط.2، عمان : دارالمسيرة.

3. إبن هشام (1972) **مغني اللبيب**؛ التحقيق: المبارك، مازن؛ ط.3، بيروت: دارالفكر.

4. إسماعيلي علوي، حافظ (2009) **اللسانيات في الثقافة العربية المعاصرة**؛ ط.1، ليبيا : دار الكتاب الجديد المتحدة.

5. باطاهر، بن عيسى (2008) **البلاغة العربية**؛ بيروت: دار الكتاب الجديد المتحدة.

6. بحيري، أسامة (2009) **البنية المتحولة في البلاغة العربية**؛ ط.1،كفر الشيخ: العلم و الايمان.

7. بن ذريل، عدنان (2006) **اللغة و الأسلوب**؛ ط.2، مجد لاوي.

8. جمعة، حسين (2005) **جمالية الخبر و الإنشاء**؛ دمشق: إتحاد الكتاب العرب.

9. حجازي، محمود (2007) **مدخل إلى علم اللغة**؛ القاهرة: دار القباء الحديثة.

10. سليمان داود، أماني (2009) **الأمثال العربية القديمة دراسة أسلوبية سردية**؛ ط.1، بيروت: المؤسسة العربية للطباعة والنشر.

11. سليمان، محمد (2007) **ظواهر أسلوبية في شعر ممدوح عدوان**؛ عمان: يازوري.

12. فضل،صلاح (د.ت) **شفرات النص**؛ دار الأدب.

13.عبدالمطلب، محمد (1995) **بناء الأسلوب في شعر الحداثة**؛ ط.2،دار المعارف.

14. عبد ربه، فوزي (2005) **المقاييس البلاغية عند الجاحظ**؛ القاهرة :مكتبة الأنجلو.

15. عودة، ميس محمد (2009) **تأصيل الأسلوبية في الموروث النقدي و البلاغي**؛ عمان : دار الجليس.

16. المطعني، عبدالعظيم (2007) **التفسير البلاغي للاستفهام في القرآن الكريم**؛ م.2، القاهرة: مكتبة وهبة.

17. مولينيه، جورج (2006) **الأسلوبية**؛ ط.2، بيروت: مجد.

18.هلال، ماهر (2006) **رؤي بلاغية في النقد و الأسلوبية**؛ إسكندرية: المكتب الجامعي الحديث.

19. ون دايک ، تواين (2005) علم النص ؛ التحقيق : بحيري ، سعيد حسن ؛ قاهرة : دار القاهرة.

# المنهج الموضوعاتي ... بين النظرية والتطبيق

------

الدكتور جعيرن ميهوب – جامعة الاغواط – الجزائر

إنّ إشكالية المنهج في النقد العربي تصنع مشهدا مرتبكا في كثير من النظريات النقدية ، هذا في رأينا أنتجه المفهوم غير الموحد للمصطلحات النقدية خاصة الوافد منها إلى أقلام وعقول النقاد والقراء على حد سواء. لذا سنحاول في هذا المقال إبراز إشكالية هذا ( المنهج الموضوعاتي) منهج ظهر في أوروبا وامتد إلى النقد العربي في صور مختلة . والبداية هي مع تتبع مصادره وأسسه الفلسفية والفكرية.

**مصـــــادره:**

إن مصادر المنهج الموضوعاتي ،انبثقت من المفاهيم الجديدة حول نظام نقدي يتفرد بنظرة خاصة للأثر الأدبي ، كان لغاستون بشلار (1884 -1962 ) السبق في إرساء أسسها "1، ويظهر ذلك من خلال استقصائه لمعرفة المعرفة، وإدراك العلم وملاحقة فينومينولوجيا الأشياء والكلمات "2، وجهته في ذلك تعتمد أساسا على البحث في اصل الصورة أي يبحث في أصول الصورة البشرية العامة فيراها ماثلة في العناصر الأساسية الأربعة في الطبيعة وهي الماء، الهواء ،النار، التراب "3 .ومن هنا يربط بشلار بين الصورة الشعرية كإبداع فردي والحقيقة الحلمية التي تعيد كافة الأحلام عند البشرية جمعاء إلى هذه العناصر "4. إذا هذه من أوائل الأفكار التي استمد منها النقاد الموضوعاتيون منهجهم النقدي، باعتبارها تهتم بالموضوع وتجعله يحتل مكان الصدارة في أي دراسة او تحليل.

ان ظهور المنهج الموضوعاتي كان مع بداية النصف الثاني من القرن العشرين، مع ما حملته الآراء النقدية الفرنسية، التي تطور معها الدرس الموضوعاتي في ظل الألسنية والبنيوية ، فقد حاول ان يحافظ على استقلاله تجاه المناهج النقدية التقليدية والحداثية ، وذلك باتخاذه منحى جديد يعتمد على وسائل مختلة في الدرس والتفسير للأعمال الإبداعية ، حيث يحصر الاهتمام بالكامل في تشكل معاني الموضوعات. وكانت هذه الرؤية ضمن حركية النقد الجديد، حيث كان النقد حينئذ منشغلا باهتمامات ذات طبيعة موضوعاتية ، منها ماهو فينو مينولوجي ظاهراتي "5، ويمثله كل من غاستون بشلار وجورج بولي ،ومنهاماهو سيكولوجي ويمثله شارل مورون و ما هو سوسيولوجي ويمثله لوسيان قولدمان "6

هذا يعني إن النقد الموضوعاتي استمد أصوله من فلسفة جديدة تسعى الى تخليص النظرة النقدية من موروث الأحكام التقويمية التي تستند إلى أسس لا ترتكز على تفسير العمل الأدبي في حد ذاته ، بل تتجه إلى قرائن ثانوية قد لا تفيد في النقد والتحليل. وتقر الناقدة الفرنسية آن .موريل " أن أصول هذا المنهج تبلورت من أفكار بشلار وآرائه ، خاصة في كتابه نفسانية النار الذي أكد فيه على أن الأولوية تكون للتفكير والإبداع الحسي المرتبط بالإرادة والذي سماه بالتصور المادي الخاص بالعالم المحيط بالأديب "7 أي العمل الأدبي مرتبط في جوهره بعالم الأديب الفكري والروحي ، ومتأثر بمحيطه الخارجي بكل تفاعلاته التي تنعكس في الإبداع ، غير ان " الشعر (يبقى ) ظواهرية للروح أكثر منه ظواهرية للفكر "8 .بمعنى ان الشعر يناسب التعبير عن المشاعر والعواطف والروحانيات في عمومها ، أكثر ما يعبر عن الفكر المنطقي والعلمي المجرد ، التي تتخذ من النثر وسيلة انسب للتعبير عن حقائق العلم و المنطق والعقل .

لقد استخدم النقاد الفرنسيون اصطلاح تيماتيك لكل دراسة تبحث في شبكة الأفكار الملحة في نصوص كاتب ما ،او (الفكرة ) المسيطرة على كتاباته كلها ، اي العناصر الكلية والجزئية المهيمنة على عمل هذا الأديب او ذاك ، وقد كان لهذه الدراسات النقدية الفرنسية الفضل في توفير آليات جديدة للتحليل والكشف من خلال المنهج الموضوعاتي .

يعد الناقد الفرنسي **جون بيير ريشار** ابرز من أرسى قواعد هذا المذهب النقدي ، وان كانت إرهاصاته بدأت قبل كما سبق واشرنا . فريشار رسم في دراساته النقدية علامات دالة على منهجية هذا المبدأ النقدي حيث اعتبره " مسح الحقول الحسية ، من اجل تحديد أهم الخيارات الشخصية الفاعلة فيها ، وبيان كيفية ارتسام دلالات الأشياء المرغوب فيها على كل مستوى من هذه المستويات المنقودة ، وبيان كيفية ارتسام دلالات الأشياء المرغوب عنها والمستبعدة "9 وهو بذلك يميز بين خيارات الإبداع من حيث تحديد دلالات الأشياء سواء ما تكرر من جراء الرغبة في إظهاره والإلحاح عليه ، او ما تكرر دالا على النفور و عدم الرغبة لأسباب ما. ومن ذلك كله يتجلى ظهور المنهج الموضوعاتي –قبل ان تتبلور خطته – على تصورات مزجت بين المناهج المعروفة مثل المنهج الاجتماعي ، المنهج النفسي والآراء الظاهرتية اذ لم ينفي مؤسسوه استفادتهم من الدراسات المذكورة ، فقد اقر ريشار تلك الاستفادة من الدراسات النفسية حين قال "الجذريون (يقصد الموضوعاتين ) لا ينفون العلاقة بين علم النفس والنقد الأدبي "10 هذا يعني بصريح العبارة أن النقد الموضوعاتي نظريات علم النفس في النقد والتحليل، وأكد في السياق ق نفسه استعانتهم بكل المحاولات النقدية ، إذ يضيف ريشار مؤكدا على ذلك "إننا نستعين بكل المحاولات العلمية لالتقاط النبض الأساسي للنص الذي نعتبره واقعا حيا "11 بل ان رواد هذا الاتجاه لا يخفون مسالة انفتاح ممارساتهم

النقدية على كل المناهج"12، هذا الانفتاح يعني الاستفادة مم توفره النظريات الحديثة من وسائل تحليلية تساعد الناقد الموضوعاتي على مباشرة الموضوع المنقود من الزاوية المناسبة التي تفيد النقد والتحليل.

وبهذا تتجلى المصادر الفرنسية للنقد الموضوعاتي ، التي يرجع لها الفضل في تطوير هذا المنهج النقدي الحديث وإرساء قواعده ن حيث تكاملت إرهاصات بشلار وقوانين ريشار وقواعده مع ما بينهما من آراء نقدية جادة في هذا الميدان ن لبلورة منهج نقدي جديد كانت بدايته نظرية اجتهد أصحابها في رسم قوانين وأصول المنهج ثم تبع ذلك ممارسات نقدية تطبيقية سنشير اليها لاحقا

أما **عن المصطلح وإشكالية التسمية** فهذا الالتباس في ترجمة المصطلح الفرنسي thème إلى اللغة العربية ، فقد اجتهد المترجمون واختلفوا في التسمية ،منهم من أطلق عليه تسمية النقدالمداري وآخرون وصفوه بالنقد الجذري و بعضهم بالنقد التماتي. لعل السبب في عدم الاتفاق على مصطلح موحد لهذا المنهج النقدي،يعود إلى الاضطراب الخاص في تحديد آليات النقد والتعامل مع النصوص وفق المنهجية الموضوعاتية التي ابتكرها نقاد الغرب ، ووضعوا لها إجراءاتها التطبيقية

إذا ما هي الموضوعة ؟ وما هي فروعها وفروع فروعها ؟

### 1:مفهوم الموضوعة:

ان الغاية في الأساس هي تحديد مفهوم الموضوعةTHEME ، لكن على الرغم من ذلك فقد تعددت التعريفات واختلفت بحسب فهم أصحابها ، فجاء مفهومها عند بروست :"هو الجمال الخفي في العمل الأدبي وهو صنعة غير معروفة في عالم ليس له مثيل "13، معناها عند تودوروف فهو :" مفهوم اختزالي يوحد

المادة اللفظية للعمل الأدبي "14 ، وعند جون بول فيبير :" هي حادث أو موقف يمكن أن يظهر بصورة شعورية أو لاشعورية في نص ما بصورة واضحة أو رمزية ، فهي تقارب العقدة في التحليل النفسي "15 وعند جون بيير ريشار فمفهوم الموضوعة يعني :" مبدأ تنظيمي محسوس ، او ديناميكية داخلية ، او شي ثابت يسمح بالتشكل والامتداد ، أما النقطة المهمة في هذا المبدأ تكمن في تلك القرابة السرية ؛ في ذلك التطابق الخفي والذي يراد الكشف عنه تحت أستار عديدة "16 كل هذه التعريفات تضع الموضوع في المقام الأول ، ويكون هو المبدأ الذي تلتقي عنده كافة المفاهيم ، اذ يعد نقطة الانطلاق والعودة في أي عملية نقدية ، حيث منه تبدأ واليه تنتهي .

هذه المفاهيم التي حاول أصحابها تعريف الموضوعة من حيث هي مختلفة عن الموضوع إذ إن الموضوعة تعني شيئا في سياق وتعني شيئا آخر في سياق أخر ، بالنقل مما وضعت له في الأصل أي (الغرض ) إلى ما لم توضع له في الأصل أي الموضوعة ، اذ تقترب الدلالة والوظيفة عند الموضوعاتيين من وظيفة العلامة ودلالاتها عند السميائيين .هدا الإجراء والخصوصية ينطبق على موضوعات نصوص الصوفية التي تعبر في سياقات نحوية لتدل على شيئ آخر في سياقات غير نحوية "17 ، أي تستعير الغرض ليتحول إلى موضوعة ، وهذا ما سنفصله في حينه

## 2– فروع الموضوعة :

تعد الموضوعة الرئيسية شجرة والموضوعات الثانوية أو الجزئية أو الفرعية غصونها ، حيث تتفرع عن هذه الغصون فروع صغرى تتشظى هي الأخرى إلى وحدات أخرى غير متناهية الدلالة ، فالأعمال الأدبية التي صار الغرض موضوعة

تتدرج في بنائها من الكلية إلى الجزئيات ، من الأصغر غالى الأصغر منها ويمكن التعرف عليها حسب الترتيب من الكل الى الجزء ، وهي كما يلي :

**أ- الرئيسية (الكلية ):**

وتعني المعنى او المقولة المهيمنة معنويا على العمل الأدبي ، فهي تساعد في العثور على القصد الأساسي للأديب ، لا العنصر الكلي المهيمن على معاني الموضوع الذي أنتجه هذا الأديب او ذاك وهذه الظاهرة وهذه الظاهرة الموضوعاتية تتجلى بشكل واضح في الأدب الصوفي وهو ما نكتشفه لاحقا في نصوص العفيف التلمساني الصوفية ، التي صار الغرض فيها موضوعة ، فقد اعتبرنا أشعاره الصوفية نموذج تطبيقي إلى ما نشير إليه نظريا . غير إن هات الموضوعة الكلية هي نفسها تتشكل من جزيئات تؤلفها ، تدعى تلك الجزئيات بالموضوعات المساعدة أو كما سماها تودوروف في كتابه نظرية الأدب بالموضوعة الجزئية .

**ب-الموضوعـــة الجزئية :**

هي مجموعة من الموضوعات الفرعية المترابطة رحميا من حيث المعنى بالموضوعة الكلية ، وتتشكل في مجموعها الموضوعة الرئيسية لموضوع ما ، في عمل أدبي ما ، وفي السياق نفسه تعرف موريل " الموضوعة الجزئية أي بانتا اقل شمولية من الكل وأكثر أهمية من الحافز ، قوتها المعنوية في اتحادها ، وأهميتها في تموقعها ، داخل الموضوعة الكل " 18

فالغرض حين تحوله إلى موضوعة تتشظى معانيه الى جزئية معنوية ذات دلالات معينة يحددها السياق العام ، فتلك الصفة المعنوية تدفع الدارس الى عدم قبول المعاني دفعة واحدة ، بل يربطها معنويا باشكالها الثانوية ويتدرج معها من

الكل إلى الجزء إلى جزء الجزء وبعبارة واحدة نقول : الموضوعة الجزئية تعد الجزء الذي يؤلف الكل ، وتساعد في تحديد وجهة الأديب وتعبر عن فحوى أفكاره وعن معالم قصيدته الفكرية والعقائدية ، حتى الاجتماعية والنفسية ، لكن الموضوعة الجزئية هي نفسها تتشكل من وحدات اصغر ، وتسمى بالحوافز .

**ج –الحوافز :**

وتعني بها الجزئيات الأصغر في العمل الأدبي ، أي الموتيفات "19 أو ما يعرف بالحوافز "20 او الحوار كاو الترسيمات "21 فقد " ميز ريشار من الموضوع عنصر أكثر خصوصية ومحسوسية وهو الحراك وهذا العنصر ينتشر على امتداد العنصر الأدبي ؛بمعنى أن يتكرر ويرتبط ويتسجل بطريقة متميزة "22 أي أن الحافز ميزت التكرار والامتداد والانتشار في العمل الأدبي ، إذ يشكل نتوءات معنوية تتكرر بشكل ملح في اثر الأديب.. لكن حسبما ذكرناه ، من الجوانب النظرية التي تطورت عند النقاد إلى منهج نقدي تقليدي طال الكثير من أعمال الأدباء الكبار وتجلى على شكل مؤلفات ومقالات نقدية تطبيقية ، تفرد أصحابها في التحليل والدراسة . وهو ما سنشير إليه فيما ما يلي بإيجاز واختصار ، والبداية تكون من مؤلفات الغرب ودراساتهم النقدية

**3:تطبيقاته**

إن ما يقابل الدراسات النقدية النظرية الغربية ، دراسات تطبيقية حاول أصحابها استغلال المنهجية الموضوعاتية في نقد بعض الأعمال الأدبية ومن اشهر تلك الأعمال ن دراسات ريشار لإنتاج بعض الشعراء الفرنسيين منها : العالم الخيالي لـــ(ملارميه)(1961) وهي دراسة وقف فيها ريشار عند العناصر الأساسية المهيمنة في إنتاج الأديب "وقد أشار (بير زيما) أن ريشار في هذه الدراسة قد طوّر

المنهج الموضوعاتي حين اعتبر نصوص ملارميه جملة ذات دلالة تضيء أجزاؤها المتداخلة بعضها بعض في علاقة ديالكتيكية "23 . ومن المؤلفات الأخرى لريشار نذكر:منظر من (شاتو بريان)(1967)،(بروست)وعالم الإحساس (1974)ستاندال وفلوبير (1975) فما توصل إليه (جون بير ريشار) من نتائج أثناء تلك الدراسات نشير إلى دراسته لعالم بروست "فقد وجد ...لدى بروست ترسيمة (الزهرة) فحددها في (زهرة الغريب)، منطلقا من وجوب تحليل الزهرة كمركب أولي، (فهي نوع من الأحمر)، وكمركب حراري (فهي درجة من الالتهاب)، وكمركب حميمي (فهي زهرة حانية بذاتها ، وهي زهرة متفتحة ، منغلقة ).

وهكذا تتشكل ( الترسيمة )الحوافز الحسية ن وعلى هذا المستوى العملي يمكن تصنيف ودراسة كافة (الترسيمات) الحوافز و(الموضوعات) ."24 ففي هذا النموذج يظهر تتبع ريشار لحافز متكرر في أعمال الأديب وهو عنصر الزهرة الذي نلون شكله المعنوي وتتعدد مفاهيمه حسب السياقات التي فسر الناقد على ضوئها تعدد الدلالات بتعدد مفاهيم هذا الحافز.

أما ( فيبر) عندما طبق منهجه الجذري (الموضوعاتي) على أشعار (دوفنيي) فقد توقف عند موضوع (الساعة) فاعتبره حافزا شخصيا ملحا ، وأنّ مسرحيته (شاترتون ) ما هي إلا مواجهة لمأساة الزمن الضائع والساعة المنتصرة .

ومن الحوافز الأخرى التي كشفها لنقد الموضوعاتي في دراساته لأعمال بعض الأدباء ، نشير إلى حافز (الطير) الذي وقع في الفخ ، او الطير المحتضر ، فهو حافز ملح متكرر عند الشاعر مالارميه .وأنّ (برج الفئران) هو الحافز المتكرر لدى فكتور هوجو .وأنّ (الأرض اليباب ) هي موضوع الشاعر المشهور

ت.س.اليوت.و(أزهار الإخفاق) هو موضوع فيرجينيا ولف ، و(إخفاق الحساسية)هو موضوع الكاتب الأمريكي الكبير ارنست همنغواي ."25

إنّ ما اشرنا إليه من أعمال نقدية ،يعد نماذج لدراسات تطبيقية غربية ، تضاف إلى أعمال لا تقل أهمية ،مثل:أعمال تودوروف في كتابه (نظرية الأدب )، وآن موريل في (النقد)وآخرون ممن استخلصوا الموضوعات الملحة أو المتكررة في نتاج الأدباء .كانت القواعد الإجرائية للمنهج الموضوعاتي وسيلتهم النقدية في التوصل إلى نتائج مبنية على قوانين جديدة خاصة في التعامل مع النصوص الأدبية .

أما مجالات المنهج في النقد العربي فسنعرض لها مستأنسينا بالعلاقة التاريخية التي تعودنا من خلالها ربط كل ما هو جديد بمبدعي الغرب ومخترعيه ،ثم نبحث عن مدى تأثر العربي وإخلاصه في ذلك التأثر .

تكاد تنعدم الدراسات النقدية العربية التي اتخذت من المنهج الموضوعاتي وسيلة في التحليل ،اللهم إلاّ بعض المحاولات النظرية التي اعتمدت الترجمة وسيلة في إيصال مفهوم هذا المنهج للقارئ العربي، إذ يعد الدكتور عبد الكريم حسن أحد نشطاء هذا المنهج ، فقد تجلى نشاطه في وضع كتاب سماه (المنهج الموضوعي) جزء منه تضمن أراء نظرية ركز فيها المؤلف على منهجية ريشار في الدراسة الموضوعاتية والبنيوية ، في حين افرد الجانب التطبيقي لدراسة شعر السياب ، حيث حاول تحديد التيمات الأساسية المهيمنة على دواوينه الشعرية التي اعتمد في تحليلها النهج الموضوعاتي .كما اخضع الحبيب مونسي المقدمة الطللية في الشعر الجاهلي إلى الدراسة الموضوعاتية وهي دراسة حرص صاحبه على تتبع بض التيمات في الشعر العربي الجاهلي لكن دون إدراك لوحدات إجرائية معينة .

ومن الدراسات الأخرى التي اتخذت من المنهج الموضوعاتي وسيل نقدية، نذكر عمل الدكتور (مختار حبار) في دراسته لشعر أبي مدين التلمساني حيث خصص فصلا للتشكيل الموضوعاتي حاول فيه رصد التيمات المهيمنة على معاني الموضوعات الصوفية للشاعر .26 غير ذلك لا نكاد نعثر على دراسات تطبيقية ذات بال ، حتى مع السعيد علوش (النقد الموضوعاتي)وحميد لحمداني في(سحر الموضوع) فهي دراسات يغلب عليها الطابع النظري الانطباعي ، لأنّها تفتقر إلى منهجية تطبيقية واضحة .

وقد تعود ضحالة تلك الدراسات في عمومها إلى صعوبة التطبيق للخطوات الإجرائية التي يلتزم بها الناقد الموضوعاتي في تحليل النصوص وكشف معانيها ، وأيضا نرجعها إلى عدم تبلور المفهوم الموضوعاتي في النقد العربي بشكل واضح .

**مراجع البحث:**

**1**.انظر **anne maurel la critique p 57.**

**2**. الطاهر روانية .القراءة الموضوعاتية للنص الأدبي ص **66**

**3**.نظرية يونانية قديمة ، مفادها ان عناصر الطبيعة الاربعة هي الهواء الماء التراب النار، وتعتبر بداية الفلسفة الطبيعية اليونانية

**4**.عبد الكريم حسن .المنهج الموضوعي ص**24**

**5**.الظواهرية فلسفة معاصرة ، اعتبرت الظواهر الطبيعية والانسانية ظاهرة تسترعي الإنتباه ، فقالوا بوجود علاقة تداخل بين الذات والموضوع وفق خاصية القصد والنزوع

**6**.الطاهر روانية القراءة الموضوعاتية للنص الأدبي ص**67**

**7**. **anne maurel la critique p57**

**8**. عبد الكريم حسن .المنهج الموضوعي ص**27**

**9**.محمد عزام .وجوه الماس ص الويب **www.awu-dam.org**

10.فؤاد ابو منصور.النقد البنيوي الحديث ص 195.196

11. فؤاد ابو منصور.النقد البنيوي الحديث ص197

12.حميد لحمداني سحر الموضوع ص25

13. النقد المداري : استعمل هذا المصطلح سامي سويدان في ترجمة كتاب تودوروف( نقد النقد)

15 النقد الجذري : ترجمة فؤاد ابو منصور في حواره مع الناقد الفرنسي ريشار في كتاب( النقد االبنيوي الحديث)

16.النقد التماتي : تعريب المصطلح الأجنبي thematique

17.انظرanne maurel la critique p58

18.la théorie de la littérature p268

19. محمد عزام .وجوه الماس ص الويب www.awu-dam.org

20. عبد الكريم حسن .المنهج الموضوعي 46.47 نقلا عن p.richard. l'inverse. imaginaire malarmie.P 24

21. انظر مختار حبار شعر ابي مدين التلمساني ( الرؤيا والتشكيل)

22. انظرanne maurel la critique p53

23.انظر بير زيما التفكيكية دراسة نقدية ص86 87

24. عبد الكريم حسن النهج الموضوعي ص53

25.استعمله محمد عزام في ( وجوه الماس البنيات الجذرية)

26. مختار حبار شعر أبي مدين التلمساني ف 2



# الخطاب النسوي وحركة الواقع العربي المعاصر

----------

الأستاذة فاطمة مختاري – جامعة الأغواط – الجزائر

**ملخص :**

تختلط على كثير من الناس الأسباب التي من أجلها يضع المجتمع المرأة في مرتبة أقل من الرجل ويفرض عليها قيودا لا يفرضها على الرجل، ويحدد لها دورا معينا في الحياة يرتكز أساسا على الخدمة في البيت ورعاية الأطفال ، وقليل جدا من يدرك الأسباب الحقيقية وراء تلك الفروق الضخمة التي يضعها المجتمع بين المرأة والرجل ويدعي أن الطبيعة هي التي وضعتها. ويتجاهل أن تلك الفروق من صنع المجتمع في كل مجالات الحياة العملية والفكرية.

وفي مجال الكتابة حاولت المرأة البحث عن فضاء في تحرر الأنثى، وحسمت تصورها عن مفهوم حرية المرأة عبر نماذج نسوية متعددة ،حاولت من خلالهن الإشارة إلى الطريق الموصلة إلى هذه الحرية..

---------------

## المرأة ... مسيرة كفاح :

لقد تعرضت المرأة للكبت والصمت على مر العصور، وفي مختلف الحضارات والثقافات وإن قراءة التاريخ ودراسة التطورات الاقتصادية والاجتماعية للمجتمعات توصل الباحث إلى أنه بالرغم من اختلاف المناطق والأزمان وأساليب الإنتاج نجد معظم الحضارات خيطا جامعا يقوم على اعتبار جنس الذكر هو الجنس المتميز، السيد، المسيطر وعلى تبعية جنس الأنثى للرجل وخضوعها له وقد حددت لها مسبقا الصفات المرغوبة اجتماعيا والتي يجب أن تتحلى بها.

كما واجهت مسيرة المرأة عبر التاريخ الكثير من الصعوبات ،و لم تكن المرأة العربية بأوفر حظا من غيرها حيث أنها بقيت في الكثير من فترات حياتها تدور في فلك الرجل، وبمجيء الإسلام طرأ تحول جذري في حياة المرأة ،خاصة من خلال مواجهته الصريحة للرق والعبودية ، ودفاعه عن الحرية والمساواة في الإنسانية بين الرجل والمرأة ،وفي العبادات والواجبات الدينية، وتحريمه وأد البنات ،كما منح المرأة حق الميراث وطلب العلم ، وحق التصرف المالي والاستقلال بذمتها المالية، وكفل لها جميع حقوقها المدنية ، وغيّر القرآن الكريم موقف العرب من المرأة تغييرا نوعيا بعد أن اعترف بمنزلتها وحقوقها ،وأنزلت الكثير من الآيات نظمت أحكام المرأة والأسرة والعلاقات الاجتماعية.[1]

وفي القرون اللاحقة لصدر الإسلام همش دور المرأة وازداد حصار حقوقها ، وأبعدت عن الحياة العامة واستمر انحطاط حالها وقهرت وظل الأمر كذلك حتى أوائل القرن التاسع عشر بداية حركة النهضة العربية.

أما في الغرب قدمت المرأة بصورة سلبية في الأساطير ، فقد أطلق عليها صفة الشر والشعوذة وفي التاريخ تكاد تكون موجودة وغير مسموعة ، حتى أن بعض الفلاسفة كان لهم موقف عدائي من المرأة ، فأرسطو (322-384 ق.م) كانت نظرته دونية للمرأة ،إذ يرى النساء أقل منزلة من الرجال ،ويمكن اعتبارهن عاهة هن والأطفال، وأنهن لم يكتمل نموهم العقلي، لذلك يجب على الرجال تحمل مسؤوليتهن ، ويعقد مقارنة بين النساء والرجال ويرى النساء أكثر حسدا وافتراءا وأكثر ميلا إلى الكذب.

**صورة المرأة ودورها في المجتمع :**

وفي اللغة كما في التاريخ والأساطير وبعض الأديان تأخذ المرأة المنحى على أنها الجنس الثاني، فعلي سبيل المثال تستخدم الضمائر والأسماء التي تصف الرجال ويشار بذلك إلى الجنس البشري كاملا وهنا تستثير اللغة لدينا إدراكات معينة لأنها مجنسة وتعتمد الصيغة المذكرة ،وفي الإعلام تظهر المرأة بصورتها النمطية، والدراسات الحديثة تفيد بأن النساء أو الإشارة إليهن في وسائل الإعلام أقل من الرجال ،ونلاحظ أن المواضيع الهامة يغطيها الرجال مثلا في برامج التلفزيون ،بينما تعطى النساء البرنامج الأقل أهمية[1].

وترسخت صورة المرأة النمطية من خلال المؤسسات الثقافية والاجتماعية والمدرسة فالمدرسة تساهم في تنشئة الأفراد وفي تعليمهم القيم الاجتماعية السائدة وتساهم في تحديد الدور الاجتماعي للفرد من خلال النماذج التي تقدمها سواء مضمون المناهج والكتب المدرسية أو أسلوب التعليم من خلال النشاطات والألعاب ،حيث تظهر السمات الاجتماعية التي تليق بالذكور كالاستقلال والميل للمنافسة والطموح والميل للمخاطرة والشجاعة والقوة الجسمانية والزعامة والسيطرة، بينما تظهر سمات الإناث كالاتكالية والافتقار إلى المبادرة والضعف والرقة والوقار[2].

فالأدوار الأنثوية في الكتب المدرسية تقع في غالبيتها في المجال الأسري ،حيث دور الأم الحنونة و والزوجة المطيعة التي ترعى شؤون الأسرة والأطفال بينما ترتكز الأدوار الذكورية في المجال العام فهو القائد والمدير والسياسي والكاتب ورب الأسرة والحكيم.

وتدرس سيمون دي بوفوار بعناية المصير التقليدي للمرأة ،وكيف تتلقى شروط حياتها وتتمرس عليها من خلال عرض مراحل تكوين المرأة ابتداء من الطفولة والمراهقة، ثم أوضاع المرأة المتزوجة والأم والمومس وصولا إلى سن الشيخوخة، وتركز الكاتبة على أن أدوار المرأة قد رتبت من أجل استمرار خضوعها ولكن بطريقة مشروعة بحيث تظهر كأنها تلقائية وطبيعية[1].

ويشاركها الرأي الكاتب والناقد نزيه أبو نضال حيث يقول : " تبدأ عملية البرمجة المنظمة للفتاة منذ نعومة أظفارها والقالب الصيني جاهز لا تخرج الفتاة عن حدود مقاسه، فهناك تقسيم صارم للعمل في إطار الأسرة ، فالكنس والطبخ وصنع القهوة من مهمات البنات ،أما الولد فمع أقرانه في الخارج ،وإذا ما أرادت أخته مشاركته يصفها المحيط العائلي بالتعبير الشائع (حسن صبي) ،وإذا كانت كبيرة واقتربت من أعمال الرجال أو مارست بعض سلوكياتهم فسيقال عنها على الفور ( امرأة مسترجلة) ،كما تخضع البنت منذ الصغر لرقابة أخلاقية صارمة ،فصوتها يجب أن يكون خافتا وضحكتها منخفضة وحركتها هادئة ومشيتها متزنة ، ونظرتها منكسة ولباسها محتشما "[2].

وهناك إشكاليات تحد من حرية المرأة هي مؤسسة العائلة والمؤسسة القانونية ومؤسسة العرف والمؤسسة الأخلاقية والحكومية بأجهزتها التنفيذية والتشريعية ومؤسسة الرأي العام إضافة إلى مجموعة من القيم والمفاهيم وكم هائل من التراث الحضاري بجميع أشكاله ،حيث يختزن في عمقه مفاهيم الرجولة والأنوثة[3].

**المرأة وعالم الكتابة :**

إذن، والحال كذلك كيف يتسنى للمرأة أن تكسر جدار الصمت بالمحيط بها ؟ خاصة إن كان لديها نية للاقتراب من عالم الرجولة وعالم الكتابة والذي جرى تخويفها منه حسب القانون التاريخي الذي يمنع المرأة من تعلم الكتابة،كما تمثل فيما قاله خير الدين نعمان بن أبي الثناء " الإصابة في منع النساء من الكتابة ":" أما تعليم النساء القراءة والكتابة فأعوذ بالله إذ لا أرى شيئا أضر منه بهن ،فإنهن لما كن مجبولات على الغدر كان حصولهن على هذه الملكة أعظم وسائل الشر والفساد ،وأما الكتابة فأول ما تقدر المرأة على تأليف الكلام بها فإنه يكون رسالة إلى زيد ورقعة وإلى عمر، فاللبيب من الرجال يترك زوجته في حالة من الجهل والعمى، فهو أصلح و أنفع"[1]، وفي ظل هذه الرؤية للمرأة كانت كتابتها بمثابة اقتحام واختراق لعالم التقاليد الذي أرسته السلطة الاجتماعية ، ومن قبلها السلطة القبلية التي لا تقر حرية المرأة في الإفصاح والبوح ومعانقة الهم اليومي.

وفي هذا السياق كتبت فرجينا وولف الكثير عن كتابة النساء ، وتعتقد أن النساء واجهن دائما عوائق اجتماعية واقتصادية تحول دون طموحهن الأدبي، وتبين وولف أن الفقر أو على الأقل غياب الاستقلال المادي يعوق الإبداع ، فتكشف لنا القيم المادية والمعنوية التي عانت منها المرأة الكاتبة في مراحل شتى وهي عدم القدرة على تلقي القدر المناسب من العلم و قلة الفرص لكسب راتب كاف مشقة الأعمال المترلية ومتطلبات الأمومة وغيرها من القيود كأن لا تكون لها حجرة خاصةبها [2].

تغير الحال بعدها وتمكنت المرأة من الكتابة ،وكانت قد مرت بمرحلة الحكي ،حسب ما جاء في كتاب" المرأة واللغة" ،يقول عبد الله الغذامي : " إن أبرز صورة ظهرت بها المرأة في زمن ما قبل الكتابة ( كتابة المرأة ) هي صورة شهرزاد بطلة " ألف ليلة وليلة" ،حيث لم تكن تحكي وتتكلم أي تؤلف فحسب ولكنها كانت أيضا تواجه الموت من جهة، وتدافع عن قيمتها الأخلاقية والمعنوية من جهة أخرى، كانت تتكلم مرة أخرى لتمارس عليه سلطة اللغة وسلطان النص، ولم يكن للمرأة في زمن الحكي سوى اللسان وسيلة وأداة اتصال، بينما كان يستعمل الرجل اللسان للخطابة وللاتصال الجماهير، كانت هي تحكي في مجال محدود مؤطر مثل لسان شهرزاد الذي يتجه إلى مستمع محدد، وهذا هو المجال الأنثوي بحدوده المرسومة والمقررة.

وعندما شاءت المرأة أن تمدَّ يدها إلى القلم وتكتب "فإنها بهذا تخرج من زمن الحكي وتتحول من كائن مندمج إلى ذات مستقاة تتكلم بضمير الأنا وبالخطاب النهاري المكشوف."[1]

لكن ماذا حدث بعد أن حاولت المرأة الكتابة، وكيف تمت المجابهة مع المجتمع الذكوري لقد جاء رد الفعل عنيفا وشرسا تقول بنت الشاطئ : "والذي مارس وأد البنات في الجاهلية وفي عصرنا الراهن ظل يمارس الوأد الثقافي ضد الجنس المؤنث، وأن مؤرخي الأدب قد تعمدوا طمس أدب المرأة العربية في عصورنا الماضية وأنهم قد ألقوا بآثارها في منطقة الظل ومارس عصر التدوين ورجاله بخس النساء حقوقهن فكان عصر الوأد العاطفي والاجتماعي"[2].

ويرى الغذامي أن سبب غياب الأنوثة التام عن كتابة التاريخ هو غيابها عن اللغة وعن كتابة الثقافة فجاء التاريخ مسجلا بقلم الذكر،أما كورنيليا الخالد فترى " أن تاريخ الأدب العربي كان ومازال تاريخ أدب الرجال تظهر المرأة من خلاله علاقتها بالرجل كملهمة له ونادرا ما تظهر مبدعة بذاتها ،وإذا رجعنا إلى معجم النساء الشاعرات في فترة الجاهلية والإسلام نجد ورود خمس مائة وأربعة من أسماء نسائية لا يعرف إلا بوجود القليل منهن"[1].

وهذا ما تؤكده ناقدة من الغرب بقولها ( لقد صنعت النساء تاريخيا بقدر ما صنع الرجال لكن تاريخهن لم يسجل و لم ينقل ،وربما كتبت النساء بقدر ما كتب الرجال ، لكن لم يتم الاحتفاظ بكتاباتهن ، وقد خلقت النساء دون شك من المعاني بقدر ما خلق الرجال ، لكن هذه المعاني لم يكتب لها الحياة، حين ناقضت المعاني النسائية المعاني الذكورية و لم يتم الاحتفاظ بها، وبينما ورثنا المعاني المتراكمة للتجربة الذكورية ،فإن معاني جداتنا غالبا ما اختفت عن وجه الأرض"[2].

هذا يظهر أن الحال لم يكن مختلفا بالنسبة للكاتبات في الغرب ، تقول "أليسا أو سترايكر" "A.ostrike"إن الإحساس بالرهبة والخوف يتحكم في أرواح الكاتبات الإنجليزيات وتتسم كتاباتهن بالجبن والتكتم وتؤكد أن هذا دفع الكاتبات لاستعارة أسماء مذكرة مثل جورج اليوت والأخوات برونتي والتي ظلت لفترة طويلة تكتب تحت اسم رجل ، لأن المجتمع غير مقتنع بإبداعها كامرأة كاتبة"[3].

بعد مراجعة الواقع الاجتماعي وسلسلة الكوابح الاجتماعية التي فرضت على المرأة، نفهم حاجتها الملحة لرفض هذا الواقع والحاجة إلى التعبير والحلم .بمستقبل أفضل.

خرجت المرأة بعدها للعمل وأصبحت منتجة وصارت عضوا فعّالا في المجتمع ،وأصبح لها شأنها في الحياة وهيأت الأسباب الكثيرة للمرأة العربية أن تعي دورها في المجتمع بما تلقته على مقاعد الدراسة وبما قرأته من كتب وبما وصلها من أفكار من الغرب ،فثارت اجتماعيا وبدأت ترفض العادات والتقاليد والزواج التقليدي واتجهت للعمل والاستقلال المادي وثارت اقتصاديا وانتقلت من العمل في الميادين الهامشية كالأعمال الكتابية والخدمات وصارت طبيبة ومعلمة وصيدلانية .. ولكنها ظلت داخل مجتمع يفضل عمل المرأة ضمن المجال التقليدي المحدود فانقادت كثيرا للعادات والتقاليد وتمردت أخريات.

إن التطور الذي حدث في الحياة السياسية والاجتماعية وما رافقه من تطور في الحياة التعليمية والثقافية ومحاولة التمرد على الأوضاع التقليدية السائدة قد انعكس في الإنتاج الأدبي والثقافي للمرأة وظهرت آثار ذلك التطور على الأدب النسوي شعرا ونثرا.

وحاولت المرأة الكاتبة البحث في تحرر الأنثى، وحسمت تصورها عن مفهوم حرية المرأة عبر نماذج نسوية متعددة ،حاولت من خلالهن الإشارة إلى الطريق الموصلة إلى هذه الحرية " إن الكتابة عند المرأة المثقفة عامل رئيس في جعلها أكثر تحررا من النساء الأخريات، فهي عن طريق الكتابة امتلكت قوة التعبير عن نفسها بحرية نسبية، كما قدمت رؤية للرجل والحياة والكون، رؤية مشبعة بالتوق إلى الحرية الكاملة والثقة بالمرأة وتصرفاتها وبناء عالمها الاجتماعي المتعادل مع

الرجل .. ساعية من خلال ذلك إنهاء سطوة تاريخ مديد من الوصاية والأبوية والسلطوية "[1].

إلا أن مفهوم حرية المرأة كثيرا ما بدا – حسب طرح الكاتبة العربية – ضبابيا " فكثيرا ما يتم طرح واقع مترد يقتضي الرفض والتجاوز، فتسارع الكاتبة إلى تقديم بدائل ما تلبث أن تثبت أنها غير مقنعة ومن هنا تبادر هذه الكاتبة إلى التخلي عن مطالبها ومشاريعها البديلة بعد تجربة حافلة بالفشل "[2]، ونحن هنا نتحدث عن كاتبات الخمسينات وحتى منتصف الستينات.

كما قدمت الكاتبات أنماطا وصورا نسائية لم توجد في رواية الرجال، فهزت الذائقة الأدبية التي احتجت على غلبة موضوع المرأة في روايتها فوجهت لها تهمة تضخم الذات والفردية وأثارت ضدها الفئات الاجتماعية التي احتجت على نمط البطلة المتمردة أو الخارجة على الأعراف، أو على توظيف عنصر الشتائم في النص الروائي ،فوجهت لها تهمة الإباحية واللاأخلاقية .

كما كان خطاب المرأة في الرواية النسوية جزءا من الخطاب العام والذي مال في أغلبه إلى رصد التشويه والخلل الماثل في بنية المجتمع ،وإضاءة ملامح اغتراب الذات الأنثوية بخاصة – في هذا المجتمع – وبذلك اتسقت اهتمامات الرواية النسوية وانشغالاتها مع الطابع الأساسي الذي ميز الرواية العربية – في مجملها – كرواية اعتراض وانتقاد، وإعادة قراءة لتراجع الذات، واستنهاض لقواها الفاعلة، وذاكرتها الحضارية[3].

**الكتابة الروائية النسوية واتجاهاتها :**

أما فيما يتعلق بمسيرة الكتابة الروائية النسائية العربية، فالملاحظ أنها استمرت محافظة على أسلوبية الروايات التاريخية التعليمية حتى فترة متأخرة من منتصف القرن العشرين، ولم تبدأ مساهمتها في الرواية الرومانسية إلا بحلول الخمسينات، وهي فترة شهدت تنوعا بين الرواية الرومانسية الاجتماعية والرواية الوجودية، في حين كانت رواية الكاتب الرجل قد قدمت تيارات متنوعة من الرومانسية والواقعي، الأمر الذي عكس تباينا بين المسيرتين.

وقد تميزت الرواية الرومانسية التي كتبتها المرأة خاصة، بضعف واضح في بينتها الفنية فغالبا ما اعتمدت المبالغات والمصادفات لصنع الحدث الروائي وتطويره، وانتهت نهاية سعيدة بالنسبة للبطلة التي اختارت ما يمليه عليها حس الواجب الاجتماعي،فَضَحَّت من أجل الآخرين في سبيل إسعادهم أو من أجل ما تصورت أنه الواجب.

كما انشق عن الرواية الرومانسية الاجتماعية اتجاه ثوري يختلف عن الاتجاه الأول المسالم في كونه قدم صورة للمرأة الثائرة والغاضبة على أوضاعها، الرافضة للزيف الاجتماعي الراغبة في تحقيق توازن جديد لا يقمع حريتها، فتنجح أو تخيب.

أما بطلات الرواية الوجودية يفصحن أكثر من غيرهن عن النموذج الغاضب اللامنتمي ويشاركن مع البطلات الأخريات في أن رفضهن وغضبهن ليس ضد رجل بعينه، وإنما ضد صيغ اجتماعية تخلق أنماطا من العلاقات تثقل الروح المتطلعة للحرية وتخنقها، لتظهر بعدها الرواية الواقعية التسجيلية والنقدية ذات الملامح الاشتراكية [1].

أما في عقد التسعينات قدمت الروايات النسائية نماذج عديدة للرواية الحديثة، وإن استمرت التيارات السابقة بتنوعها، وقد سعت هذه الروايات الجديدة للتعبير عن العلاقات الاجتماعية القائمة والإسهام في خلق علاقات جديدة كونها تصدر عن وعي جمالي، يتخطى حدود الوعي السائد ويتجاوزه إلى آفاق جديدة ، " لهذا فإن مهمة الرواية الحديثة ليست في خطابها الوعظي والإرشادي والتعليمي بل في تمثلها وتجسيدها رؤية فنية كاشفة لعلاقات خفية، ومن خلال هذا الكشف الجديد تتولد المتعة والتشويق والجاذبية، كما أنها تهتم بالثابت والباطن والجوهري أكثر من اهتمامها بالمؤقت والعرضي والطارئ والسطحي والهامشي"[1].

لقد حاولت بعض الكاتبات الانطلاق من المفاهيم الإنسانية بغض النظر عن جنسها ، فإذا كانت إنسانية المرأة تقتضي أن تتعلم وتبني الوطن ، فعليها أن تفعل ذلك دون التنكر للأنوثة وللإنجاب ،لأنهما ركنان هامان في تكوين المرأة لا يتعارضان ـــ من حيث المبدأ ـــ مع الأركان الأخرى ، بل يتماشيان ويندمجان معا.

فالمشكلة لا تكمن في الأنوثة، بل بنظم اجتماعية واقتصادية سائدة ، فعلى المرأة المثقفة أن تمتلك وعيا وإدراكا عميقين للتأثير في بنات جنسها، وانتشالهن من بئر العدم الذي يغرقن فيه وهذا لا يتم بالازدراء والاستخفاف والتعالي ووضع الحواجز، بل بالتفهم والاستيعاب والاقتراب منهن لانجاز التأثير الذي لن يكون سريعا "فالتطور بطيء الإيقاع ضمن شروط مجتمع متخلف يتمسك بالتقاليد تمسكا يفوق تمسكه بالدين."[2]

ومع مرور الزمن و تراكم التجربة ومع المتغيرات ،بدأت الرواية النسوية تقترب في معالجتها لموضوع المرأة من ردم ثنائية الرجل والمرأة، وأخذت تنظر نظرة

أكثر شمولية وهدوءا ونضجا تربط حرية المرأة بحرية أوسع وأشمل وهي حرية المجتمع ، كما في روايات سحر خليفة على سبيل المثال ، وأخذنا نلتقي بأعمال نسوية تخلت عن ضبابية الرؤية لحرية المرأة ، فطرحت رؤية صحيحة معافاة ترى العمل حجر الزاوية في حياة المرأة لا يمكن التخلي عنه أيا كان السبب.

إن هذا التطور في مفهوم حرية المرأة وربطها بحرية المجتمع، بالإضافة إلى استيعاب الوضع العام الذي تعيشه المرأة يجعلان الدارس يعيد النظر بصحة النقد الموجه للرواية النسوية ويبين عدم ربط ظاهرة الأعمال الروائية النسوية بالمجتمع الذي نشأت فيه، فقد قيل: "العالم هو المحور فيما يمكن أن نسميه رواية الرجال، أما في الرواية النسائية فالمحور هو الذات، ولهذا كانت قوة البناء هي المطلب الفني الأول في رواية يكتبها رجل أما الرواية التي تكتبها امرأة فتستمد جماليتها في المقام الأول من غنى العواطف وزخم الأحاسيس."[1]

وقد وجه شبيه هذا النقد إلى الرواية النسوية في أوربا أمريكا، فقد قيل إن الرواية النسوية"محدودة منذ نشأتها فهي تنغلق على المشاكل الشخصية"[2]، فالرجال يكتبون عن الاغتراب بينما تكتب النساء عن العلاقات وكتابتهن صغيرة ذاتية وشخصية عاجزة عن الارتباط بالآخر.

وإذا كانت الرواية النسوية الأوروبية قد أثبتت عكس هذه الرؤية واستطاعت مجاراة الكاتب الرجل في تطرقها لجميع المواضيع التي ترتبط بالمجتمع ،كذلك الكاتبة العربية اتسعت دائرة معرفتها عن ذي قبل، فلم تعد ملتصقة بالذات فقط بل انفتحت على العالم الكبير، تحاوره وتعيش منصهرة في بوتقته محترقة في آلامه ومشاركة في صياغة حاضره .

لقد استجابت الروائية العربية للمنعطفات الهامة في الواقع العربي، ولمتغيراته السريعة فالتحمت به وخرجت من التقوقع داخل الذات النسوية، وبدأت الرواية تتجه نحو النضج الفكري والفني، مما حدا بالنقد إلى تغيير بعض زوايا رؤيته للرواية النسوية، فقد أشار سيد حامد النساج إلى أن المرأة الكاتبة انطلقت تعبر عن موقفها مع أحداث الحياة التي تجري من حولها، ولم تعد منكفئة على همومها الخاصة .[1]

وقبله بسنوات تحدث شكري عياد عن جيل الكاتبات الشابات فقال: "إن إنتاجهن في جملته نتاج عربي أصيل ينتمي إلى مزاجنا وتاريخنا وظروفنا الاجتماعية الخاصة ،إنه تعبير عن الفتاة العربية التي بدأت تعيش منذ بضع سنوات فقط في ظروف تكاد تشبه الظروف التي يعيش فيها الفتى ، فهي تتعلم لتعمل، وتعمل لتعيش، وتصبر على شظف الحياة، وتحلم بالمستقبل كما يصبر الفتى ويحلم ...وهذا الجيل الجديد من الفتيات يسير نحو النضج في فترة تتغير فيها معالم المجتمع القديم كله، وينظر الناس جميعا رجالا ونساء، شيبا وشبابا ينظرون إلى المستقبل في لهفة وترقب.."[2]

إذا لقد بدأت الرواية النسوية بعد النكسة وخاصة في السبعينات وما تلاها، تتخفف من عبء الأنا وبدأت بعض الأعمال تنال اعتراف النقاد وتقديرهم، صحيح أن الموضوع الرئيسي مازال المرأة، إلا أن الكاتبة لم تعد تطلق احتجاجها صرخات حادة، وتتخذ موقفا متشنجا بل اتجهت إلى تحليل الواقع الذي يعيش فيه كل من المرأة والرجل، وربطت همومها الفردية بالهموم العامة دون أن تنسى اضطهاد الرجل لها ومطالبتها إياه بالاعتراف بإنسانيتها وحقوقها.

لاشك أن الساحة الروائية العربية تحتل بعض أركانها كاتبات متميزات استطعن أن يقدمن إضافات هامة إلى الرواية العربية، أديبات امتلكن الموهبة والثقافة والجرأة والصبر والرغبة الصادقة الجادة والمخلصة في إنتاج أدب يلتحم بالواقع، يقدح شرارته ويُشعله ثورة، دون أن يتحول إلى رماد، بل إلى شعلة مضيئة تنير الدرب وتمتع الفكر وتسعد الروح، أديبات امتلكن النضج وسعين إليه، فاكتوت نفوسهن في سبيله وأحرقن صفحات كثيرة في التدريب والممارسة وقول ما يفيض به الفكر وتطفح به النفس، هؤلاء الأديبات كأحلام مستغانمي وسحر خليفة وحنان الشيخ وحميدة نعنع وخناثة بنونة.. وغيرهن قدمن أعمالا أصيلة ترقى إلى مستوى الأدب الرفيع ،هذا الأدب الذي لا يصح أن نلحق به تسمية تميزه بجنس من كتبه بل بالحامل الفكري والفني له.

إن النضج الفني والفكري متلازمان في أي عمل فني، فلا يأتي أحدهما دون الآخر، وهذا ما نلمسه في الروايات النسوية، فهناك نسبة ضئيلة من الروايات تعاني من الضعف الفكري وأحادية الرؤية وضبابيتها،إن لم نقل غيابها في بعض الأحيان وبالتالي تعاني الضعف الفني هذا الضعف نلقاه في رسم الشخصيات وتصوير البيئة واللغة والحوار وهناك أعمال كثيرة من الصعب أن نطلق عليها اسم رواية إن زناها بميزان النقد الروائي، ولكنها تبقى محاولات روائية على النقد أن يشجعها .

فإذا ما وجهنا النظر مثلا في الرواية النسوية الخليجية، فسنرى أن معظم الروايات مازالت تعاني من العثرات ومازلنا نلتقي فيها بالافتعال، والمغامرات والصدف والمبالغات والضعف اللغوي ومخاطبة القارئ وتوجيهه للانتقال من حدث إلى آخر لضعف الروابط والأحداث وهذا يرجع إلى الواقع الذي تعيشه الأديبات وما يميزه من شدة وصرامة وحجر على كتابات وإبداع المرأة، وكل ذلك لا

يساعد الكاتبة على الإطلاع على الجديد ولا على الإبداع والابتكار إلا من كان لها الحظ وخرجت من هذا المجتمع ودرست بالخارج واطلعت على آداب الأمم الأخرى .

وما نخلص إليه مما تقدم في هذا العنصر أن الرواية النسوية العربية، بعد مرحلة البدايات الأولى في نهاية القرن الماضي وبداية القرن الحالي، عانت ما يقرب من نصف قرن من صعوبات جمة ومتنوعة المصادر، وقد حملت أول ما حملته هَم المرأة وطالبت بحريتها في ظل واقع متسلط، وبعد النكسة وبالتحديد في السبعينات انفتحت على المجتمع العربي بغنى مشاكله وتعقدها وتشابكها وحملت الهم الوطني، وبدت بعض الروايات ناضجة فنيا وشاركت مشاركة نشطة في تحديث الرواية العربية ووضعها في قالب فني يستجيب لمنجزات الرواية الحديثة دون أن تنقطع عن الواقع العربي الذي هو المشروع الأول لكل كتابة جادة.

الهوامش:

[1]– أنظر عودات حسين ، المرأة العربية في الدين والمجتمع ، الأهلي للطباعة والنشر ، دمشق ، **1996** ، ص . **72**

[2]- Maltin.M, the psychology of women, 3rd ed , New York : HARCOURL-BACE COLLEGE PUBLISHERS p 31-45.

[3]– أنظر حداد ياسمين ، الصورة النمطية للجنسين ، مضامينها وأبعادها،مجلة دراسات،ع**1998**،**15** ،ص**7–45**.

[4]- Beauvoir simonde , the second sex reprint of the 1953 ed published by knopt , new York **p** 20.

[5] – نزيه أبو نضال، الشرط الاجتماعي وقصور الوعي في الرواية النسوية العربية، في خصوصية الإبداع، وزارة الثقافة عمان،**1997** ص،.**215**

[6] – أنظر صالح حمارنة ، غالب هلسا والمرأة ، المجلة الثقافية ، ع**29** ، ص**130–135**.

[7] – علي القريشي ، نص المرأة من الحكاية إلى التأويل ، المدى ، دمشق ، **2000** ، ص **56**.

[8]- Woolf Virginia, A room of one's own, (HARMONDSWORT IH, PENEGUIN, 1945) 1929, p35.

[9] ـــ عبد الله الغذامي ، المرأة واللغة، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، المغرب،**1996**، ص **57**.

[10]ـــ عائشة عبد الرحمن ، بنت الشاطئ ، الشاعرة العربية المعاصرة ، ص2 .

[11]ـــ كورنيليا الخالد ، المرأة العربية الإبداع النسائي ، النظريات النسوية ، ص .09

[2] Spender DALES , MAN MADE LANGUAGE , PANDORA PRESS , [1] LONDON 1980 , p 53.

OStrike ALICIA , writing LIKE A WOMAN , university of Michigan [3 1] press, ANNARBOR 1991 , p 11.

[14] – عبد الله الغذامي ، المرأة واللغة ، ص 190 .

[15] – إيمان القاضي ،الرواية النسوية في بلاد الشام ،دار الأهالي، دمشق،1992، ص 97–98.

[16] – أنظر المرجع نفسه ، ص.99

[17] – المرجع نفسه، ص11

[18]– شكري عزيز الماضي ، الرواية العربية في فلسطين والأردن في القرن العشرين ،دار الشروق،الأردن، 2003. ص.35

[19]– جورج طرابيشي ،الأدب من الداخل، مجلة الآداب ، السنة11، ع مارس،1993 ،35.

[20]– المرجع نفسه ،ص 36.

[21] – كارمن البستاني الرواية النسوية الفرنسية، الفكر العربي المعاصر، بيروت، ع1985،34،ص.124

[22]ـــ سيد حامد النساج، بانوراما الرواية العربية الحديثة ،دار التراث ،القاهرة،1997، ص .85

[23]– شكري عياد، تجارب في النقد والأدب، دار الكتاب العربي، القاهرة ،ط ،1967 ،ص 272.

***

# مقالات

# في الفكر و العلوم الإنسانية

# أنظمة تقييم الأداء كأداة لتنمية الموارد البشرية في المؤسسة الاقتصادية الجزائرية

------

الأستاذ نوري محمد – جامعة الأغواط – الجزائر

**مقدمة**

لقد أصبح الاهتمام بالعنصر البشري في المنظمات الحديثة من بين المسائل التي نالت القسط الوافر من اهتمام الباحثين و الخبراء في مجال إدارة الموارد البشرية على وجه الخصوص و ذلك انطلاقاً من قناعتهم بالمكانة التي يحتلها العنصر البشري داخل المنظمة ، كونه يعتبر المحرك و المحور الأساسي للعملية الإنتاجية. فالفاعلية، و هي أسمى أهداف أي منظمة ، تتوقف على مدى تحقيق الاستقطاب والاختيار الأفضل للأفراد و تنميتهم قصد توجيههم نحو الأداء الأفضل[1]. لذلك فإن إدارة الموارد البشرية و هي أحد الأنظمة الفرعية ضمن النظام الكلي المتمثل في المنظمة ، تحتل مكانة إستراتيجية باعتبارها المسؤولة عن استقطاب و اختيار و تعيين و تنمية المورد البشري و قياس أدائه و من ثم توجيهه ، و هي عمليات معقدة و مترابطة تتطلب من القائمين عليها الحرص و اليقظة الدائمين لأجل الوصول إلى الكفاءة في الأداء.

وانطلاقاً من الأهمية القصوى للعنصر البشري في المنظمات الحديثة ، فإن إدارة الموارد البشرية باعتبارها أحد الأطراف التنظيمية الفاعلة تحتل مكانة بارزة و مستوى قيادي يمكن من خلال أنظمتها توجيه سلوك الأفراد العاملين بها نحو تحقيق الأهداف الإستراتيجية التي وجدت من أجلها المنظمة ، خاصةً و نحن نشهد اليوم تنافساً شديداً بين مختلف المنظمات للحصول على مكانة متميزة و دائمة داخل

الأسواق و التقرب أكثر من المستهلك و الظفر برضاه و ولائه ، و هي أسمى غايات المنظمات الحديثة الساعية إلى التميز و النمو و الاستقرار.

فالمؤسسات الاقتصادية ، بوصفها أحد أشكال التنظيم ، تعتبر المورد البشري العنصر الأساسي لتحقيق أهدافها و ذلك من خلال تنفيذ الخطط و البرامج التي تعبر عن إستراتيجية المؤسسة و غاياتها عن طريق تفكيك الأهداف العامة إلى أهداف جزئية أو فرعية و إدماجها في مجموعة من المهام التي يلتزم بتنفيذها العاملين في المؤسسة و في كل المستويات ، و هذا لا يبرز إلا بعد قياس و معرفة مستويات الأداء[2] .

وبالتالي ، أصبح لزاماً على هذه المؤسسات أن تعتمد الطريقة أو الأسلوب المناسب للكشف عن مستويات الأداء لدى الأفراد و تقويم درجة اندماجهم في المنظمة و تنفيذهم للمهام و قيامهم بالمسؤوليات المنوطة بهم ، و هذا ما يسمح كذلك بضبط و إعداد الخطط و البرامج التي ستكون قاعدة معلومات يمكن بواسطتها تقويم و تحديث باقي الأنظمة الفرعية الأخرى كالتوظيف و الأجور و الحوافز و الاتصال بالإضافة لنمط القيادة الذي ستعتمده القمة الإستراتيجية le sommet stratégique (المدير و الإطارات المسيرة).فهل تعتمد اليوم المؤسسات الاقتصادية –عموماً و الجزائرية على وجه الخصوص – في رسم خطط و برامج تنمية مواردها البشرية على مخرجات نظام تقييم الأداء ؟ سنحاول في هذه الدراسة الإجابة على هذا التساؤل العام و ذلك إنطلاقاً من توضيح و قياس الترابطات و العلاقات الموجودة في المتغيرات هذا التساؤل.

**أولا : الإطار المفاهيمي le cadre conceptuel:**

قبل التطرق إلى توضيح أهمية أنظمة تقييم الأداء و الأساليب المتبعة في تنمية الموارد البشرية داخل المؤسسات الاقتصادية على وجه الخصوص ، يتعين علينا بدايةً تحديد الإطار الذي يضم المفاهيم الرئيسية التي جاءت بها هذه الدراسة ، و هو ما يعرف بالإطار المفاهيمي الذي يعتبر المجال الذي تنحصر بداخله مجموعة الأفكار و التصورات المتعلقة بالموضوع و الذي سيكون بمثابة الموجه الأساسي لباحث من الناحية النظرية و حتى الإمبريقية إذا كان البحث محل دراسة ميدانية.

## 1-1 مفهوم المؤسسة الاقتصادية :

تعددت التعاريف التي أعطيت للمؤسسة الاقتصادية ، و هذا حسب مجالات اختصاص و اهتمام الباحثين و كذلك حسب الأطر النظرية التي عالجت مكانة و دور المؤسسة الاقتصادية في الحياة الاقتصادية و الاجتماعية لأفراد المجتمع.

إن عملية وصف مؤسسة اقتصادية معينة يمكن أن يتم بسهولة و ذلك لو أخذنا حالة حقيقية منفردة مثل : مؤسسة زراعية،صناعية أو تجارية أو خدماتية ، و قد تكون مؤسسة عامة أو خاصة...، لكن حصر كل أنواع المؤسسة و فروعها الاقتصادية و أحجامها و أهدافها المختلفة في تعريف واحد من الصعوبة بمكان، نظراً للأسباب التالية :

- ✓التطور المستمر الذي تعرفه المؤسسة الاقتصادية في طرق تنظيمها و أشكالها القانونية منذ ظهورها.
- ✓اتساع نشاط المؤسسة الاقتصادية.

✓اختلاف الاتجاهات الاقتصادية و الإيديولوجية، حيث يبرر جلياً عند الاقتصاديين الاشتراكيين و نظرتهم للمؤسسة و الاقتصاديين الرأسماليين في إعطاء تعريفات مختلفة عما سبق. [3]

يعرف بيرو (françois Perroux) المؤسسة بأنها : " شكل إنتاج بواسطته و ضمن نفس الذمة (patrimoine) تدمج أسعار مختلف عوامل الإنتاج المقدمة من طرف أعوان متميزين عن مالك المؤسسة بهدف بيع سلعة أو خدمات في السوق ، من أجل الحصول على دخل نقدي ينتج عن الفرق بين سلسلتين من الأسعار". [4]

و تعرف كذلك على أنها " نظام اجتماعي نسبي، و إطار تنسيقي عقلاني، بين أنشطة مجموعة من الناس تربطهم علاقات مترابطة و متداخلة، يتجهون نحو تحقيق أهداف مشتركة و تنظم علاقاتهم بهيكلية محددة ، في وحدات إدارية وظيفية ذات خطوط محددة السلطة و المسؤولية."

و منه نستطيع أن نقول أن المؤسسة الاقتصادية هي نسق اجتماعي محدد الهيكل يتفاعل بداخله ديناميكياً مجموعة من الفاعلين لغرض تحقيق هدف معين.

## 2-1 مفهوم الموارد البشرية :

يقصد بالموارد البشرية تلك الجموع من الأفراد المؤهلين ذوي المهارات و القدرات المناسبة لأنواع معينة من الأعمال و الراغبين في أداء تلك الأعمال بحماس و اقتناع ، من ذلك نتعرف إلى صفتين أساسيتين في تركيب الموارد البشرية هما : صفة القدرة على أداء الأعمال و صفة الرغبة على أداء الأعمال".

كما يعرف حسين إبراهيم بلوط الموارد البشرية على أنها " مجموعات الأفراد المشاركة في رسم أهداف و سياسات و نشاطات و إنجازات الأعمال التي تقوم بها المؤسسات و تقسم هذه الموارد إلى خمسة مجموعات :

- الموارد الاحترافية.
- الموارد القيادية.
- الموارد الإشرافية.
- باقي الموارد المشاركة.
- الاتحادات العمالية ". [5]

### 3-1 مفهوم تنمية الموارد البشرية :

تعرف تنمية الموارد البشرية، على أنها : « تغيير في مستويات المعرفة والمهارات والاهتمامات والقيم والاتجاهات والميول والقدرات والاستعدادات والخبرات والمعارف الخاصة بأبناء المجتمع ».[6]

ويرى علي عبد الرزاق جلبي بأنه « لا يشمل مفهوم تنمية الموارد البشرية تنمية المهارات والقدرات والاتجاهات البشرية اللازمة لتعزيز النمو الاقتصادي وإنتاجية العمل والكفاءة فقط، بل يشمل أيضا نطاقا أوسع يضم العناصر الاجتماعية والثقافية كالخصائص الفكرية الضرورية للمواطن أو الانفتاح الفكري، والتي تمكن الفرد أن يعيش حياة أفضل و تحقيق المزيد من الرخاء الاجتماعي ».[7]

و في هذا الإطار ، سوف نركز اهتمامنا على التدريب و الترقية بوصفهما عمليتين أساسيتين في تنمية الموارد البشرية بالنسبة للمنظمة ، حيث وجدت المنظمات في هاتين الوسيلتين الآلية الفعالة من أجل رفع مستوى أداء أفرادها إلى أعلى المستويات، وجعلها قادرة على تحقيق الإبداع و التجديد و تقديم الحديث ذي الجودة العالية، التي تلبي حاجات ورغبات زبائنها وتفي بتوقعاتهم.

### 1-4 مفهوم تقييم أداء الموارد البشرية :

يشير مفهوم تقييم الأداء إلى دراسة و تحليل أداء العاملين لعملهم و ملاحظة سلوكهم و تصرفاتهم أثناء العمل و ذلك للحكم على مدى نجاحهم و مستوى كفاءتهم في القيام بأعمالهم الحالية، وأيضا للحكم على إمكانيات النمو و التقدم للفرد في المستقبل و تحمله لمسؤوليات أكبر، أو ترقيته لوظيفة أخرى.[8]

كما تعرف أنها عملية إدارية دورية هدفها قياس نقاط القوة و الضعف في الجهود التي يبذلها الفرد و السلوكيات التي يمارسها في موقف معين و في تحقيق هدف معين خططت له المنظمة مسبقا

أما من الناحية العملية فهي عملية يتم بموجبها الحصول على البيانات الكمية و الكيفية قصد معرفة مستويات أداء الفرد مقارنةً بالمعايير المحددة سلفاً من طرف المشرفين على الإدارة و تكون على أساس مقابلة مباشرة يجريها كل مسؤول مع الأفراد التابعين له تنظيمياً و تكون عادةً سنوياً .

**ثانياً : أهمية و أهداف نظام تقييم أداء الموارد البشرية :**

يشكل نظام تقييم الأداء منظومة من المعلومات و البيانات التي تستخدمها إدارة الموارد البشرية في تفعيل رقابة و توجيه و صيانة العنصر البشري و يضم كذلك مجموعة من المعطيات الكمية و الكيفية الخاصة بمستوى أداء الأفراد و أساليب العمل و طبيعة العلاقات داخل المؤسسة و مستويات التنسيق بين المجموعات و نمط الاتصال المهيمن داخل المؤسسة [9]. هذه القاعدة من المعلومات باعتبارها –نظرياً – مخرجات نظام تقييم الأداء ، ستسمح للقائمين على إدارة الموارد البشرية بتحديد طبيعة المدخلات التي ستغذي باقي الأنظمة الفرعية التابعة

لهذه الإدارة بمجموعة من المعطيات التي تقترب من الواقع ، كونها نواتج موضوعية لنظام تقييم الأداء و تغذيته العكسية.

### 1-2 أهمية نظام تقييم أداء الموارد البشرية :

تعتبر عملية تقييم الأداء إحدى سياسات إدارة الإفراد و التي لا غنى عنها نظرا لأهميتها ، و التي تعود من وراء تطبيقها على أسس سليمة تتوافر فيها الموضوعية قدر الإمكان ، وتتمثل هذه الأهمية فيما يلي:

- إشعار العاملين بمسؤوليتهم ، فعندما يشعر الفرد أن نشاطه و أداءه في العمل هو موضع تقييم من قبل رؤسائه المباشرين ، و أن نتائج هذا التقييم سيترتب عليها اتخاذ قرارات هامة تؤثر على مستقبله في العمل فانه سوف يشعر بمسؤوليته اتجاه نفسه و العمل معا، و سوف يبذل معظم جهده و طاقته التي يمتلكها لتأدية عمله على أحسن وجه لكسب رضا رؤسائه ، إضافة لكون عملية التقييم تعد وسيلة لضمان عدالة المعاملة ، حيث تضمن الإدارة عند استخدامها أسلوبا موضوعيا لتقييم الأداء، أن ينال الفرد ما يستحقه من ترقية أو علاوة أو مكافأة على أساس جهده و كفاءته في العمل كما تضمن الإدارة معاملة عادلة و متساوية لكافة العاملين ، كما أن تقييم العاملين يقلل من إغفال كفاءة العاملين من ذوي الكفاءات و الذين يعملون دون ضجيج و بصمت.[10]

- يضمن تقييم الأداء تحقيق عدالة المعاملة بين جميع العاملين في المنظمة ، بوجود نظام تقييم عادل و موضوعي قائم على أساس من التخطيط السليم و القواعد التنظيمية الموضوعية ، حيث يضمن أن كل فرد ينال ما يستحقه من المزايا الوظيفية وفق جهده و نشاطه المبذول في عمله ، و هذا ما يضمن أن كل من يعمل في المنظمة يلقى نفس معاملة الآخرين دون تخير أو تمييز .هذا إلى جانب أن التقييم

يضمن عدم إغفال كفاءة و نشاط أي فرد من ذوي الكفاءات العالية الذين يعملون بصمت.[11]

كما يمكن تجسيد أهمية تقييم الأداء بالنسبة للمنشاة في كونها تحافظ على توازنها من خلال الحصول على رضا العاملين ، و بالتالي الحصول على أكبر منافع من أعمالهم لديها ، فالمنتجات ستكون جيدة و التعامل في هذه المنتجات ( نقل و توزيع و تحصيل للإيرادات ) سيكون جيدا مما ينعكس على الربحية التي ستكون في أعلى مستوياتها و تحصيل على رضا المستهلكين لمنتجاتها فيستمرون في التعامل مع المنشأة بل و ينصحون غيرهم بالتعامل مع المنشأة التي أرضتهم و بذلك يكون للمنشأة سوقا مستقرة وولاء كبير من قبل عملائها و تتحسن علاقة المنشأة مع المنافسين لها فتقل بذلك تأثيرات المنافسة بل يتم زرع مفاهيم ايجابية للتنافس المثمر بين المنشأة و منافسيها .

وينبغي على الجميع إدراك أهمية تقارير الأداء الوظيفي باعتبارها احد المعايير التي يتم بها اختيار أفضل العناصر لشغل الوظيفة والتي يتجدد نموها واستمرار تطورها بمدى ما تلحقه التقارير غير الموضوعية بإمدادها بعناصر لا تتوفر فيها الكفاءة والجدارة لشغلها والتي تجد نفسها بين ليلة وضحاها على قمة سلم المنافسة ويجدر بنا في هذا المقام أن نستعرض معا أهمية التراهة في تقويم الأداء الوظيفي على النحو التالي [12]:

- ✓ معيار لتحديد كفاءة الموظف و إنتاجيته خلال السنة.
- ✓ الوسيلة التي تعتمد عليها الإدارة للمفاضلة بين العاملين على أساس الكفاءة والجدارة
- ✓ معالجة أوجه القصور في الأداء و اقتراحات المديرين بكيفية معالجتها.
- ✓ مدى كفاءة المسؤولين في تقويم الأداء لمرؤوسيهم.
- ✓ توضيح تصورات المسؤولين لتطور أداء من يتولون إدارتهم.
- ✓ تعد احد وسائل التقييم و الاختيار لشغل الوظائف الأعلى.

كما تتمثل أهمية تقييم الأداء من خلال عملية التغذية العكسية (المقابلة) حيث تتم التغذية العكسية من خلال جلسات تنقل عبرها نتائج عملية تقييم الأداء وتوضيح نقاط القوة والضعف لدى العامل أو الموظف وذلك بغرض تقويمه نحو مسار صحيح.

إن عملية تقييم الأداء ،تعتبر أيضاً ، بمثابة اختيار الحكم على مدى سلامة ونجاح الطرق المستخدمة في اختيار وتدريب العاملين بما يشير إليه مستوى تقييم الأداء فإذا دلت تقديرات الكفاءة على معدلات مرتفعة ، بابتعاد العوامل المؤثرة الأخرى يعتبر دليلا على سلامة وصحة الأسلوب المتبع لاختيار العاملين و تعيينهم .إلى جانب تقييم البرامج التدريبية ومعرفة مدى استفادة العاملين منها، وذلك لتحديد الثغرات و العمل على تلافها في المناهج والبرامج التدريبية المنوط تنفيذها مستقبلا [13].

## 2-2 أهداف نظام تقييم أداء الموارد البشرية :

إن عملية تقييم الأداء هي عملية نظمية تهدف إلى تحقيق العدالة و المساواة الداخلية في دفع التعويضات المالية ، و يقصد بالعدالة الداخلية هنا تحقيق الإنصاف و المساواة في دفع التعويضات المالية لجميع العاملين في المنظمة فقط ، لأن هناك مساواة و عدالة خارجية تشير إلى أن التعويضات التي تدفع للعاملين في المنظمة ، يجب أن تكون معادلة لما تدفعه المنظمات الأخرى المنافسة و المشابهة للعاملين فيها من تعويضات. إضافة إلى كون تقييم الأداء يمثل أساسا موضوعيا و فاعلا في المجالات التالية: [14]

- تخطيط الموارد البشرية: إذا أوضحت نتائج التقييم أن قصور أداء بعض العاملين لا يرجع لقصور قدراتهم و مهاراتهم بل يرجع لعدم انسجامها مع متطلبات وظائفهم و أنهم أصلح و أكثر فعالية في وظائف أخرى .

- تقويم سياسة الاختيار: إذ تبين أن قصور الأداء و أنماط التعامل يرجع لنقص أو ضعف في قدرا اغفل تحريها خلال عملية الاختيار، و هكذا يمكن إدراك هـــذه الثغرات و منع تكررها مستقبلا.
- تقويم سياسة التعيين و النقل الإداري: إذ تبين أن نواحي قصور ترجع لعـــدم تناسب قدرات ومهارات الأفراد مع متطلبات وظائفهم.
- رسم أو تقويم سياسة التدريب و التكوين: إذ تبين أن نواحي القصور راجعة إلى كفاءة أنشطة تدريبية ، مثل تحديد التدريبية أو تصميم البرامج أو الطـــرق التدرب.
- رسم أو تقويم سياسة الأجور و الحوافز: إذ تبين نواحي القصور ترجع لأنها من المعنويات و ضعف دوافع العمل بسبب قصور مستويات الأجور و الحوافز عن مستوى اعباء الأداء أو الحوافز المادية ككل تناسب مع معدلات التحســـن في أداء و تعامل الموظف أو الموظفة.
- تخطيط سياسات و برامج الترقية و التدرج الوظيفي: من خلال ما يكشف عنه التقييم من مهارات قيادية و برامج الترقية و تنظيمية تؤهل أصحابها للنجـــاح أعلى معنويا على نفس المستوى أو أعلى معنويا أو ماديا في المستوى الأعلى.
- كشف ما قد يتواجد من قصور في مهارات الاتصال ، و بالتـــالي مســـاعدة المرؤوسين موضع التقييم في التعرف على نقاط الضعف و مجالات التقـــدم ، و إمكانات تلقي الأولى و تعظيم الثانية.
- تشخيص مشاكل الأداء ، فعملية تقييم الأداء بالاستناد إلى مســـتويات محددة للأداء تكشف بوضوح عن نوع المشاكل التي تعترض حسن أداء الأفراد .بمهارة و فعالية لوظائفه ، الشخص يساعد على احتياجات تدريبيـــة و نـــوع المعرفة و المهارات و القدرات التي يحتاج إليها الأفراد، للتغلب على المشـــاكل

الأداء و كذلك يكشف التشخيص عن مدى كفاءة الأفراد ، إن أهمية الهدف تبرز من خلال جعله لعملية التقييم تنطلق من معرفة الأداء الجيد قبل تصنيف الأداء و معرفة نهايته و يضاف إليه ما يلي : [15]

- القيام بعمليات تخطيط الموارد البشرية في الشكل الصحيح في المنظمات.
- تقويم سياسة الاختيار و الانتقاء.
- تقويم سياسة النقل و التعيين و الترقية الإدارية.
- تقويم سياسية التدريب و التطوير.
- تقويم سياسة الحوافز و الأجور.
- تخطيط سياسات و برامج الترقية و التدرج و المسار الوظيفي.

**ثالثاً : نظام تقييم الأداء كأسلوب لتنمية الموارد البشرية :**

تعتبر العديد من المؤسسات الاقتصادية نظام تقييم الأداء من بين الأدوات والآليات الإستراتيجية المتاحة لديها لرسم الخطط و تحديد البرامج المتعلقة بتنمية الموارد البشرية ، أي كل ما يخص التكوين و الترقية و أساليب التحفيز المادية (المنح والعلاوات المرتبطة بالأجر ) و المعنوية كالتقدير و إعطاء الفرصة للمشاركة في اتخاذ القرارات و إبراز المكانة داخل مجموعة العمل.

**3-1 فعالية تطبيق أنظمة تقييم الأداء بالمؤسسة الاقتصادية الجزائرية:**

سعت المؤسسات الاقتصادية الكبرى على المستوى الوطني ، إلى تحيين أنظمة تقييم أداء مواردها البشرية لتتماشى مع متطلبات الإدارة الحديثة و مقتضيات البيئة الخارجية فيما يتعلق بتسيير المورد البشري و تحفيزه وتوجيهه نحو تحقيق الأهداف التنظيمية ، فوضعت هذه المؤسسات جملةً من الإجراءات واللوائح قصد إبراز الأهمية البالغة للعنصر البشري وإعطائه المكانة التي يستحقها ضمن أصول المؤسسة.

و لأجل هذا الهدف ، كانت إحدى المؤسسات الاقتصادية الجزائرية تسعى من خلال الدراسات التي قامت بها بالتعاون مع مكاتب دراسات استشارية وطنية و أجنبية (Hydro-Quebec ) عن طريق ورشات و فرق عمل متعددة المهام équipes pluridisciplinaires و التي تمثلت أهدافها أساساً في : إعادة النظر في نظام تسيير الاستقطاب الداخلي للموارد البشرية و تصميم نظام تسيير الكفاءات Gestion des compétences و إعادة تصميم نظام تقييم الأداء و ربط معاييره بإستراتيجية المؤسسة إلى جانب إعادة النظر في نظام العلاوات و المنح.

ويتضح هذا الاهتمام في الكلمة التي ألقاها الرئيس المدير العام لهذه المؤسسة و التي يشير فيها إلى إعادة الاعتبار إلى دور المورد البشري، حيث يقول : " أصبح لزاماً علينا اليوم و نحن نشهد التغيرات الهيكلية لمؤسستنا ، إعطاء المكانة الأساسية لمواردنا البشرية و ذلك ببعث البرامج الهادفة لتنمية و صيانة طاقاتنا البشرية و اكتشاف المهارات الجديدة **و تقييم مساهمتها** في إنتاج القيمة المضافة لمؤسستنا و رفع التحدي في بيئة متغيرة باستمرار....." [16].

هذه التوجهات كانت محل دراسة ميدانية أجريت بهذه المؤسسة قصد معرفة واقع أنظمة تقييم الأداء ومدى تطبيقها وأثرها في مجالات تنمية المورد البشري و كذلك معرفة أهم المعوقات التي تحول دون الوصول إلى الأهداف المرجوة منها و التي تتلخص أساساً في تطوير الكفاءات البشرية و تنميتها و توجيهها بالشكل الصحيح الذي يضمن تناسق كل الفاعلين و بالتالي تحقيق الثنائية : الفائدة أو الأهداف الفردية في خدمة الفائدة الجماعية l'intérêt personnel au service de l'intérêt général.

لقد تم التركيز في هذه الدراسة على عاملين أساسيين و هما التدريب و الترقية لما لهما من الأثر المباشر على الحياة المهنية للعاملين ،حيث يؤكد جون ماري بيريتي Jean Mari PERETTI على أن " الثنائية "تدريب–ترقية"-formation promotion تشكلان تحدي بالنسبة لإدارة الموارد البشرية و رهان في نفس الوقت للوصول إلى مستويات تسمح لها باتخاذ القرارات المناسبة و الفعالة التي تخص المسار المهني للعنصر البشري".[17]

## 3-2 التدريب والترقية كمخرجات لتقييم الأداء بالمؤسسة الاقتصادية الجزائرية

تبنت هذه الدراسة فرضيتين أساسيتين تمت صياغتهما على أساس الخبرة المهنية لصاحب البحث التي سمحت له بالاحتكاك الدائم بالفاعلين في عملية تقييم الأداء ، سواء من العاملين الخاضعين للتقييم أو الإطارات المكلفة بهذه العملية ، كما ساهم الاطلاع على بعض الدراسات السابقة بالإلمام بالجوانب المهمة في الموضوع ، فكانت صياغة هذه الفرضيتين على الشكل التالي :

- تعتمد برامج التدريب على نتائج عملية تقييم الأداء بالمؤسسة الاقتصادية (محل الدراسة).
- تخضع عملية الترقية لنتائج عملية تقييم الأداء بالمؤسسة الاقتصادية (محل الدراسة).

و انطلاقاً من المعطيات الميدانية المتحصل عليها من خلال هذه الدراسة و بعد إختبار المؤشرات الأكثر دلالةً على متغيرات الفرضيتين ، اتضح أن تطبيق إجراءات نظام تقييم الأداء في هذه المؤسسة لم ترقى إلى مستويات تنظيمية تسمح بالربط بين مدخلات النظام (معايير الأداء) و مخرجاته (تنمية المورد البشري ، على وجه الخصوص) ، حيث بينت النتائج فيما يخص مؤشر الحضور لعملية التقييم أن 69,84 % من مجموع العمال المستجوبين البالغ عددهم 126 (عينة البحث) لم يتم إستدعائهم لحضور عملية تقييم أداءهم[18] ، و هو ما يشكل مؤشر غير صحي

بالنسبة لإدارة هذه المؤسسة باعتبار أن مشاركة الأفراد العاملين في هذه العملية الحيوية ستحرك كل العناصر المكونة لنظام تقييم الأداء و يدفعه نحو تحقيق أهدافه.

كما خلصت هذه الدراسة كذلك ، فيما يتعلق بالتدريب (باعتباره أحد مخرجات نظام تقييم الأداء) على أنه لا يتم اتخاذ نتائج تقييم الأداء كقاعدة معلومات يتم الاعتماد عليها في إعداد برامج التدريب ، حيث أظهرت بعض النتائج الإحصائية أن 73,91 % من المبحوثين أجابوا أنه لا علاقة للتدريب الذي تلقوه بالوظيفة التي يشغلونها [19] و هو ما يوضح الخلل الموجود على مستوى تطبيق إجراءات التقييم و استغلال نتائجه كأداة علمية و عملية توفر لإدارة الموارد البشرية المعلومات الكافية عن الاحتياجات التدريبية و حالة المورد البشري داخل المنظمة و مستويات الكفاءة في إنجاز المهام مقارنةً بالأهداف المسطرة.

من جهة أخرى ، تؤكد المعطيات الإحصائية المتحصل عليها ميدانياً أن الاستفادة من الترقية في المنظمة المذكورة لا تخضع لنتائج عملية تقييم أداء المورد البشري ، أي أن الترقية باعتبارها وسيلة لتنمية المورد البشري لم تأتي كأحد مخرجات نظام تقييم الأداء ،حيث أظهرت الجداول الإحصائية أنه من بين 45 عامل في المؤسسة محل الدراسة الذين تقل أقدميتهم عن 5 سنوات (وهي الفئة الأكثر شيوعاً في مجتمع البحث) ، يوجد 29 عامل لم يستفد و لا مرة من الترقية أي ما يمثل نسبة 64,45 % . [20]

كذلك توصلت الدراسة إلى أن 57,14 % من المبحوثين يرون أن عامل الأقدمية هو المعيار الأساسي في تحديد الاستفادة من الترقية. بيمنا يأتي في المرتبة الثانية و بنسبة 30,16 % الذين أجابوا بأن العلاقات الشخصية هي التي تحدد طريقة الاستفادة من الترقية السنوية. [21]

انطلاقاً من مجموع هذه المعطيات و أخرى تم تأكيدها ميدانياً ، توصلت الدراسة إلى أنه لا يوجد إرتباط مباشر بين نتائج عملية تقييم أداء المورد البشري بهذه المؤسسة و برامج التدريب و الترقية بها [22]، و هو ما يشكل انقطاعاً une rupture في السيرورة العملية لهذا النظام.حيث تبين أن تدخل بعض العوامل غير الموضوعية ، كعامل الأقدمية في المؤسسة و كذلك العلاقات الشخصية أسهم في تكوين هذا الوضعية المبهمة situation de chaos في النظام بأكمله ، و التي تعيق التغذية العكسية Feed back التي تساهم في تأقلم نظام تقييم الأداء مع بيئته التنظيمية.

**خاتـــمة :**

من هذا المنطلق و اعتماداً على نتائج هذا الدراسة ، يمكن لنا القول أن تنمية المورد البشري في المؤسسة الاقتصادية الجزائرية –العمومية على وجه الخصوص– يبقى رهين حسن استخدام الأساليب العلمية الخاصة بتقييم الأداء و تدريب القائمين عليه و التأكيد على وجوب إعطاء الأولوية لمبدأ الكفاءة و المردودية الفعلية بما يخدم مصلحة المنظمة و الفرد العامل على حد سواء ، خاصةً و نحن نشهد في عالمنا اليوم التنافس الرهيب من قبل المنظمات في الظفر بمكانة متميزة لدى الزبائن و اختراق الأسواق بشتى الوسائل المادية و المعنوية. من جهة أخرى ، جدير بالقائمين على تسيير الموارد البشرية التحلي باليقظة الدائمة و استخدام الحوار الاجتماعي le dialogue social كأداة فعالة في تحقيق الانسجام و الموائمة بين إستراتيجية المنظمة و أهداف العاملين، باعتبارهما طرفي المعادلة الإستراتيجية لأي منظمة تسعى لتحقيق الفعالية.

المراجع و الإحالات :

1- أحمد أبو السعود محمد ، الإتجاهات الحديثة لقياس و تقييم أداء الموظفين ، منشأة المعارف، الاسكندرية ، مصر، ط1 ، ص.56.

2- Barnard Martory,Daniel Grazet: Gestion Des Ressources Humaines, Pilotage Social et Performances, Dunod, Paris,4éme Edition , 2001, P.132

3 - الفضيل رتيمي، المنظمة الصناعية بين التنشئة و العقلانية–الدراسة النظرية،– بتصرف –الجزء الأول،بن مرابط للطباعة ،ط2009،1،ص.135.

4 - المرجع السابق، ص.136.

5- حسن إبراهيم بلوط ،إدارة الموارد البشرية من منظور استراتيجي ، الطبعة 01 ، دار النهضة العربية ، بيروت ،2002،ص.16.

6- عبد الرحمن العيسوي، الكفاءة الإدارية، الدار الجامعية، مصر، 1998،ص.129

7- علي عبد الرزاق جلبي، علم الاجتماع الصناعي، دار المعرفة الجامعية، مصر، 2003،ص.420

8- مؤيد سعيد وعادل حرحوش ، إدارة الموارد البشرية ، مطبعة الاقتصاد ، الكويت ، 1991،ص.14

- Christian Balicco, Les Méthodes d'évaluation en ressources 9 humaines , éditions d'organisation,Paris,2006,P.3

10- عمر وصفي عقيلي، إدارة الموارد البشرية المعاصرة، دار وائل للنشر ، ط1، ،ص.2005 ،ص.363.

11- سعد صادق بحيرى، إدارة توازن الأداء ، الدار الجامعية ، 2004،ص.17.

12- مؤيد سعد السالم ، عادل حرشوش صالح ، إدارة الموارد البشرية مدخل استراتيجي، عالم الكتب الحديث ، الأردن ، 2002،ص.103.

13- المرجع السابق،ص.112.

14- احمد سيد مصطفى ، إدارة الموارد البشرية الإدارة العصرية لرأس المال الفكري، دار الكتاب العربي، القاهرة، 2004،ص 321.

15- المرجع السابق،ص.323.

16- مجلة صدى ، مديرية الاتصالات ، سونلغاز، عدد خاص ، ماي 2001 ، ص1

- Jean marie PERETTI , Gestion des ressources humaines, 71. Ed.Librairie wibert,paris,11ème edition.1997 ,p.83

**18**- نوري محمد، أنظمة تقييم الأداء كأسلوب لتنمية الموارد البشرية في المؤسسة الاقتصادية ،دراسة ميدانية بمديرية توزيع الكهرباء و الغاز ، رسالة ماجستير في علم الاجتماع تنظيم و عمل ،جامعة زيان عاشور الجلفة،**2010**،ص.**223**.

**19**- المرجع السابق ، ص **249**.

**20**- المرجع السابق ، ص **271**.

**21**- المرجع السابق ، ص **272**.

**22**- المرجع السابق ، ص **273**.



## جوانب من المظاهر الحضارية للساحل الفينيقي خلال الألف الثانية: ق. م

------

الأستاذ مريقي طارق – جامعة الاغواط – الجزائر

### 1- الهجرات البشرية نحو الساحل الفينيقي خلال الألف الثانية ق.م :

#### أ- التركيبة البشرية للساحل الفينيقيي:

خلال الألف الثانية ق.م ، في حوالي القرن الرابع عشر كان يسكن الساحل الفينيقي عناصر بشرية متعددة ، كالحوريين ، والحيثيين (1)، إلا أن الساميين كانوا الطرف الوحيد الذي إستطاع أن يسيطر على المنطقة ، في وقت لم تكن العناصر الأخرى تشكل سوى أقليات صغيرة لا تؤثر على أوضاع الساحل الفينيقي ، والسبب في هذا التنوع يرجع بالدرجة الأولى إلى الموقع الإستراتيجي الذي تتمتع به المنطقة ،الذي يتوسط الشرق و الغرب و الجنوب و الشمال وهي منطقة كانت آهلة بالسكان ، ولو أنه في الواقع يلاحظ أن هذه المنطقة الفينيقية كان يسودها العنصر الإيراني أو الشرقي و لم يفد عليها العنصر الشبيه بالأرمنيين إلا خلال الألف الثانية ق م(2) وهو ما يجعل الإستنتاج يؤدي بنا إلى اعتبار أن كل تلك الأقوام تكون قد نزحت الى فينيقيا من مناطق مجاورة لها ، وفي مقدمتها العنصر السامي الذي كان سائدا في موطنه الأصلي بجنوب شبه الجزيرة العربية ، و الذي بدأ في النزوح نحو الشمال ، باتجاه البادية ثم التقدم نحو الشمال أكثر فأكثر وذلك منذ وقت مبكر يرجع إلى حوالي الألف الرابعة ، واستطاع التفوق على السكان الذين سبقوهم الى الاستقرار بها ، وأخضعوها لسيطرتهم ، وتم إندماج الجميع في وحدة

---

S.Moscati .L'orient Avant Les G recs,PUF,paris 1963,p,228. - [1]

[2] - موسكاتي سابتينو. الحضارات السامية القديمة , ص, 50.

بشرية واحدة مما أدى ،مع مرور الزمن ،إلى تغلب الطابع السامي عليها وأدى بها تفوقها ذلك إلى تأسيس إمبراطوريات عظيمة لهم في الشرق الأدنى كان على رأسها بابل، و أشور ببلاد الرافدين .

**ب– الهجرات السامية نحو الساحل الفينيقي:**

وقد سجل التاريخ لهذه الأقوام السامية عدة هجرات متتالية(**أنظر الملحق رقم**(**1**) عبر فترات زمنية مختلفة إبتداءاً من الألف الرابعة ق م ، ذلك أننا نلاحظ أنه في حوالي سنة 3000 ق م تم استقرار الكثير منهم في الصحراء ، و لم يأت عام 2500 ق م حتى كانوا يعيشون في مدن تحيط بها الأسوار [1]

بدأت هذه المرحلة المبكرة إبان بدء العصور التاريخية حيث بدأت الهجرة الكنعانية من السواحل العراقية للخليج العربي وضفاف الفرات الجنوبي ،وربما اتخذ مسار هذه الهجرة طريقين : الأول مع نهر الفرات صعودا ، ثم الاتجاه إلى السواحل الفينيقية الشمالية وتأسيس المدن الفينيقية أما الهجرة الثانية فكانت براً باتجاه فلسطين مباشرة ، وقد استقر المهاجرون في مدن ساحلية وداخلية ، ونرجح أن يكون استقرارهم في المدن الداخلية هو الأقدم ثم نزحوا منها وأسسوا المدن الساحلية الفلسطينية ،في حين استقرت الهجرة الأمورية في المناطق السهلية شرق نهر العاصي والليطاني في سوريا ولبنان وفي شرق نهر الأردن ، أما الهجرة الأرامية فقد اتخذت لها من جبال العراق وسوريا مستقراً لقرون طويلة ، ثم حلت محل الأموريين في سوريا بشكل خاص وحول ضفاف دجلة والفرات[2] .

---

[1] – برستيد هنري جيمس ، إنتصار الحضارة، دار الشرق القديم ،ترجمة أحمد فخري مكتبة الأنجلومصرية،القاهرة، 1969،ص، 115

[2] – موسكاتي سابتينو، الحضارات السامية القديمة ، ص ،51.

وقد حملت هذه الهجرات العناصر المعروفة بالكنعانيين في فلسطين و ساحل سوريا و استوطن آخرون في الشمال الشرقي ، وفي الشرق من الهلال الخصيب ، من بينهم الأكديون ثم العموريون و استمر توافد تلك السيول البشرية الكبيرة حتى النصف الثاني من الألف الثانية ق م و التي جاءت بالأنباط إلى سوريا ، وهو الأمر الذي جعل من الصحراء ما يشبه خزان ضخم للبشر مثل مصدر إمدادات مستمر للهجرات السامية الأولى ، مما عزز موقفهم في البلاد باستمرار ، عكس العناصر الهندوأوروبية التي لم يكن لها وزن في المنطقة .

نرى أن المدن الفينيقية الشمالية قادرة على الإفصاح عن اسم الكنعانيين الذي وفدوا به إلى فينيقيا ،فنحن نجد هذه المدن مثل (رأس الشمراء) تحمل الاسم العتيق جداً للكنعانيين[1].

ولا شك أن الأقوام المهاجرة لم تجد أرضاً بكراً في فينيقيا ،فقد كانت الأقوام التي ظهرت في العصرين الحجري(النيوليت) والمعدني (كالكوليت) قدكونت دويلات محلية خاصة بها خصوصاً في تل المريبط وتل الرمد ومنطقة المنحطة والبيضاء وغيرها...، وهكذا اندمجت الأقوام المهاجرة مع الأقوام المحلية وبدأ عصر المدن في فينيقيا [2].

واختلفت أسباب نزوح تلك الأعداد الهائلة من الساميين نحو الشمال ، ولكن أساسها يعود بالدرجة الأولى للظروف الطبيعية وعوامل الجفاف التي عمت بالمنطقة وأدت بدورها إلى تجريد المنطقة من كل اهمية اقتصادية مما

---

[1] ــ خزعل الماجدي ،المعتقدات الكنعانية ,ط1,دار الشروق للنشر والتوزيع,عمان2001,ص,24.

[2] ــ أذزارد وآخرون،قاموس الآلهة والأساطير في بلاد الرافدين وفي الحضارة السورية,ترجمة محمد وحيد خياطة,مكتب سومر,حلب,السليمانية1987,ص,144.

قلل الفرص أمام الكثيرين في العيش ولو أنه توفرت مناطق ضيقة انحصرت في أطراف السواحل الطويلة للبحر الأحمر و الخليج ، إلا أنها لم تكن قادرة على أن تفي بحاجة السكان الغذائية ، ونظراً للقرب الموجود بين منطقة فينيقيا و الصحراء ، وبموجب الاتصال الذي كان يحدث بين شعوب المنطقتين بسبب عملية الترحال ، التي يقوم بها سكان الصحراء بحثا عن الكلأ لمواشيهم ، فإنه ليس من شك أن تكون هذه البلاد قد أصبحت محل إغراء لسكان الجنوب الساميين الذين كانوا في معظمهم بدوا رحلا ، وخاصة بادية الفينيقيين القريبة منهم، التي مثلت موضوع جذب ودفع عندما اصبحت بدورها غير قادرة على أن تفي بحاجة تلك الأعداد الضخمة الوافدة عليها ، التي لم تكن أمامها إلا حل وحيد وهو التقدم نحو مناطق أخصب في الشمال .

وعلى الرغم من المشاكل و الصعوبات التي وقفت أمامهم وحالت دون استقرارهم إلا أنهم استطاعوا تثبيت أنفسهم في تلك المناطق الجديدة نظرا لعوامل عدة ساعدتهم على تحقيق ذلك و التي يعود أهمها إلى الإمدادات البشرية التي كانت تدعمهم بين الحين والآخر،والتي حملت نفس المميزات ،سمحت للجميع بالتجاوب بين المستقرين والوافدين ، حيث يأتي على رأسها الجانب اللغوي الذي يبدو فيه تشابه كبير في أصوات وصيغ وتراكيب ومفردات لغاتها مما يجعلها ذات أصل مشترك ، وينفي بذلك كل فرضية اقتباس فيما بينها عبر التاريخ ،يضاف إلى هذا الشبه في النظم

الاجــتماعية والــدينية لتلك الشعوب السامية ،إلى جانب كونها تؤلف كتلة واحدة على الصعيد الجغرافي ثم اشتراكها في أصل حضاري تاريخي واحد[1].

وكــما عاشت معظم هذه الشعوب في الصحراء لا تعرف الاســتقرار إطلاقاً ،تنــعم بحياة حرة مــطلقة ،تضرب خيامها أينما شاءت تعتمد على السائمة والغزو ولا تعرف للتمدن سبيلاً ،تتنقل مع قطعان أغنامها ،تقصد بعض مدن الهلال الخصيب لشراء الثياب والأدوات وتعلمت بذلك نقل السلع من مكان إلى آخر ،فأصبحت الناقلة للتجارة بين مدينة وأخرى [2] ،ثم سيطرت على تلك التجارة وأوصلتها الى لمختلف المناطق في الصحراء .

وفي المجــال الديني لم تنشأ لديهم الديــانة إلا في الواحات الرملية وكانت ذا معتقد وثني لا أكثر فعبدت النجوم ،والأحجار والأشجار والأماكن وغيرها ،والمهم هو أن هؤلاء البدو القادمين من الصحراء اختلف اندماجهم في المجتمعات التي وصلوا إليها فمنهم من ترك الأساليب التي كانوا يعيشونها ،وفكروا في حياة أفضل كالأشوريين ،والبابليين ولكن آخرين كالعرب والعبرانيين إحتفظوا طوال تاريخهم بالعداء لكل صورة من صور الحكم المطلق[3].

**ج– هجرات الهندو اوربين نحو الساحل الفينيقي:**

وكــما ذكرنا من قبل فإن العنصر السامي لم يكن وحده السائد في بلاد الشام وإنما وجدت إلى جانبه عناصر ذات أصل هندو–أوربي ،يبدو أنها قد نزحت من أوربا عبر البسفور أو أنها انــتقلت مباشرة من آسيا نحو الشرق الأدنى ،إلا أن اصلها الحــقيقي ،أو موطنها الأول يبقى مجهولاً بالرغم من الدراسات الكثيرة التي

1 - سباتينو موسكاتي. الحضارات السامية, ص ص, 44–49.
2 ــ برستيد جيمس هنري.المرجع السابق,ص،154.
3 ــ نفس المرجع,ص،58.

أدرجت حول الموضوع ،فهناك من ذهب إلى القول أن أصلها من "بامير" بأواسـط آسيا "طاجاخستان" اليوم ثم هاجرت نحو إيـران أو الهند أو أوروبا في حـين يرى البعض الآخر أن أصلها من أوروبـا في نواحي بحر الـبلطيق ،وربمـا اسكندنـافية ،إلا أن غيرهم أعاد موطنها الأصلي إلى روسيـا الجنوبية من الدانوب والفولغا ،أما من الناحية الأنثروبولوجية فيرى الكثير من العلماء ،أن روسيا الوسطى الجنوبية والشرقية و سيبيريا الـغربية هي مهد للسلالة الـنوردية ذات الـرأس الممـدود في العهد الباليوليتي حيث تحولت منهـا جماعات لتحتل منطقة البلـطيق وألمانيا وأسكندنافية بعد أن إنحصر عنها الجلـيد ويـأخذ البعض ، النورديين كـمقياس لمعرفة الهنـدوأوروبيين الأصليين غير أنه من النـاحية الأثرية لوحظ في المنـاطق بين روسيـا الجنوبية والدنبير والأورال في المـرحلة الباليوليتية إشعـاع حضاري عرفـت بحضارة "تمولي"، "Tumuli" من صنع عنـاصر ذات رؤس ممدودة أكـتشفت في قـبورهم بـقايا أحـصنة وعربـات ،وهو الحـيوان الذي دجنه الهندوأوروبـيين بعد أن اضـافوا إلـيه العربة[1].

وبعد كل هذه الإحتمالات والأدلة التي أدرجت حول أصل وموطن أولئك الهندوأوروبيين فإن الإحتمال الكبير يبقى منصبا على آسيا الوسطى ،كمنطقة عاش فيها أجداد الأوروبيين والفرس وأروبي الهند ،وأستدل على ذلك بما وجد بين لغاتهم من تشابه مثلما كان عليه الحال أثناء تطرقنا للعنصر السامي حيث أنه من أهم مميزات التشابه اللغوي بين جماعاته .

---

**G.FOUGERES.et WITRES.Les premieres civilisations - [1] libr ,feliy hlean,2edit,paris1929,pp,124-127.**

هذا ويمكننا الإشارة إلى أنه عند وصولهم إلى الشرق الأدنى تمركزوا في بداية الأمر في العراق وكونوا ما يعرف بالسوماريين ،خلال الألف الثالثة ق.م.

أما في الساحل الفينيقي أثناء الألف الثانية ق.م فلم يكونوا يمثلون إلا ثلة قليلة بالمقارنة مع سكان مناطق الجنوب أو الشرق للوصول الى السيطرة على الهلال الخصيب ، إلا أن الساميين كانوا أكثر إستعداداً وقوة للاحتفاظ بفنيقيا ،ولو بالتعاون مع من هم أقرب منهم صلة كالمصريين مثلا قبل أن تظهر الدولة الأشورية وتضم كل منطقة الشرق الأدنى إلى نفوذها تقريباً وهو الأمر الذي حرم الهندوأوروبيين من الاستقرار في المنطقة [1].

## 2– أوضاع الساحل الفينيقي السياسية أثناء الألف الثانية ق.م :

طبع الحياة السياسية بالساحل الفينيقي خلال معظم فترات الألف الثانية الإنقسام و التفرق بين سكانها ، مما أدى إلى سيادة ممالك المدن خلال تلك الفترة الزمنية فتنافست فيما بينها من أجل إمتلاك أكبر مساحة ممكنة ولو إن هذا الوضع اوحت به ظروف معينة يأتي على رأسها الظروف التضاريسية التي صعبت الإتصال بين أبناء البلاد وبين مختلف مناطقها وهذاانعكس بدوره سلبيا على حياة شعوبها حيث أدى إلى إختلاف ميول أهلها إلى جانب وجود مشكل تمثل في اختلاف قومياتها القليلة أحيانا ، وهو ما صعب الأمر أمامهم في تكوين إمبراطورية موحدة على غرار ما فعله جيرانهم ويمكننا إستخلاص ذلك بسهولة عند إلقاء نظرة سريعة على الوضع الجغرافي للبلاد ، و الذي يظهر من الوهلة الأولى ومن خلال السهل الساحلي الذي تركزت به أهم الوحدات السياسية التي كانت نموذجا واضحا للوضع السياسي العام السائد في البلاد المتمثل في ممالك المدن المستقلة

---

[1] – أدوفن بفن. ما بين النهرين ,ترجمة أنستاس ماري الكرملي ولويس مرتين الكرملي,دار المعارف,بغداد 1961,ص،31.

المحصنة وهي ظروف كانت تتناسب ورغبة الأهالي الذين لم يفكرو في البحث عن الوحدة في أغلب الأحيان ولو أن الطبقات الأرستقراطية بدورها والتي كانت تتولى أمور المدينة عملت على استمرار مثل هذه الأوضاع لتحقيق أغراضها ، أطماعها ، في الوصول إلى الحكم ، ذلك نجد أن هذه الممالك قضت معظم حياتها تحت نفوذ دولة شمالية أو جنوبية أي دول بلاد الرافدين أو مصر ولم تذق الإستقلال إلا في فترات ضعف الإمبراطوريات العظمى في المنطقة [1]

ومهما يكن من أمر تلك الممالك فإن معظمها انطلاقا من شمال الساحل السوري حتى جنوب فلسطين كانت تتبع نفس النظام السياسي تقريبا الذي أطلق عليه " موسكاتي " مصطلح "الدول العازلة" [2] ( Etats Tampons) المحصورة بين قوى عظمى أقوى منها حيث اختلفت فيما بينها من حيث الأهمية و التنظيم و القوة و الإزدهار إلا أن أصحابها حرصوا على تحصينها بالأسوار و الأبراج و تعاملوا مع سكان الأرياف إقتصاديا في فترات الحرب فتعددت بذلك وظائفها بالنسبة لهم .

وعند محاولة تحديد نظام حكمها الذي كان ملكيا طبعا ، فإننا عادة نجد على رأس المدينة ملك وراثي يتمتع بالسلطة المطلقة وإلى جانبه مجالس ذات نفوذ معتبر في تسيير شؤون البلاد،وكان أهمها مجلس الشيوخ ، ومجلس القضاة [3] . و كان معظم أعضائها من الأغنياء مما يجعلنا نقول أنها كانت تمثل نفوذ الطبقة الغنية في المملكة في وقت لم يكن فيه للشعب أي إعتبار يذكر تقريبا في الإشراف على توجيه سياسة البلاد ، وعلى كل فإن هذه الممالك لم تحاول المغامرة في سياستها

---

[1] - هنري لامانس السواحل اللبنانية,مجلة المشرق,السنة السابعة العدد20ص،948.

[2] - J. Auboyer. et Andre Aymar . Histoive General de curlisation . p.u.f.paris 1963 p 223

[3] - Opcit p, 223

الخارجية و التطلع إلى توسيع نفوذها أو حدودها وإنما اكتفت بالعمل على الدفاع عن نفسها بالمبادرة إلى تكوين فرق من الجيش المختلفة في حجمها ،من أبناء المدن والمناطق المجاورة لها ، مجهزة بأسلحة عادية كالسيف وربما العربات التي كانت قليلة الاستعمال والرماح والدروع ،والفرسان ولو أن هذه الفرق العسكرية لم تكن في الحقيقة قادرة على تأدية وظيفتها على أحسن وجه أمام الجيوش الجرارة المصرية أو الحيثية وغيرها من جيوش بلاد الرافدين ،وهو ما دفع بها في كثير من الأحيان إلى تكوين أحلاف دفاعية مؤقتة ،لا فاعلية لها مثلما كان الحال في معركة "مجدو" أمام الفرعون "تحوتمس الثالث" الذي تحالف ضده أكثر من 350 أمير وملك من فينيقيا [1] ،ويلاحظ أن معظم تلك الجيوش كانت تدعم بالمرتزقة عند الضرورة وأدى التنافس بين هذه الممالك إلى استغلال تلك الفرق في غير محلها ضد بعضها البعض حيث تصادمت في أحيان كثيرة إلا أن ذلك الصراع لم يتخذ في يوم ما طابع الاستمرارية وإنهاك القوى مثلما كان عليه الحال بين المدن الإغريقية "أثينا"و"إسبرطا".

وقد نال الساحل الفينيقي مكانة خاصة لدى المصريين وعرفت عندهم باسم بلاد "الرنتو" وعند انتهاء ثورة "أخناتون" كانت هذه المنطقة مقسمة إلى قسمين : القسم الأول يضم بلاد سوريا ويطلق عليه "اللوتانو الأعلى" وكانت بيد الحيثيين و"اللوتانو السفلى" وشملت فلسطين وأقصى جنوب سوريا وكانت بيد العموريين والخابيرو [2] ،الذي يحتمل أنهم نزحوا من بلاد الرافدين في منتصف الألف الثانية حيث تسللوا إلى مناطق النفوذ

---

[1] - فليب حتي.تاريخ سوريا ولبنان وفلسطين ,ص،140.

[2] - A. Moret.Des clans Aux Empires-la renaissance du livre, paris1923,p, 354.

الحيثـــي ثم وصلوا إلى سوريا وفلسطـــين [1] ، وانخرطوا في جيـــش من يعرض علـــيهم أكبر قـــدر من المـــال ولو أن هدفـــهم كان يرمي بالدرجة الأولـــى من خلال كـــل هذا النشـــاط إلى الوصـــول للاستقـــرار ويحتمل الـــبعض أن يـــكون أولئـــك الأقوام أجداد العبرانيـــين فهم بذلك أصلا ســـامبين .

وفي النـــاحية الشمالية الشرقـــية للساحل الفينيقـــي كانت تمتد إمبراطورية "ميتاني" الـــواسعة في المنطقة المعروفة لدى المصريين باسم "نهـــارينا" وقد توسعت فـــي بلاد "خاطي" و"أشور" وهو ما جعل هذه الدول تفكر في الثأر لنفسها[2] ،وهو الأمر الذي دفع دولة ميتاني إلى البحث عن حليف يكون قادرا على نجدتهاوالمحافظة على مناطق نفوذها، فكانت الدولة المصرية آنذاك أولى بذلك حيث أتاح للفرعون فرصة التدخل بإعتبار نفسه حامي هذه البلاد ، وهو ما وسع في دائرة نفوذه ببلاد آسيا إلا أن انحطاط القوة المصرية في عهد "أمينوفيس الرابع" أتاح للحيثيين فرصة الانقضاض عليها وإدخالها تحت سيطرتهم ولم يكن لوجود القوة المصرية بالمنطقة إلا اسمياً ،وما يجب معرفته عن هذه الدولة هو أن الحوريين إعتبروا مؤسسيها ، واتخذت "واسوفاتي" على "الخابور" [3] عاصمة لها وموقعها اليوم ربما الفخارية .

وبما أن الساحل الفينيقي والمناطق الداخلية لسوريا ولبنان وفلسطين التي يتركز عليها بحثنا وكونها نقطة الصراع التي كانت سرحا لذلك الصراع بين

[1] - A. Jirku.Le Monde De La Bible, trad de l'ahlend par lily jumel-Edl cerrea, buch et chstel-paris1958, p,31.

[2] - D. Etienne et Vandirer Jaques.Les Peuples De L'orint Mediteraneen L'egypte-PUF, paris, p,412.

[3] - حتي فليب .تاريخ سوريا ولبنا وفلسطين ,ص،170.

مختلف دول الشرق الأدنى ، فانه يمكننا أن نتطرق إلى أهم تلك الممالك التي كان لها اعتبار بالساحل الفينيقي ويأتي على رأسها :

**مملكة أوغاريت** : أدت الحــفريات الكثيرة التي قــادها الفرنسي *C.F.A shffer*، إلى الكشف عن نصوص كثيرة مكتوبة بالأكادية والمصرية والحيثية ، بها مجموعة معتبرة من النصوص تحتوي ملاحم وأساطـــير ،ووثائق أخرى إدارية ودبلوماسية ودينية★ [1] وجميعها يدل على علاقات متنوعة مـــع العالم المجاور لها الذي لم ينقطع يوما في الاتصال بها سواء عن طريق البر أو البحر وهو الأمر الذي أكسبها إرثا تاريخيا غنيا جدا بين مدن الساحل الفينيقي .

وفي عام 1953م كشف عن وثائق لملوك أوغاريت و أورشليم موجهة إلى ملوك الحيثيين وغيرهم...[2].

تعد أوغاريت من اقدم المدن الفينيقية وأهمها ،بحكم موقعها الجغرافي الذي يجعل منها مدينة تجارية تقع في ملتقى المواصلات بين الحيثيين وبلاد الرافدين ومصر وقبرص والمدن الاغريقية والواحات العربية في الصحراء [3] ،وانطلاقا من الدور الذي لعبته خلال الألفين الثالثة والثانية ق.م ،في فترة إحتدم الصراع بين القوى الكبرى حول إمتلاك فينيقيا ،إستطاعت أن تتصدر الريادة بين دول فينيقيا ،بسبب جرأة سلالتها الحاكمة ،بالاخص في عهد "نقمادوا" ،الذي كان بارعا في الحفاظ على إستقلال بلاده [4] . ورد ذكــرها في نصوص مدينة "ماري" التي

---

* تم تفسير النصوص المتعلقة بحفريات رأس الشمراء من طرف كل من الفرنسيين DHORME (E)وVIROELLAUD

[2] - موسكاتي سباتينو .تاريخ الشعوب السامية, ص،119.

[3] - Encyclopaedia Universales ,vol 16 France ,SA ,1980,p,446 .

[4] - J, Boulous .les peuples et les civiisations du proche orient TI,mouton et co,paris1961,P,98 .

تعود الى الألف الثالثة ق.م ،وألواح بوغازكوي وتل العمارنة ويحتمل أنها كانت مـــأهولة منذ الألف الخامسة ق.م ، لـــكنها لم تبلغ ذروة الازدهــــار الا في الألـــف الثانـــية ق.م [1] بالاعتمـــاد على الـــصناعة الـــفخارية [2] جعلت أهميتها الإقتصاديـــة محط أنظار الغزاة مما عرضها للتخريب عـــدة مرات ،كـــما إستطاعت أن تجـــذب إليها الـــناس من المـــناطق المجـــاورة ،خـــاصة المدن اللبنانـــية كالـــصيدونيين والجبيليين الـــذين عملوا كـــوسطاء بينها وبين بـــلاد الـــرافدين والبحر المتوسط .

ومنذ الفترات الأولى لبروز الحيثيين على الساحة السورية ،سارعت إلى التحالف مع ملوك مصر لحماية نفسها من أي تهديد حيثي قد تتعرض له ،مع حرصها الكبير على إستمرار علاقات جيدة مع جيرانها في كريت وبلاد الرافدين .

وخلال القرن 17ق.م ،تعرضت للهيمنة الحورية لمدة قرنين من الزمن تقريبا ،وأثناء غزو الهكسوس لمصر تراجعت تعاملاتها مع جيرانها حتى سنة 1580ق.م ،تاريخ عودة النفوذ المصري إلى سوريا فجدد الأغاريتيون التفاهم مع المصريين ،الذين كانوا يفرضون عليهم أحيانا إقامة مخيمات لهم داخل المدينة ،وبذلك إستفادوا من التواجد المصري خلال القرنين 14،15 ق.م فعرفت عندها أوج إزدهارها وتوسعها التجاري ،كما إزدهرت بها صناعة النسيج الأرجواني الذي إشتهر به الفينيقون في شرق المتوسط [3] ، ولقد قدمت للعالم أول أبجدية عالمية مكونة من 30 رمزا ستكون أساس الابجديات الأخرى.

---

1 - A, Jirku .Le monde de labible,trad W .J,ed correa buchot ,paris1958 ,p,29 .

2 - Armand Daniel ,op cit ,p,174 .

3 - حتي فليب.تاريخ سوريا ولبنان ,ص،140.

خلال منتصف القرن 14 ق.م أصبحت لأوغاريت سلالتها الحاكمة الخاصة بها ويعتبر "نقمادوا" أهم ملوكها آنذاك ،وقد إستطاعت هذه الشخصية أن تحافظ على إستقلال بلادها بدفع الضرائب للملك الحيثي "شوبيلوليوما" ونجحت بذلك في الدفاع عن نفسها في حالة إعتداء أحدهما على الآخر غير أنها كانت أكثر جنوحا لمصر [1] .

ونــظرا للوضعية التي كــانت عليها اوغاريت سارعت كل من الدولة المصرية ونظيرتها الحيثية إلى إستغلال قوتها العسكرية وأهميتها التجارية والإستراتيجية وأقامت معها أحلافاً عسكرية مثلما كان عليه الحال مع المصريين ،خلال منتصف القرن 15ق.م ،حيث كونت معها حلفاً دفاعياً باشتراك دولة "ميتاني" وهي الفترة التي ساعدت على توفير فترة الاستقرار أدى إلى تطورها بدرجة كبيرة خاصة عمرانيا ونشط تعاملها التجاري مع المناطق المجاورة في كريت وقبرص ولعبت دور الوسيط بين مختلف مناطق شمال فينيقيا ،وبعد العودة التدريجية للنفوذ المصري في فينيقيا دخلت اوغاريت من جديد في دائرة النفوذ المصري ،وعاد نشاطها البحري للازدهار من جديد ،فتزايد تمركز الجاليات الكريتية والأيجية بها ، كما دلت على ذلك صناعة القبور التي عثر عليها في أوغاريت [2]، وخلال القرن 13ق.م ،تعرضت لهجوم شعوب البحر التي كانت سببا في إنهيارها فكان مصيرها نفس مصير جيرانها في آسيا الصغرى والساحل الفينيقي ، وبذلك أفل نجمها وفقدت دورها البارز التي كانت تعرف به .

وحتى إذا كنا نقر بالأهمية الكبيرة للدور الذي لعبته أوغاريت ،إلا أن الواقع السياسي للمدن الفنيقية آنذاك كان يعطي مظهرا حقيقيا للتفرقة ،مما أضعف

---

[1] ــ دروزة محمد عزة.تاريخ موجات الجنس العربي ,المكتبة العصرية,لبنان ,ص،**162.**

[2] ــ نفس المرجع,ص،**79**.

جانبها وجلب إليها أطماع القوى المتنافسة ،ثم أن تلك الوضعية كانت إنعكاسا لواقع البلاد الذي يوحي بدوره بالانقسام بين أبناء البلد الواحد ،فلم يفلحوا في تكوين دولة موحدة على غرار جيرانهم في مصر وخاتي ،وأكتفوا بالتبعية لغيرهم في أكثر الأوقات [1]

و لم تكن أوغاريت المملكة الوحيدة بالمنطقة ولكن على العكس فقد وجدت إلى الجنوب منها وإلى شرقها ممالك مدن عديدة ، وجدت خاصة منها إلى الجنوب على الساحل "مملكة جبيل" التي إشتهرت عبر تاريخها القديم خلال الألف الثاني بعلاقتها الجيدة مع مصر حتى أثناء الغزو الحيثي لها فإنها ، لم تغير سياستها إتجاه مصر. إلى جانب اهميتها الاقتصادية ،حرصت مصر على الحفاظ عليها طويلا وحمايتها .ووجدت إلى جانبها عند سفح جبل لبنان طرابلس ،والبترون ،وبيروتوس وصيدا وصور،وسميرا وأرواد ، وفي فلسطين غزة ،وعسقلان وهي معظما تقريبا ممالك فينيقية .

وأثناء تقدم الحيثيين في الساحل الفينيقي أشارت رسائل تل العمارنة إلى مدن وممالك كثيرة وقد جاء معظم تلك الرسائل من ملوك جبيل ،وصور ،ونخاس والقدس ،وقطنا وصمير،وتونب (بعلبك)، ارسلوا خلالها رسائل طلبات الأستنجاد إلى الفرعون "أخناتون" ضد الخطر الحيثي وحليفهم العموري "عبد عشتار" وإبنه "عزيرو" كما ذكر "سيتي الأول" أنه اخضع أسد رالون (مرج بن عامر) وينعم ،وشنيب ،أما "تحوتمس" فقد تصدى بدوره أثناء معركة "مجدو" إلى ملوك مدن (مجدو ،وينعم وأينوم ،وحرنكه ،وأبقى ،ويحما ،وتايمن ،وسوكا ومحل وتبعل) [2] وهي في معظمها مدن داخلية والتي يمكننا أن نضيف إليها مدن :جزر ،ولاكش

---

1 - A. Cyrile ,L'Empire des pharans,ed Fayard,paris1980,p,155 .

2 - دروزة محمد عزة. تاريخ موجات الجنس العربي,ص،108.

وهازور،شاكي أورشليم ،وقرقميش ،وحلب ،وقطنا ،ودمشق ،وغيرها كثير لايمكن حصرها في بحثنا هذا .

**أوضاع الساحل الفينيقي الإقتصادية خلال الألف الثانية ق.م:**

ان التضاريس والمناخ المتوسطي الذي يتوفر عليه الساحل الفينيقي من أراضي سهلية خصبة ،خاصة في الناحية الغربية والوسطى منه حيث تمتد سهول البقاع والسهول الساحلية ،وإلى جنوبها سهول فلسطين التي تتميز بخصوبتها و وفرة إنتاجها الزراعي وكثافة نشاطها البشري ومن جهة اخرى فان الامتداد الكبير للساحل الغربي الواقع الى الشرق من البحر المتوسط ساعد كثيرا من الاهالي في الاتجار والاتصال بغيرهم من شعوب البحر فتكونت بينهم علاقات تجارية في نفس الوقت الذي أصبحوا فيه بمثابة حلقة وصل بين الشرق والغرب مما نتج عنه تركز ثروات طائلة بأيديهم(1) .

و بدوره فإن المناخ المتوسطي الذي يتميز بالاعتدال أوجد أمام السكان ظروف حسنة لممارسة نشاطاتهم الإقتصادية حتى أصبحت فينيقيا وما إكتسبته من أهمية إقتصادية محل إغراء لكل جيرانهم وهو ما دفع كذلك أشهر فراعنة الأسرة الثانية "خوفو" و"خفرع" إلى الإهتمام بالمنطقة مبكرا حيث جلبوا منها أخشاب الأرز الممتازة لبناء معابدهم المتمثلة في الاهرامات وإستمر الأمر نفسه عند وصول "سيتي الأول" إلى الحكم وإعادة فرض سيطرته على الساحل الفينيقي، حيث أشارت الأثار المصرية إلى قيام بعض ملوك الجبل بلبنان مرة أخرى بقطع

---

J, Boulous .op cit,p,31-32. - [1]

الخـــشب وإرســـاله إلى مصر كـــضريبة [1] وربما كان الخشب أهـــم مورد دفع المصريين إلى تـــوطيد علاقتهـــم مع جـــبيل وسوريـــا ، كما تميزت بادية فنيقيا بوفرة مراعيها مما ساعد على تطوير تربية الماشية ودفع البدو والرعاة الى النزوح اليها بأعداد كبيرة بـــعد أن وجدوا فيها ما يـــكفي لماشيتهم من مراعي ،وهـــي نفس الأهـــمية التي مـــازالت تتميز بها ، حيث تجلب في فصل الربيع عند بـــروز الإخضرار ، أعداداً لا بأس بها من البدو الرعاة .

إن هـــذه الأهمـــية الإقتـــصادية والإستراتـــيجية الهـــامة كاد أصحابهـــا أن يحـــرموا منها في أغلب الأحيان بسبب تحولها الى منطقة تنـــافس بين القوى العظـــمى ،وهذا بـــغرض الإستفـــادة من خـــيراتها ومواردها حيث كثيرا مـــا كان يـــشار إلى المـــنطقة بأنها تفيض بخيراتها الـــتي لا تحصى "فسنوحي" المصري الذي هرب من بـــلاط الفرعـــون سجل في مـــذكراته بـــعد السماح لـــه بالعودة إلى بـــلاده أنـــه عند وصـــوله إلى فينيقيا خصصت له أرض طيبة فيهـــا تين وكروم أكـــثر من المـــاء وكان شعير وقمح وماشية لا عدد لها [2] .

**أ- الزراعـــة :**

ونـــظرا لكون الأرض قـــادرة على أن تجـــود بكل بهـــذه الخـــيرات فـــكان مـــن المؤكـــد ان تنال الـــزراعة نـــصيبا من إهـــتمام الـــفلاح الـــفنيقي ، حيث مـــارسها عـــلى نـــطاق واســـع ، فـــاستغل أرضـــه بادوات مختلفة حيث استعمل الفينيقيون المحراث الخشبي الذي اقتبسوه عن سكان بلاد الـــرافدين و طـــوروه بصناعتهم لمحراث يبذر الحبوب بصورة آلية [3] و استعمل

---

[1] - A . Moret .Des Clans Aux Emdires.p,356.

[2] -حتي فليب.تاريخ سوريا ولبنان وفلسطين ,ص،138.

[3] - مسعود الخوند ، الموسوعة التاريخية الجغرافية ، ج16 ، لبنان ، 2001،ص ، 123 .

المحراث الذي كان يجر بقوة الانسان أو الحيوانات ، ويتألف المحراث البدائي من قطع من الخشب غير مهذبة مجمعة بعضها إلى بعض بأربطة ، وهذا ما دلت عليه النقوش الآشورية باعتبار أن المحراث المستعمل مأخوذ من بلاد الرافدين ، كما دلت النصوص على أن هذا المحراث باذر بدليل وجود ماسورة جوفاء منتهية بوعاء لوضع الحبوب فيه [1]

لقد ظهر اهتمام الفينيقيين بنشاط الزراعة ، وهذا ما نستشفه من خلال الشواهد الأثرية عند الفينيقيين ، وحتى عند بعض الشعوب المجاورة لهم كالمصريين و الإغريق ، إلى جانب إستعمالهم المنجل الصواني[2] ، و قد وجد منجل مسنن مركز في مقبض مصنوع من الخشب أو العظم و قد استعمل في عملية حصاد القمح و الشعير إلى غاية استبداله بالمنجل الحديدي وكان ذلك حوالي 1000 قبل الميلاد ، كما وجدت في حفريات رأس الشمرا معول برونزي [3]

مع الإشارة إلى أن هذا المجتمع الفينيقي كان خلال تلك الفترة من الزمن يتكون في أغلبه من طبقة فلاحية ومستأجرين أحرارا تسمى "خابشي" ( kapishi) [4] وهو الأمر الذي جعل الزراعة ذات مكانة جد مرموقة دفعت بسكانها إلى تسمية آلهتهم بأسماء الأشجار المعروفة في عهدهم ، مثل تامرا (تمر

---

1– جورج كونتو ، الحضارة الفينيقية ، ترجمة ، محمد عبد الهادي شعيرة ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، 1997، ص ، 342 .

2 - أنيس فريحة ، ملاحم وأساطير من أوغاريت ، (رأس الشمرا) ، بيروت ، 1966.، ص ، 22 ..

3– فليب حتي ، تاريخ لبنان منذ أقدم العصور التاريخية إلى عصرنا الحاضر ، ترجمة أنيس فريحة ، الطبعة 3 دار الثقافة بيروت ، 1978، ص ، 123 .

4 ـــ حتي فليب.تاريخ سوريا ولبنان وفلسطين ,ص،93.

النخل) وريمان (الرمان) ،وأتلسا(حب الأتاس) [1] ،والملاحظ أن سكان فينيقيا آنذاك برزوا كثيرا في زراعة الأشجار المثمرة كالزيتون والكروم ،والتين مع إهتمام كبير بتطبيق التجارب الزراعية في بلادهم ، ذلك أنهم أخذوا زراعة الكتان وزراعة الكروم وحفظ الحبوب عن المصريين ، مع الإعتناء كثيرا في الوقت نفسه بتربية الماشية التي إستفادوا من مشتقاتها ، وفي هذا الإطار نقرأ في أثار "تحوتمس الثالث" أنه من بين غنائمه في فينيقيا 40000 رأس من الغنم، و 400 رأس من البقر و120 حمارا و 1000 حصان ، و100كلغ من الجلد [2] .

**ب- الصناعة :**

كان من نتائج إزدهار التجارة في المنطقة تطور الصناعة التي ساعدت كثيرا بدورها على إنجاح التجارة الفينيقية ، حيث تنوعت وبلغت درجة لابأس بها من الجودة ، مما أكسبها رواجا في الأسواق الخارجية والداخلية وإشتهر من هذه الصناعات بناء السفن البحرية المدنية والحربية(**أنظر الملحق رقم(2)**،وصناعة العاج والزجاج وصناعة الأقمشة ،القطنية المصبوغة ،وصناعة الأصباغ ،خاصة اللون الأرجواني مع إستعمالهم تقنيات متقدمة لصناعة الأشياء الفاخرة ولو أن تلك الصناعة لم تكن بعيدة إطلاقا عن التقليد خاصة منها صناعة الخزف التي قلدوا فيها الصناعة الإيجية والمصرية والكريتية ،والموكينية . في الوقت نفسه أعطوا إهتماما كبيرا للخشب كمورد إقتصادي هام ليستعمل بالدرجة

---

1 ــ عادل ابو المصر.تاريخ الزراعة ,ط1,لبنان1960,ص،45.

2 - **E . Cavagnac. Popilation et Capital dans le Mond medit antique ,oxford universiti prep1923,p,13.**

الاولى في بناء السفن الحربية منها والمدنية وكذا الاسلحة واستعملوه ايضا في صناعة الادوات التي يستعملونها في حياتهم اليومية إذ يعتبر الخشب اهم مورد صناعي يعتمدون عليه في اقتصادهم ،والتي ما زالت بعض أشجاره مجودة إلى يومنا هذا ، كالارز والسندريـــان والـــبلوط ، والصنوبر ،والصفصـــاف والـــزيتون ، وبالرغم من الظروف الـــطبيعية الجـــبلية الـــصعبة أحيانـــا إلا أنه تمكن من التغلب عليـــها بإهتدائه إلى طريـــقة المـــدرجات التي ســـاعدته كثيرا عـــلى تـــطوير إنتاجـــه لكفاية مجتمعه ، ذلك الإنـــتاج الذي لم يـــتأثر إلا في العهد الحـــيثي بسبب ما كـــان يسود البلاد مـــن فوضى وإضـــطراب حـــال دون قيام ذلك الفلاح بمهمته.

واستطاع الحرفيون في هذا المجتمع أن ينالوا مكانة مرموقة بين الارسقراطية الإقطاعية المؤلفة من النبلاء المحاربين ، وقد انتظموا في نقابات ارتبطت فيما بينها بروابط المهنة وكان من أهم تلك الحرف صناعة الخزف بسبب رواجها والإقبال الكبير عليها وسهولة تقنياتها ، وحرفة صيد المرجان التي سيطروا عليها وصنع الزجاج ، والعطور والأثاث والعاج ، والصباغة و الصياغة كالفضة والذهب .....التي اضحت من اهم صادراتها[1] .

**ج- التجـــارة :**

ومن الجـــوانب الإقـــتصادية الأخرى التجارة ، التي إمـــتاز بها الســـاحل الـــفينيقي وكانت إلى جانب كونها نعمة على الأهالي كانت نقمة ، إذ جلبت إلى المنطقة أنظار بـــقية الـــدول الـــطامعة في الثروة والسيطرة فسارعت إلى العمل جـــاهدة من أجل إدخـــالها تحت نفوذها إذ لا يمـــكن في هذا الإطار أن يخـــفى

[1]- احمد حامدة ، المرجع السابق ، ص،64.

علـينا الموقع الـذي وجـدت فيه فينيـقيا حـيث كانت ملتقـى الطرق التـجارية القـادمة من الـشرق وآسـيا الـصغرى وبـحر إيجه ومصر [1]،يضـاف إلى هذا إمتداد ساحلها من الشمال إلى الجنوب مما سمح لهم بتهيئة موانئ إستطاعت أن تحقق لها درجة عـالية من الإزدهار خـلال فترات متتالية من الزمـن ومهمـا يكن فـإن إقـامة الفينيقيين لتلك الموانئ كانت تقتضي الى طرقات تجارية[2]، فرضت عليهم أن يحرصـوا على أن تقوم بـينهم وبين غيرهـم علاقات حسنة ، ومثلما نـشطت التجارة عـبر البحر فإنها نشطت برا ، وتمثـلت أهـم الصادرات بـالمنطقة في الخشب نحو مـصر خاصة ، التي كان يتم الإتـصال بها عـبر البحر إنطلاقا من موانئ فينيـقية نحو مصب فروع النيـل على المتوسط أو عـبر الطريق الساحلي مرورا بفـلسطين وشبه جزيرة سيـناء ولكن هذا الطريق الأخير كان قليل الإستعمـال بسب الأخـطار التي كان يشكلها البدو على أمن القوافل [3] .

وعـلى العموم فإن الأوضـاع الإقتصادية لفينيقيا خلال القـرن 14ق.م ، كانت تعرف شيـئا من الإزدهار ، خـاصة أثناء فترة الوجود المصري الذي كان طابـعه الإستعمـاري يختلف تماما عن نظـيره الحيثي الـذي إمتاز بصفته التخريـبية والهمجية ، حتى أنـه لم يخلف أي أثـر ذا مظهر حضـاري بـالمنطقة وإنما كـان أساس وجـوده بـالبلاد يقوم بـالدرجة الأولى عـلى

---

1 - Le Grand Atlas de L'Histoire Mondial ,p,50 .

2 - احمد حامدة ، التجارة الكنعانية (الفينيقية)في البحر المتوسط ، دراسات تاريخية ، دمشق، العدد.74، آذار ، حزيران ، 2001، ص،64.

3 - G. Dykmans. Histoire Econmique et soicial de L'ancien egypte T1-ed auguste picard.paris1936.p,227.

الحصول على الضرائب وتدعيم وتأمين حدوده الجنوبية كيفما كانت ، ولكن ذلك لا يتحقق له إلا بالوصول إلى طرد المصريين وكانت أول خطوة لابد منها لتحقيق ذلك هي نشر الفوضى في مناطق نفوذهم وهو ما إنعكس سلبيا على أوضاع الساحل الفينيقي بحيث لم يجني إلا الخراب والدمار(1) .

**4 – الجانب العسكري لقوى الصراع في الساحل الفينيقي أثناء القرن 14و13ق.م :**

إنصب إهتمام الإمبراطوريات الكبرى في الشرق الأدنى خلال منتصف الألف الثانية على تطوير الجانب العسكري الذي كان يعتبر الأساس الوحيد لوجودها وسيطرتها وعملت كل دولة على أن تكون سباقة إلى إقتناء أحدث الأسلحة وأفتكها آنذاك والتي تمكن من التفوق وضمان النصر في المعارك ، وهذا الأمر في حد ذاته فرضته التطورات السياسية الكبرى في المنطقة التي دفعت معظم تلك الشعوب إلى إنتهاج الإتجاه العسكري البحت ، حتى ولو أن بعضها كان ذا طابع فلاحي كالمصريين في الوقت الذي كان بعضها أمما حربية ، حيث ذهبت بعض الشعوب إلى ترك أسلوب حياتها الأول وإهتمت بالحرب والغنائم ، إلا أن ما يثير الإهتمام أكثر والتساؤل هو كيفية تفسير ذلك التناقض الذي كان موجودا بين قوى الصراع في المنطقة خلال القرنين الرابع عشر و الثالث عشر ق.م،

**أ– جيش الدولة المصرية :**

❖ **تكوين الجيش :**

---

1 - السيد غلاب ، المرجع السابق ، ص ،112

لقد سمح بالرغم من ذلك وجود شبه توازن بين تلك الأمم الحربية والغير الحربية ووصل الأمر إلى أن ظهر بعض التفوق من الجانب المصري ، فهل كان ذلك راجع إلى الإرادة الكبيرة التي توفر عليها المصريون من أجل الحفاظ على وجودهم أمام تهديد القوى العظمى لهم ؟، أم أن ذلك كان بسب قدرتهم في إستعمال تقنيات وأسلحة أكثر فاعلية[1] .

ولكن على عكس الدولة القديمة والوسطى فقد رأى فراعنة الدولة المصرية في تكوين جيوش نظامية قوية ، تكون قادرة على ضمان الحماية والأمن للبلاد ، وفعلا فقد توصلوا إلى تكوين فرق من الجيش معظم عناصرها في بداية الأمر من أبناء المقاطعات المختلفة للبلاد ، إلا أن ذلك لم يكن كافيا لتحقيق رغبة الفراعنة ، الأمر الذي دفعهم ، إلى الإسراع بالبحث عن حل لذلك ، ولم يكن أمامهم سوى تدعيم قواتهم بعناصر خارجية جديدة ، وبالفعل فقد وجدوا من المرتزقة العدد اللازم لذلك ، بعد أن جلبوا إليهم الأسيويين بعد إتصالهم بهم منذ عهد الأسرة الثامنة عشر بجيرانهم من الليبيين ثم شعوب البحر الذين يظهر أنهم كانوا ذا قيمة بالغة من الناحية العسكرية لدى الفراعنة الذين إتخذوا منهم حرسهم الخاص ، وكان أهم هذه الشغوب البحرية المرتزقة "السارداس" وهي نفس السياسة التي إتبعها أعداءهم في تكوين جيوشهم .

---

[1] - جورج كونتو،المرجع السابق،ص،353

والمتأمل للآثار المصرية المختلفة التي خلدت معركة "قادش" يمكنه إدراك ذلك التنوع في عنـــاصرها بسهولة من خلال هيآتما وملابسها وأسلحتها ، وقد كان الجيش المصري منظم في إطار فـــرق مختلفة الحجم تصل في عـــناصرها إلى أربـــعة آلاف رجل تتألـــف في قسمها الـــكبير من الرتزقة والـــباقي من المصريين ، يحـــمل كل واحـــد منهم ، إسم جـــندي وتنظـــم تـــلك الفرق أحـــيانا على الـــطراز الأجنبي كـــالحيثي او الاشوري او الميتاني والحوري... ،حـــيث عرفت بـــ "نعارين" و "بيت" [1].

كانت تسند مهمة الإشراف على تلك الفرق الى قادة مصريين أو قائد ينتمي إلى نفس عناصر الفرقة الأجنبية على شكل سرايا عددها مجهول حملت كل منها اسم معين منذ الأسرة الثامنة عشر فكان منها سرية "أمون" و"جمال قرص الشمس"و "متلألأة كقرص الشمس" .

❖ **الاسلـــحة :**

كان معظم سلاح الجنود المصريين يتمثل في الفؤوس وكان الفرعون يتفضل عادة بتكريم ضباطه باعطائهم فؤوس ذهبية ، ونظرا لاتصالهم بالاسيويين فقد توصلوا الى اقتباس المنجل التي نالت اهمية بالغة لديهم ، ووصلت الى درجة انها اصبحت احد الاسلحة الرمزية للفرعون واكثر آلهة مصر ، واضيف الى جانب استعمالهم السيوف القاطعة الطويلة ، والسيوف القصيرة وكانت مفضلة لدى الفرعون[2] .

---

[1] **- أرمان أدلوف . مصر والحياة المصرية في العصور القديمة, ترجمة ومراجعة عبد المنعم أبو بكر ومحرم كمال, مكتبة النهضة العربية, القاهرة, ص،625.**

[2] **- أرمان أدولف،المرجع السابق، ص،630**

والى جانب هذا كله عرفت لدى المصريين اسلحة اخرى كالاقواس التي يظهر انهم نقلوها عن غيرهم من الشعوب ، وكانت تصنع من الخشب الصلب في اشكال مختلفة فقد تراوح طولها المتر والنصف احيانا ، وكان اهمها الاقواس الهلالية و النصف دائرية ومثلثة الشكل [1] ،توضع على اطرافها وبوسطها اغلفة عظمية لقرون حيوان وصنعت لها نبال من القصب ادخل في احد طرفيها قطعة برونزية حادة ، وعلى العموم فان اسلحة الجنود ككل انحصرت في الفؤوس الحربية ، والقوس و الحربة والسيف والمطرقة ، والعصى ، والدروع التي كانت طويلة تصل المتر وهي على شكل اطار وضع عليه جلد ثور.

ولقد بلغت العربة درجة من الاهمية حيث عرفت لديهم باسم "تنت حاتور"[2] وجعلوها بمثابة الدبابة في ايامنا هذه ، وكانت لا تعطى الا لعناصر معينة ينتمون عادة الى الضباط الكبار والمثقفين وحتى السياسيين وعرف سائقها باسم "كوزن" ام "كوزي"[3] تزود بجعبتين في متناول يد المحارب لوضع الاسلحة من رماح وفؤوس حربية ويزود المحارب عليها بالعصي والمزارف.

❖ **اللباس الحربي :**

اعتبر الاهتمام باللباس الحربي احد الامور الهامة لنجاح المعارك فكانت كل قوة تراعي ضرورة توفر اللباس الذي يضمن الراحة والحركة الكاملة

---

**P. Avnderberg.rameses II, p,80 -** [1]

[2] **- أرمان أدولف،المرجع السابق، ص،630**

[3] **- جورج كونتو، المرجع السابق، ص، 256**

للجندي واختلفت هذه الملابس كما اختلفت الاسلحة باختلاف عناصر الفرق المصرية .

كان يصاحب الجيوش المصرية حملة الاعلام التي كانت توضع على قوائم طويلة وتحلى بريش النعام رمز النصر وعلى كل منها رسما او صورة لحيوان كالاسد والحصان او آلهة وتتقدم هذه الاعلام عادة فرق الجيش المصري ، وكان اهمها العلم الذي يتقدم كل الجيش ويحمل على خشب ثمين على ذروته صورة كبش أمون فوقه قرص شمس ، صورة رمزية لاعظم الآلهة المصرية ويتم تثبيت هذا العلم على عربة مخصصة لذلك [1].

**ب – جيش الدولة الحيثية :**

- **تكوين الجيش :**

إن الدولة الحيثية التي كان وجودها قائما أساسا على خوض الحروب وإستعمال القوة لم تحافظ على وجودها إلا بقهر غيرها من الشعوب التي كانت تهددها على حدودها الشمالية والجنوبية في الوقت الذي كانت فيه قواقم مكونة أساسا من المرتزقة وبنسبة كبيرة حيث إستغلوا كل العناصر التي كانت في متناولهم من الهند وأوربيين خاصة.

واستطاع الحيثيون بدورهم تنظيم جيش بشكل يتجاوب مع متطلباقم وطبيعة الهجومات والتكتيك الذي كانوا يلجأون إليه ، ويمكننا أن نجد من أهم فرقة الجيش الحيثي فرقة العربات وهي أساس الجيش ثم المشاة وكان يعول عادة على جيش العربات الخاصة .

[1] - أرمان أدولف،المرجع السابق ،ص،629

❖ **الاسلـــحة :**

كان الجيش الحيثي يتوفر على سلاح بسيط يتمثل في العصي الغليظة والفؤوس الحربية والمطارق والدروع والحراب والرماح [1] ، كما لعبت العربة دورا فعالا في المعارك اكسبتهم تفوقا على الجيش المصري باستعمالهم ثلاثة جنود في العربة الواحدة مقابل اثنين في العربة المصرية[2]ولو الها كانت اكثر تفننا في كيفية استغلالها ، فكان دور العناصر الثلاثة يتمثل قي سائق العربة وحامل الدرع للوقاية والمحراب.. وهناك فرقة عرفت عند الحيثيين باسم "سوتو"[3] وهي فرقة مسلحة بالسهام والاقواس كانت وظيفتها الهجومات المفاجئة التي تتطلب الحركة السريعة والخفيفة.. اما البحرية فلم يكن لها دور يذكر لدى الحيثيين الذين لم يكونوا قادرين على تامين تراهم برا لذلك لم يعطوها أي اهتمام يذكر

❖ **اللباس الحربي :**

يظهر الحيثيون على الاثار المصرية يرتدون لباسا طويلا وله اكمام طويلة ، اما على الاثار الحيثية فيبدون مرتدين بدلة قصيرة محاطة بحزام ،وكان اللباس الحربي مشابها لما عليه عند المصريين اذ يختلف اللباس من فرقة الى اخرى .

يبدو ان الاسلحة في الشرق الادنى كانت متشابهة خاصة اذا عرفنا ان طرفي الصراع المصريين، والحيثين حملوا نفس الاسلحة، اذ يمكننا استخلاص ذلك بسهولة من الصور التي خلدت معركة قادش لكن يبقى شيئ واحد يختلف فيه الجانبان وهو شكل الاسلحة واهمية الدور لكل منهما وبالاخص العربة.

---

[1] - P. Avnderberg.op cit, p,80

[2] - أرمان أدولف،المرجع السابق،ص،630

[3] - O ,R, Gurnes,The Hittites-Apelicam Book5,london,1952,p,106.

وعلى كل فقد إعتمد الجانبان الحيثي والمصري اساسا على فرق العربات التي كانت تلعب دورا فعالا في المعارك وبالاخص من الجانب الحيثي الذي تفوق فيها ، وفي الوقت الذي كان دورهم يقتصر عند الحيثيين في كونهم حرسا للملك والتدخل وقت الضرورة فقط بالاضافة الى تأمين سلامة العربات الناقلة ذات الاربعة عجلات ، ويحتمل ان يكون تفوق الحيثيين راجع لمعرفتهم المبكرة لها والتي ترجع الى ما قبل 1600ق.م [1] بينما لم بعرفها المصريون الا عند دخول الهكسوس لبلادهم.

اما سـلاح المشاة فكان له اعتباره الخاص وكانت اهميته تختلف عند الطرفين واذا كان عدد المشاة عند الحـيثيين لا يقل عن جنود العربات الا ان دورهم كان ثانويا على عكس المصريين الذين كان اهتـمامهم منصب على هذا الجانب الذي كان معولا عليه اكثر من غيره ، بينما انعدم الفرسان عند الجانبين ويعود ذلك من دون شك الى اهمية الحصان الذي كان صعب الاقتناء و لم يكن من نصيب الا بعض العناصر على راسها حملة البريد والملوك والامراء.

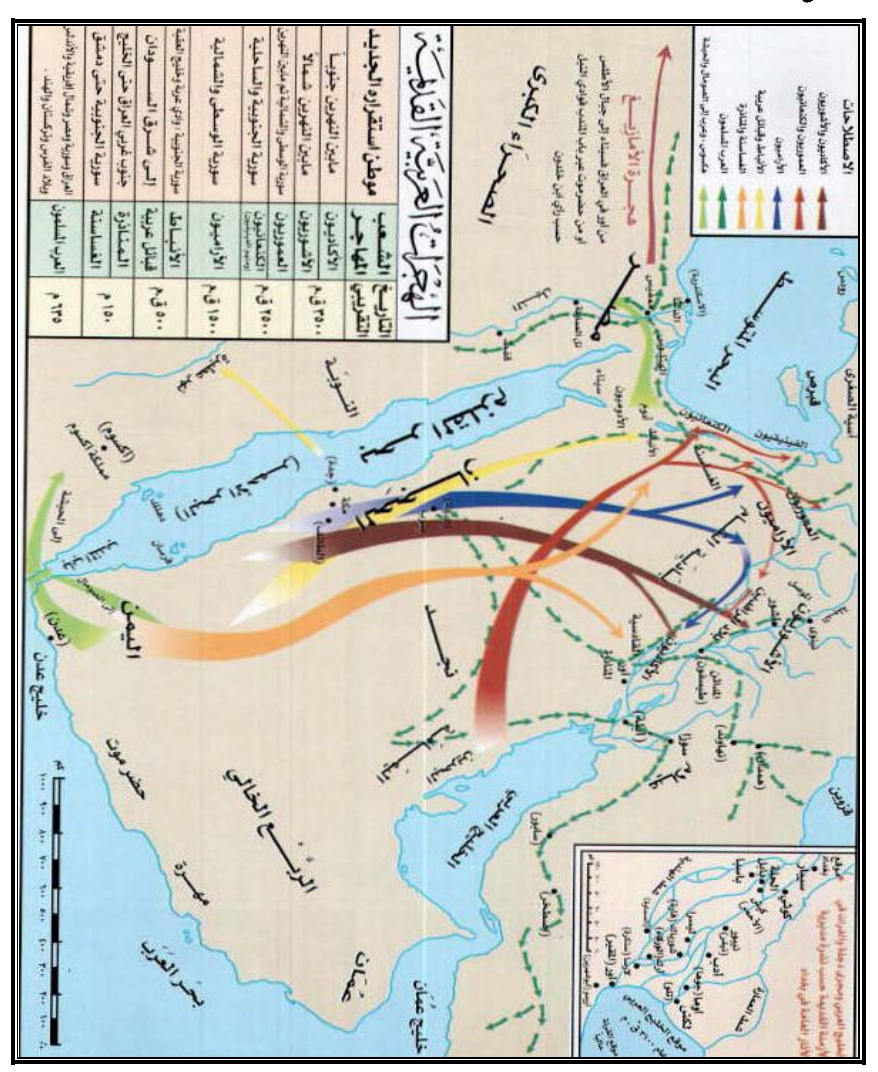
أما قوانين الحـرب فـلم تختلف في مضمونها لدى الـطرفين وفي معظمها تبيح شرعية النهب و الـتدمير للـمدن المغزوة و سبي أهلها ، حيث كـانوا يقسمون كعبيد على الـضباط و رجال الدولة ، كما يسمح القانون المصري بإضرام النار ، لكونه يرى ضرورة تفريغ المـعابد من آلهـتها حتى لا تـصب عليهم غضبها و لـعنتها كما اهتم المـصريون باقتناء الأدوات المعدنية ، وعلى كل فقد انعدمت لدى الطرفين صورة التعذيب الـوحشي للأسرى مثلما كان عليه الأمر لدى الأشوريين[2] .

1- O ,R, Gurnes,op cit,p,106

2_ Gurnes .O . R.op cit . pp,113 .115

## الملاحق :

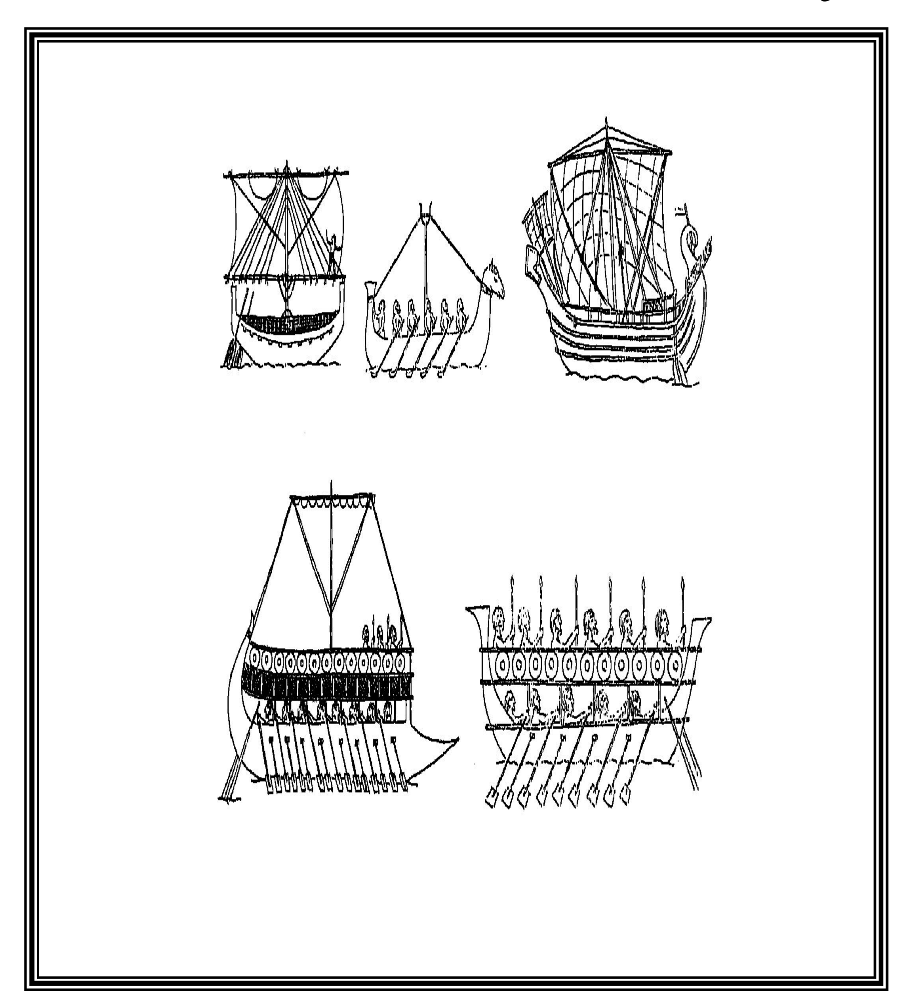
الملحق 1



خريطة تبين أهم الهجرات العربية القديمة

**(شوقي أبو خليل،أطلس التاريخ العربي الإسلامي،ص5)**

الملحق 2



شكل يبين صورة للسفن الفينيقية "الحربية والمدنية"

**(عبدالله الحلو،سوريا القديمةص742)**

# الشباب ومسألة الاندماج الاجتماعي في المجتمع الجزائري

---

الأستاذ : حران العربي – قسم العلوم الاجتماعية – جامعة الأغواط – الجزائر

**ملخص :**

إن مسألة اندماج الشباب اجتماعيا في مفهومها السوسيولوجي ضمن السياق الاجتماعي العام تفهم من خلال تلبية مطالبه وحاجاته الثقافية ,و المهنية والقيمية والتي تشكل الهم الشاغل لكل الأنظمة الاجتماعية و للشباب نفسه, وإن فشل هذه الأنظمه في إيجاد الحلول الملائمة لتلك المشاكل جعل من الشباب أن يصبحوا مستبعدين يستهلكون مشاكلهم و يراكمونها وقودا قابلا للاشتعال في أي لحظة, وعليه فإن أزمة الشباب في التحليل النهائي هي أزمة مجتمع في مختلف أبعادها ودلالاتها السوسيولوجية.

**Summary**

The issue of young people socially integration in its sociological concept within the general social context should be understood through taking into account their cultural and professional and values demands and needs which constitute the concern care for all social systems and young people themselves.But the failure of these systems in finding appropriate solutions to those problems has made young people becoming excluded and consume their problems and accumulate them to be exploded at any moment as a flammable fuel.Therefore , the youth crisis in the final analysis is the crisis of society in various dimensions and sociological significances.

**مقدمة:**

إن مسألة الاندماج الاجتماعي للشباب في أي مجتمع ما , لا تتوقف على جملة من الآليات التي تلعب دورا بالغ الأهمية في إعطاء مؤشرات ذات دلالة

واضحة لدى شريحة الشباب خاصة فيما يتعلق بموقفهم تجاه مسألة الاندماج نحو المجتمع , و ذلك وفق ما يوفره لهم هذا الأخير من آليات و التي من شأنها أن تكون بمثابة دافع قوي يعمل على تفعيل مسألة اندماجهم في المجتمع من خلال جميع الأنساق المشكلة للبناء الاجتماعي للمجتمع , و من جهة أخرى قد تكون نفس الآليات بمثابة عامل أساسي في انتشار جملة من الظواهر السوسيولوجية السلبية داخل المجتمع , و هذا ما يوضح لنا أيضا بدوره الموقف السلبي الذي يفسر نظرة الشباب تجاه مسألة الاندماج الاجتماعي في المجتمع.

## أولا: إشكالية الدراسة:

اعتمادا على المنظور الاجتماعي التاريخي , يمكننا القول بأن ما وسمناه بالمسألة الشبابية , في مختلف أبعادها و دلالاتها قضية مرتبطة أساسا , بالتحولات الاجتماعية و السياسية و الاقتصادية والثقافية. وهذا ما ذهب إليه العلامة "ابن خلدون"في قوله "...إن أحوال العالم و الأمم و عوائدهم ونحلهم لا تدوم على وتيرة واحدة و منهاج مستقر , إنما هو اختلاف على الأيام و الأزمنة و انتقال من حال إلى حال , و كما يكون ذلك في الأشخاص و الأوقات و الأمصار , فكذلك يقع في الآفاق والأقطار و الأزمنة و الدول..." [1].

والتاريخ يعطينا صورة جلية عن ذلك حيث نلاحظ كيف كانت المجتمعات التقليدية لا تجد صعوبة كبيرة في تأهيل الشباب (الأسرة كمؤسسة اجتماعية مركزية ) و إدماجهم في النسق المجتمعي العام عبر المؤسسة الزواجية و الانخراط المبكر في العمل الإنتاجي , و تقلد بعض المسؤوليات الحياتية , وكيف أصبحت هذه الأخيرة نظرا لما عرفته الحياة من تطور حضاري كبير بحيث ارتفعت فيها

---

[1] **إدريس خضير**, التفكير الاجتماعي الخلدوني و علاقته ببعض النظريات الاجتماعية ( الجزائر: ديوان المطبوعات الجامعية ,1992 ) ص 103.

درجة التخصص الوظيفي ـــ أي التخصص في مختلف الأدوار و الوظائف و الميادين وكان من نتاج هذا الوضع ظهور مؤسسات اجتماعية جديدة ممثلة لما يسمى بالمجتمع المدني كالمدارس , الجامعات , وسائل الإعلام و الاتصال و الأحزاب والنقابات , ومختلف الجمعيات...إلخ , و في هذا السياق المجتمعي الجديد أصبح الاهتمام بالشباب و بشؤون تعليمه و تربيته و تكوينه و تأهيله للاندماج الاجتماعي مسألة حاسمة , و هذا ما ذهب إليه عالم الإجتماع **دوركايم** حيث ربط بين هذه الأوضاع التفككية و بين ظهور حالة الضياع , و هو الإحساس بانعدام الهدف الناجم عن الحياة الاجتماعية الحديثة لكون الأخلاق التقليدية التي كان ينطوي عليها الدين , والتي كانت تقوم بعملية الضبط و تقديم المعايير سرعان ما تبدأ بالتفكك مع البدء بالتنمية الاجتماعية الحديثة , و ذلك مما يدفع أعدادًا كبيرةً في المجتمعات الحديثة إلى الإحساس بأن حياتهم اليومية لا معنى لها و لا دلالة , وهذا ما نلمسه في قوله " إن الانسجام من ملامح الرؤية الوظيفية..." [1] , و ذلك بأن المجتمع يتكون من مجموعة من الأنساق الفرعية تتفاعل فيما بينها لتكون النسق الكلي للمجتمع و التي تساهم في وظائف مختلفة لدفع المجتمع و تقدمه.

وباعتبار الشباب أهم وحدة من وحدات المجتمع يتأثر بتحولاته و مشاكله و يؤثر فيه إما إيجابا بالتقدم في كافة المجالات , أو سلبا لو تجاهلنا تطلعاتهم و آمالهم المشروعة في حياة أفضل سواء في المجتمعات المتقدمة أو الأقل نموًا وهذا ما يفسر لنا حدوث الوعي المسبق لدى المجتمعات الغربية الحديثة اتجاه المسألة الشبابية , و ذلك من خلال عملها على خلق إستراتيجيات تنموية تحديثية فعالة تهدف إلى وضع آليات جديدة و عقلانية لاستدماج مختلف الشرائح الشبابية من أجل ثبات النسق

---

[1] **عمر أفا**, الشباب و مشكلة الإندماج (ط1, المملكة المغربية: منشورات كلية الآداب و العلوم الإنسانية بالرباط , 1995),ص27.

المجتمعي و ذلك" بلفت الأنظار إلى الدور الذي يمكن لهذه الشريحة أن تلعبه في مسيرات الإنماء و التحديث , و تأكيد القيم المستقبلية و التجديدية" [1].

وعلى خلاف ذلك نجد مجتمعات العالم الثالث "... أنها لم تستطع أن تبلور سياسة شبابية كفيلة باستقطاب إيجابي للفئات الشابة من أجل تسهيل اندماجهم في الحياة الاجتماعية العامة , إذا ما أدخلنا في الاعتبار كون هذه المجتمعات يتكون هرمها الديموغرافي من قاعدة سكانية عريضة يمثل الشباب أغلبيتها , وأنها تتوفر على على موارد وخيرات طبيعية هائلة ..." [2] , وهذا ما أدى بشباب هذه المجتمعات إلى استهلاك مشاكلهم و معاناتهم و ظلوا يراكمونها وقودا قابل للاشتعال في أي لحظة , و خير دليل على ذلك ما حدث من ثورات في كل من تونس, و مصر , وليبيا , و سوريا و غيرها من بلدان العالم الثالث , و هذا ما جعل المجتمع الجزائري كغيره من المجتمعات ليس في منأى عن تلك التحولات الاجتماعية والاقتصادية والسياسية والثقافية , و من بين المعطيات السوسيولوجية الدالة و التي تميز المجتمع الجزائري المعاصر هو أنه مجتمع شاب في أغلبية و قدرت "نسبة الشباب فيه ب 70 % من أصل التعداد السكاني الذي بلغ 37 مليون نسمة " [3] .

لكن المتتبع للمسار التنموي و السياسة المنتهجة من طرف الدولة الجزائرية لا سيما فيما يتعلق منها و الموجهة نحو الفئة الشبابية يلاحظ أنه هناك وعي و تطلع

---

[1] **هربرت ماركيوز**, الإنسان ذو البعد الواحد,ترجمة و تقديم جورج طرابيشي(بيروت : دار الآداب,1971),ص86.

[2] **C.Camilleri**, jeunesse, Famille et developpement, (Ed,C.N.R.S , Paris ,1973),p.102.

[3] **الديوان الوطني للإحصائيات** , تقرير حول إحصائيات السكان للثلاثي الثاني لسنة 2012.

تجاه ما ترمي إليه أولويات الدولة الجزائرية تجاه هذه الفئة , والمتمثلة في جملة المشاريع الاقتصادية و التنموية من أجل استقرار اقتصاد البلاد , وخفض نسبة البطالة وذلك بتطبيق جملة من البرامج " كبرنامج دعم الإنعاش الاقتصادي للمخطط الثلاثي2001م-2004م(16مليار دولار) , و برنامج تكميلي لدعم النمو الاقتصادي مخطط خماسي 2005م-2009م (130 مليار دولار), وبرنامج توطيد النمو الاقتصادي مخطط خماسي ثاني2010م-2014م(286مليار دولار)" [1] , "أيضا فيما يخص السياسات المتبعة لخفض نسبة البطالة كآفاق2009م إلى أقل من 10% وذلك لأجل السعي على خلق مليوني منصب شغل , أيضا العمل على تنظيم سوق العمل عن طريق استحداث الهيئات التالية : مديرية التشغيل لكل ولاية , و البرنامج الوطني لعقود ما قبل التشغيل الموجهة للشباب , و جملة من الهيئات التي من شأنها الاهتمام بالفئة الشبابية كالوكالة الوطنية المتخصصة في دعم أصحاب المبادرات , و الوكالة الوطنية لتسيير القرض المصغر و إنشاء الصندوق الوطني للتامين على البطالة والمرصد الوطني للتشغيل ومكافحة الفقر , بالإضافة إلى تحقيق تمويل حوالي 17000مشروع كمعدل سنوي خلال2009م-2013م , واستحداث 55 ألف منصب عمل لكل سنة بالموازاة" [2] , أيضا سعي الدولة في تحقيق التنمية البشرية لا سيما فيما يخص قطاعي التعليم والتكوين" فقد خصصت الدولة ما يقدر ب(2048مليار دينار للفترة الممتدة ما بين(2001م-2013م)

---

[1] **محمد مسعي**, "سياسة الإنعاش الاقتصادي في الجزائر و أثرها على النمو", **الباحث** , العدد10 , (2012), ص147.

[2] **احمية سليمان**, السياسة العامة في مجال التشغيل و مكافحة البطالة, الملتقى العلمي حول السياسات العامة ودورها في بناء الدولة و تنمية المجتمع, جامعة الطاهر مولاي, سعيدة, الجزائر , 26 -27 أفريل2009 , ص3.

بالإضافة إلى الإصلاحات التي شهدتها هذه القطاعات بجميع أطوارها من أجل ملائمتها و مواكبتها لمتطلبات سوق العمل و تطلعات الشباب لا سيما منها حاملي الشهادات" [1].

أما من الناحية الثقافية فقد عمدت الدولة الجزائرية إلى إعادة الاعتبار للذاكرة الوطنية , وذلك من أجل ترسيخ الهوية الوطنية و القومية داخل الأوساط الاجتماعية من خلال وزارة الثقافة , كالأسابيع التثقيفية داخل الوطن و العواصم الثقافية و المعارض الدولية و كذا الاهتمام بالجانب الديني بإعادة تفعيل دور المساجد من أجل إعادة بث الوعي داخل الأوساط الشبابية , و كذا إعادة الاعتبار لوسائل الإعلام بنوعيها لما تلعبه هذه الأخيرة من دور في ترسيخ الهوية الوطنية وبعث روح الأمل متمثلا ذلك في البرامج الموجهة للشباب في الآونة الأخيرة.

لكن رغم كل التدابير والإجراءات المتحذة من طرف الدولة و التي تهدف إلى خلق وعي تنموي لدى الشباب لتحقيق تنمية المجتمع , لم تمنع من بروز جملة من الظواهر الاجتماعية السلبية داخل المجتمع الجزائري , قد تكون ناجمة عن تلك التحولات الخارجية أو الظروف الاجتماعية التي ربما لم ترتقي إلى تطلعات وطموحات هذه الفئة الشبابية و من بينها : الهجرة بنوعيها , حيث "قدر عدد المهاجرين 1.3مليون نسمة منها ما يقدر ب 40 ألف هجرة غير شرعية " [2] وبالإضافة إلى تحول الجزائر من بلد عبور للمخدرات إلى بلد مستهلك و استفحال ظاهرة التعاطي و الإدمان بين الأوساط الشبابية بشكل رهيب مما أدى بدوره إلى

[1] **محمد مسعي**,مرجع سبق ذكره , ص155.

[2] تقرير بعنوان "الحرقة", بقلم د.**حسين عبد اللاوي** أستاذ ,بجامعة الجزائر, منشور في إطار برنامج أبحاث تطبيقية عن الانتقالات الدولية للسكان , في إحصاء لعدد الجزائريين المهاجرين الذين أعيدوا من عند الحدود في الفترة ما بين 2005-2007 ,و الشرطة الجزائرية هي التي وفرت هذه الأرقام.

ارتفاع معدل الجريمة , و الانحلال الخلقي, أيضا ظاهرة "البطالة التي قدرت ب 10%سنة 2009م حيث قدر نسبة حاملي الشهادات منها ب21.4%" [1] , والسبب الرئيسي في ذلك عدم التكامل بين أنظمة التعليم و قطاعات المجتمع ,كذلك انتشار ظاهرة الانتحار حرقا لاسيما في الآونة الأخيرة , كل هذا و غيره أصبح يشكل خطرا بالغ الأهمية على التماسك الاجتماعي لدى الفئة الشبابية من جهة و تذبذب الوعي المجتمعي لديهم , في ظل تطلعهم لحياة أفضل

إن هذا الواقع الاجتماعي الذي تواجهه هذه الفئة دفعنا إلى معالجة المسألة الشبابية لا سيما فيما يتعلق منها بقضية اندماج هذه الشريحة الهامة داخل المجتمع الجزائري , وعليه نطرح التساؤل الرئيسي الأتي :**كيف ينظر الشباب الجزائري لمسالة الاندماج الاجتماعي؟**

**ثانيا : أهمية الدراسة :**

محاولتنا تسليط الضوء على أهم المشاكل التي يواجهها الشباب سواءا المصاحبة للمرحلة العمرية لهم أو التي تعتريهم في حياتهم اليومية وتعرقلهم على بناء مستقبل أفضل .

**ثالثا: المفاهيم الأساسية للدراسة:**

**1- مفهوم الشباب:**

جاء في قاموس علم الاجتماع أن الشباب " هي تلك الفئة العمرية الممتدة من مرحلة الطفولة إلى غاية سن البلوغ و تحديد هذا الأخيرة يختلف من مجتمع إلى آخر حسب قانونها المدني و الإجرائي" [2]

---

[1] **الديوان الوطني للإحصائيات**, تقرير حول البطالة , للسداسي الثلاثي الثاني,لسنة 2012.

[2] **Raymon Boudou;**.Dictionnaire de la sociologie.( Paris , larouse ,1990).PP111-112.

**2–مفهوم الاندماج الاجتماعي:**

اندمج بمعنى "دخل وأدمج الشيء في الشيء أي دخل واستحكم فيه" ، ويقال اندمج في الشيء أي "دخل فيه واستقر، ويقال نصل مندمج أي مدور وشيء مندمج: المداخل كالحبل المحكم الفتل", و"أعضاء مندمجة ومدمجة أي متسلسلة ومنسجمة ومرتبة ومحكمة" [(1)].

**رابعا– أشكال الاندماج :**

إن الميزة المشتركة لهذه الأشكال أنها في ميدان واحد , وهو المجتمع باختلاف عناصره ومكوناته و مضمونه فهو سوسيولوجي واجتماعي إلا أنه مختلف الجوانب و واسع الآفاق ومتشعب الوظائف , نذكر من بينها:

**4–1 الاندماج السوسيوحضري:** إن الاندماج السوسيوحضري يعني" تكيف الفرد مع الجماعة وتوطيد علاقته مع الأفراد الآخرين " [(2)] والتكيف مع التنظيم الاجتماعي داخل المجتمع الحضري , بالإضافة إلى ربط الفرد ذاته بالآخرين وربطه بمجالهم المكاني وكمثال على ذلك وجود التعاون على مستوى الأحياء وإنشاء الجمعيات التي تهتم بالمشاكل وتقوم بنشاطات داخل الحي .

**4–2 الاندماج السوسيوثقافي:** تلعب التنشئة الاجتماعية من خلال عملية التربية دورا أساسيا ومحوريا باعتبارها عملية انتقال الثقافة من جيل لآخر وأسلوب تشكيل الفرد اجتماعيا عبر تداوله على عدة مؤسسات لديها وزن اجتماعي و تربوي في سيرورة حياته اليومية كالأسرة والمدرسة والشارع و وسائل الإعلام...إلخ ، هذه

---

[1]) **ابن منظور** ، لسان العرب،ط4(بيروت , دار إحياء التراث العربي ، 1999), ص 401.

[2] **مختار محي الدين** ، محاضرات في علم النفس الاجتماعي ، (الجزائر: مطبوعات جامعة الجزائر ، 1989 )،ص 86 .

الأخيرة إذ تقترن سلامتها بدرجة إيجابية في تحقيق اندماج الشاب ثقافيا وذلك من خلال العمل على ترسيخ الهوية الوطنية لديه وتحقيق إنماء ثقافي يواكب المستجدات العالمية الإيجابية , أي المحافظة على إيديولوجية المجتمع و مقوماته الأساسية هذا من جهة أما من جهة أخرى الإعداد المهني لأفراد المجتمع و المحافظة على وحدته وتماسكه.

**خامسا:أهم الاتجاهات النظرية الاجتماعية المعالجة لظاهرة الاندماج :**

إن النظرية تصنف على أنها أعلى مستويات المعرفة باعتبارها بناء و إطار فكري مرتكز على افتراضات علمية فهي تلعب دورًا أساسيا في العلم لأنها تساعد في توحيد و توضيح ما يجب التأكيد عليه حول الواقع المدروس , و بالتالي تمنح الانسجام للميدان المعرفي بفضل ما تقترحه من تفسيرات يحتمل أن تظل محل اختبار دائم على محك الوقائع.

**5-1سوسيولوجية المجال:** لقد تميزت كتابات **إبن خلدون** باعتباره خبيرا اجتماعي بوقائع المجتمعات العربية البربرية والأعجمية ، مفسرا و موضح للواقع الاجتماعي ,والاقتصادي ,والسياسي لها، تنبأ بمآل هذه المجتمعات وأول كل أشكال الاستيطان والتوطين البشري سواء ما يعرض في البدو أو الحضر ليلخص ذلك الواقع المعاش كونهما النموذجين الأساسيين للعمران البشري وامتداده وأسباب التوزيع السكاني وانتقال الحراك الاجتماعي قصد خلق مجال يتأقلم فيه ، يجعله حقل للممارسات والسلوكات الاجتماعية والتقاليد والعادات والدين بصفة

أدق لينتقل من اجتماعية المجال إلى سوسيولوجيته كما يقول ابن خلدون "اختلاف الأجيال في أحوالهم إنما هو باختلاف نحلهم من المعاش" [1].

**2-5 النظرية الأمريكية** : لقد عرفت مدرسة شيكاغو على أن الاتجاه الإيكولوجي يعتبر بمثابة الوصي المعالج لما ينشئ بين الفرد وبيئته وما أنتجته وأفرزته العلاقة بينهما في بروز ظواهر اجتماعية حضرية تؤثر عليه في سيرورة حياته اليومية , منطلقها دراسة الفرد والجماعة والمجتمع من خلال تساؤل مفاده كيف يمكن قياس علاقة الأفراد فيما بينهم وقياس العلاقة الاجتماعية في الجماعة الواحدة ؟ إن المخبر الأمريكي للبحوث الاجتماعية استحدث في تحاليله بعدين هامين: البعد الأثني وبعد المجتمع المحلي لكن كلاهما ينصب نحو أهمية التنشئة الاجتماعية ..."[2] .

**سادسا : أهم المشكلات التي يعاني منها الشباب في حياته اليومية:**

يمثل الشباب بالنسبة للمجتمع الثروة البشرية التي ترتكز عليها برامج التنمية والتحديث ، ويمثل البحث عن مشاكل الشباب بحثاً عن مشاكل المجتمع التي تترك آثارها على الشباب بشكل كبير، ولكي نتعرف على أهم القضايا المؤثرة في حياة الشباب في الجزائر، يجب أن نتعرف على واقع الشباب الجزائري واحتياجاته ومشاكله، ويمكن تقسيم مشكلات الشباب إلى نوعين مشكلات يعاني منها الشباب بصفة عامة، ومشكلات يعاني منها بعض فئات الشباب دون الآخر كالشباب الجامعي على سبيل المثال، ونعرض فيما يلي أهم المشكلات التي تواجه الشباب في المجتمع المعاصر.

---

[1] **حقيقي نور الدين** ، الخلدونية ، (الجزائر: المطبعة الجامعية ، 1990)، ص84.

[2] **Mackenzie (R)** , the metropolitain community , MC graw edition , England , 1933. p22.

1/ **المشكلات الأسرية:** يواجه الشباب مشكلات أسرية متعددة , وقد يترتب عنها اضطرابات نفسية أو تمزق في الروابط بين الأبناء والآباء , ومرجع هذه المشكلات أسباب عديدة منها:

أ/**ضعف الروابط الأسرية:** نتيجة التفكك الأسري الناجم عن الهجر بين الزوجين، أو الطلاق أو تعدد الزوجات وإيثار بعض الأبناء على الآخرين، أو الوفاة أو الخلافات المستمرة بين الوالدين[1].

ب/**التسلط الأبوي أو التراخي في التعامل** حيث ينجم عن ذلك سوء التربية .

ج/ **ضعف الرقابة الوالدية أو اللامبالاة من قبل الوالدين** في التوجيه والإرشاد والنصح .

د/ **البعد الاجتماعي والنفسي بين الوالدين والأبناء**، وما يظهر من عدم احترام الحرية الشخصية .

ه/ **الإغراق على الأبناء بالماديات** و تلبية طلباتهم كتعويض عن إهمال الوالدين وغيابهم عن الأسرة.

و/ **عدم الاهتمام أو متابعة السير الدراسي** وما يترتب عنه من تسرب دراسي .

**خاتمة :**

لقد حاولنا فيما سبق أن نطرح مجموعة من الإشكاليات المتعلقة بما أسميناه بالمسألة الشبابية انطلاقا من منظور سوسيولوجي تكاملي , لنخلص في الأخير أن أزمة الشباب هي أزمة المجتمع من الناحية البنائية الشمولية , وأن المسألة الشبابية في مختلف أبعادها ودلالتها السوسيولوجية والاقتصادية والتعليمية هي نتاج للأوضاع

---

[1] **عبد المجيد سيد أحمد منصور، زكريا الشربيني:** الشباب بين صراع الأجيال المعاصر والهدى الإسلامي، المشكلات-القضايا-مهارات الحياة،(القاهرة: دار الفكر العربي، 2005) .ص74.بتصرف.

التي يعيشها الشباب , وذلك في ظل غياب فلسفة مشروع مجتمعي موجه متكامل المقاصد وشامل لكل القطاعات ومجالات الحياة , يهدف إلى الاندماج الاجتماعي الإيجابي للفئات الشابة وتوفير الشروط الملائمة لتفعيلها وتحفيزها لتصبح أكثر استعدادا وقدرة على العطاء والمساهمة في إنجاح مسيرة التنمية والتحديث لبناء غد أفضل .

**قائمة المراجع:**

**أ/ باللغة العربية:**


1) **احمية سليمان**, السياسة العامة في مجال التشغيل و مكافحة البطالة, الملتقى العلمي حول السياسات العامة و دورها في بناء الدولة و تنمية المجتمع, جامعة الطاهر مولاي, سعيدة, الجزائر , 26 -27 أفريل2009

2) **إدريس خضير**, التفكير الاجتماعي الخلدوني و علاقته ببعض النظريات الاجتماعية ( الجزائر: ديوان المطبوعات الجامعية ,1992 ) .

3) **أسعد جلال** ,المرجع في علم النفس،( القاهرة : دار المعارف المصرية, 1987) .

4) **ابن منظور** ، لسان العرب،ط4(بيروت , دار إحياء التراث العربي ، 1999) .

5) **ابن خلدون عبد الرحمان** ، مرجع سابق .

6) [1] **إحسان محمد حسن** ، موسوعة علم الاجتماع ، ( ط1, بيروت : الدار العربية للموسوعات ، 1999

7) **الديوان الوطني للإحصائيات**, تقرير حول البطالة , للسداسي الثلاثي الثاني,لسنة 2012.

8) **بن حمودة حافظ** ، الهجرة الداخلية في المدن العربية، ( الكويت : منظمة المدن العربية ، 2000) .

9) **بدوي احمد زكي**، معجم مصطلحات العلوم الإجتماعية،( بيروت : مكتبة لبنان ، 1987) .

10)**هربرت ماركيوز**, الإنسان ذو البعد الواحد,ترجمة و تقديم جورج طرابيشي(بيروت : دار الآداب,1971),ص86

11)**حقيقي نور الدين** ، الخلدونية ، (الجزائر: المطبعة الجامعية ، 1990) .

12)**محمد مسعي**, "سياسة الإنعاش الاقتصادي في الجزائر و أثرها على النمو", **الباحث** , العدد10 , (2012) .

13)**موريس أنجرس** , منهجية البحث في العلوم الإنسانية, تر. بوزيد صحراوي و آخرون , (ط1, الجزائر : دار القصبة للنشر , 2004) .

14)**مختار محي الدين** ، محاضرات في علم النفس الاجتماعي ، (الجزائر: مطبوعات جامعة الجزائر ، 1989 )

15)**معن خليل عمر**, علم المشكلات الاجتماعية ، (عمان: دار الشروق للنشر والتوزيع، 2005) .

16)**منى سعيد الحديدي، سلوى إمام علي** , الإعلام والمجتمع ، (القاهرة: الدار المصرية اللبنانية،2004) .

17)**مصطفى عبد القادر** , الشباب بين الطموح الإنتاجي والسلوك الاستهلاكي ، (بيروت: مجد المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، 2004) .

18)**محمد الفاتح حمدي**، **(وأخرون)** , المعالجة الصحفية لظاهرة العنف في المجتمع الجزائري، دراسة تحليلية لعينة من الجرائد الجزائرية، دراسة علمية غير منشورة، (الجزائر: جامعة الأغواط ، قسم الاتصال والإعلام، 2011-2012) .

19)**سعد جلال**: الطفولة والمراهقة ، ( ط1, لبنان: دار الفكر العربي، 1985) .

20) [1] **عبد العاطي السيد** , صراع الأجيال , دراسة في ثقافة الشباب , (الإسكندرية : دار المعرفة الجامعية ,1990) .

21)**عمر أفا**, الشباب و مشكلة الاندماج (ط1, المملكة المغربية: منشورات كلية الآداب و العلوم الإنسانية بالرباط , 1995) .

22)**عبد المجيد سيد أحمد منصور، زكريا الشربيني:** الشباب بين صراع الأجيال المعاصر والهدى الإسلامي، المشكلات–القضايا–مهارات الحياة،(القاهرة: دار الفكر العربي، 2005) .

23)**عبد السلام الداشمي ، مصطفى حدية** , الشباب ومشكلات الاندماج ، (الرباط: مؤسسة كونراد أدينار للطبع، 1995).

24)**عبد الرحمن محمد عيسوي** , جنوح الشباب المعاصر ومشكلاته ، (ط1 , بيروت: دار منشورات الحلبي الحقوقية ، 2004) .

25)**فريديريك معتوق** ، مرجع سابق .

26)**قباري إسماعيل،** علم الاجتماع الحضري ،( الإسكندرية : منشأة المعارف، 1982) .

27 ) تقريربعنوان "الحرقة", بقلم د.**حسين عبد اللاوي** أستاذ ,بجامعة الجزائر, منشور في إطار برنامج أبحاث تطبيقية عن الإنتقالات الدولية للسكان في إحصاء لعدد إعادة الجزائريين المهاجرين من عند الحدود في الفترة ما بين 2005-2007 ,و الشرطة الجزائرية هي التي وفرت هذه الأرقام.

**ب/ قائمة المراجع بالغة الأجنبية :**

**28- Brake M** : the sociology of youth culture and youth sud – culture (sex and drugs and rock roll), routledge and kegan paul, London, 1980.

**29 - C.Camilleri,** jeunesse, Famille et developpement, (Ed,C.N.R.S , Paris ,1973) .

**30-Foulique Paul** , vocabulaire des sciences sociales , PUF , paris , 1978

**31- Grafmeyers yves**, Sociologie urbaine, NATHAN, (Paris, 1994) .

**32- Mackenzie (R)** , the metropolitain community , MC graw edition , England , 1933.

**33- Parsons Talcott**, personality and social structura .the free press.England: 1951.

44 **-Raymon Boudou;.**Dictionnaire de la sociologie.( Paris , larouse ,1990).

**34-Tenlon (F)**,100 mots clés en sciences economique et sociales,edition eclipse, Paris,1999.

**35-Tylor Frederic William Tony:** urban and planning tactic in developping countries the world bank edition USA 2002 .

# التقنيات البلاغية في الصورة الإشهارية الثابتة

الأستاذة أمينة رقيق – جامعة المسيلة – الجزائر

**الملخص:**

إنّ انفتاح علوم اللغة على مجمل الخطابات، مدعّمة إياها بالمفاهيم والإجراءات التحليلية، يدفع إلى محاولة ولوج عالم خطاب لم يأخذ حقه من الدراسة الشاملة المتكاملة، هو الإشهار.لأن البحث في الخطاب الإشهاري والصورة الثابتة تحديدا، يشكل فرصة معرفية ثمينة لتجاوز النقص التاريخي الحاصل في ثقافتنا البصرية. لذلك ستكون هذه الورقة البحثية محاولة لإحياء الحس التأويلي لدى القارىء العربي، ليتمكن من قراءة الرسالة البصرية التي ليست وليدة مادة تضمينية أو تحمل معان قارة، وإنما هي ذات أبعاد أنثروبولوجية وإيديولوجية واجتماعية.

**مقدمة:**

لأن الخطاب مفهوم عام يحيل على أنواع مختلفة باختلاف أشكال التواصل، وما لذلك من تأثير كبير في تحديد الآليات التعبيرية الملائمة لكل شكل، كان لزاما على الباحثين تحديد الآليات أو التقنيات التي يفترض بكل نوع الالتزام بها، حتى يحقق غايته الإقناعية. وفي هذا الإطار أخذ الخطاب الإشهاري يفرض نفسه في وقتنا الحالي، كما لو أنه إنتاج فني أو أدبي في خدمة أهدافه النفعية، ومن هنا اكتسب أهميته الحضارية وفي الآن نفسه خطورته؛ فهو يلعب على النفوس والعقول معا، فيأمر وما على المتلقي إلاّ التنفيذ. وأمام الحاجة الملحة للإشهار متمثلا بالخصوص في الملصق أو الصورة الثابتة، في المجتمع ودوره الفعّال في نشر وإذاعة ما له علاقة بالإنتاج والاستهلاك، بمفهوميهما العامّين، راح صُنّاعه يعملون على تحديد أنجع التقنيات والوسائل الممكنة لصنع وإيصال الرسائل الإشهارية المقنعة للجماهير

الواسعة. هذه الأخيرة –أي الرسائل–تصدّت لدراستها عديد المقاربات انصهرت في آخر أمرها فيما أطلق عليه المقاربة البلاغية التي تمخضت عن نظرية بيرلمان الحجاجية. تمحور عملها حول الطرح التالي: ماهي التقنيات الموظفة في الخطاب الإشهاري ممثّلا في الصورة الإشهارية الثابتة ، والتي تجعل منه خطابا مقنعا؟

**1– الصورة الإشهارية:**

**1–أ. الصورة:**

"الصورة" في أصولها الإغريقية واللاتينية تُرادف كلمة أيقون والتي يراد منها أيضا المشابهة والمماثلة، وعليها بنى "بيرس" سرح نظريته السيميائية، ليعتمدها اتجاهُه كمصطلح مركزي لمقاربة الصورة.[lxxiv]

أما التعريف الإصطلاحي للصورة في المعاجم السيميائية المتخصصة، فإن السيميائيات البصرية تعدّ الصورة وحدة متمظهرة قابلة للتحليل، وهي عبارة عن رسالة متكونة من علامات أيقونية، لهذا فسيميولوجيا الصورة تجعل من نظرية التواصل مرجعها.[lxxv]

تطورت الصورة بالإتصال والإعلام والتكنولوجيات الرقمية، لتصبح ذات أنواع وأصناف عديدة، فقد قام "بول ألماسي" بوضع خطاطة تصنيفية للصور، جاءت في صنفين: [lxxvi] الصنف الأول : الصور السينمائية التي تندرج تحتها كل من (السينما،التلفزيون،الفيديو). الصنف الثاني: الصور الثابتة، والتي تنقسم إلى قسمين:

1-الصور الجمالية 2- الصور النفعية : ويدخل تحتها كل من الصور الوثائقية، الصور الإشهارية، الصور الإخبارية. ومنهم من اختصر تقسيم الصورة إلى قسمين رئيسين: الثابتة والمتحركة.

**1–بـــ.الصورة الإشهارية:**

يُقصد بالصورة الإشهارية تلك الصورة الإعلامية والإخبارية التي تستعمل لإثارة المتلقي ذهنيا ووجدانيا، والتأثير عليه حسيا وحركيا، ودغدغة عواطفه لدفعــه قصد اقتناء بضاعة أو منتوج تجاري ما.

الصورة الإشهارية – والتي هي نوع من الفوتوغراف - تستهدف تسهيل الحياة من خلال تغيير النمطية السائدة في مجتمع بشري وكيان سوسيو ثقافي، وذلك بتقديم بديل حياتي أرقى وأكثر إمتاعا عنوانه البارز" الجاهزية ."

وتعتمد الصورة الإشهارية دائما الإغراء والإبهار، والثأثير عبر التقابلات اللونية والدلالية والملازمة لمدة طويلة ممكنة، واستبدال الصيغ التمظهراتية وإن تعلق الأمر بذات المنتوج. وفي كـــل ذلك فهي تسعى إلى القبض على الراهنية التي أنتج فيها ومن أجلها "المنتوج "تجارة أو فكرا أو إخبارا أو تحسيسا . [lxxvii]

## 2–المقاربة البلاغية للصورة الإشهارية :

يمثّل الخطاب الإشهاري نوعا من أهم أنواع الخطاب بعامة لاتّصاله بالحياة الإنسانية بشكل مباشر فيؤسس لقيمه الاجتماعية والأخلاقية والحضارية [lxxviii]، ناهيك عن قيمته التجارية المباشرة، فهو وإن ارتبط ارتباطا وثيقا بالدعاية بمفهوم عام إلا أنه يبطن في الممارسة اللغوية والأيقونية قيمة ثقافية ذات سمة إيديولوجية غالبة تحاول أن ترسّخ لدى المستقبلين. [lxxix] من هنا، فإن الحديث عن الخطاب الإشهاري يفرض التمييز بين قطبين أساسيين متباينين ومتكاملين في الآن نفسه، ويتمثلان في البعد السوسيو–اقتصادي الذي يوجد خارج الخطاب، ويتكفل بدفع المتلقي إلى القيام بفعل الشراء، والبعد الخطابي بصفته نسيجا تتشابك فيه مجموعة من العلامات وفق قواعد تركيبية ودلالية.[lxxx] وهنا يُذكر أنّ الآراء تضاربت حول إمكانية اعتبار الخطاب الإشهاري نصا أدبيا له سمات الأدبية أم أنه لا يرقى إلى ذلك كون الغاية الربــحية تحوطه دائما.

إن الخطاب الإشهاري وسيلة اتصال بالجمهور المستهلك والعمل على إقناعه، بيد أن هذا الاتصال يكون مبنيا وفق منهج مخطط بعيدا عن كل اندفاع أو مجازفة مما حذا بــ"محمد الصافي" إلى عدّه «استراتيجية إبلاغية قائمة على الإقناع وتستعمل لذلك كل وسائل الاتصال الإنساني من كلمة وصورة ورموز في أفق التأثير على المتلقي/المستهلك والدفع به إلى اقتناء منتوج ما، والتسليم بأهميته وتفضيله على باقي المنتوجات».[lxxxi]

يرى "بشير إبرير" أن المقاربة السيميائية أهم المقاربات وأنسبَها لتحليل الخطاب الإشهاري إلى جانب المقاربة التداولية، لأنها تجمع بين الصوت والصورة والموسيقى والحركة والأداء واللون والشارة والأيقونة والرمز واللغة والديكور. و يزعم أن المقاربة السيميائية تشمل كل المقاربات: اللسانية، النفسية، التداولية، الاجتماعية الثقافية...، [lxxxii] و يعد منظور "بيرس" –حسب "إبرير" الأنسب والأصلح لدراسة الخطابات البصرية ومنها الإشهار؛ انطلاقا من تأسس نظريته السيميائية على عدة عناصر، وهي التطورية الواقعية والبراغماتية مضافا إليها الفلسفته الظاهراتية التي تعنى بدراسة ما يظهر، وهو بهذا يوسّع من نطاق العلامة لتشمل اللغة وغيرها من الأنظمة التبليغية غير اللغوية، فكل ما في الكون بالنسبة لبيرس علامة قابلة للدراسة، وهي بذلك تندرج ضمن السيميوطيقا وتعد جزءاً من علم المنطق خلافاً لسوسير الذي ركز اهتمامه على العلامة اللغوية .

إلا أن الباحثة تخالفه الرأي معتبرة منظور "بارث" الأشمل والأكثر إحاطة بخصائص الخطاب البصري وبخاصة الخطاب الإشهاري، فهو يدرس هذا الأخير من الناحية البلاغية العامة مستخدما في ثناياها المنهج السيميائي في تقصي التقنيات المستخدمة في الصورة والدلالات المتعددة الناجمة عن هذه التقنيات، مقدّما للدارسين كيفية "القراءة" الصحيحة لهذا النوع من الخطاب بوصفه "نسقا دالا "

بامتياز. وعليه فالمنهج البلاغي السيميائي هو الأنسب لاستكشاف العملية الإشهارية في بعدها الحجاجي ، وأنواع الحجج اللسانية و الأيقونية المحققة للفعل اللغوي أثناء الدعاية الترويجية للسلعة أو الفكرة شفهيا وسمعيا وبصريا بالصورة الثابتة أو المتحركة.

من هذا المنطلق تصدّت لدراسة الصورة الإشهارية اتجاهات عديدة جمعتها "البلاغة الجديدة" في إطار ما أطلق عليه "بلاغة الإشهار التي تعد امتدادا لنظرية بارث السيميائية مع الإستعانة بالمقاربة النفسية الاجتماعية إضافة إلى المقاربة اللسانية؛ إذ أن « تحليل الرسائل يبيّـــن أن الإشهار خلال عمليته الإقناعية، قد أعاد إلى الاستعمال، بدون وعي، مجمل وجوه البلاغة الكلاسيكية ولا سيما وجوه الإبدال خاصة: الغلو والاستعارة والتورية والتجنيس... ».[lxxxiii] إنّ الإشهار يصبح مدركا هنا، على أنه كلام مجازي يوفّر ذخيرة خطية أيقونية هائلة، والخراج دائم، في الوقت نفسه، لخيال جد بعيد (نموذجي مثالي) وأيضا واقعي متحقق، وبإدخال شيء من الحلم ومن اللهو، من الخلق ومن الشعر. يحين الإشهار وبطريقة مجازية، الرغبات المخبوءة في أقصى تخوم ذاكرتنا.[lxxxiv]

يتولى محلّل الصورة الإشهارية –انطلاقا من النظرية البلاغية–النظر في جوانبها اللسانية والأيقونية والتشكيلية، على اعتبار أنها مدار الحجج التي يوظّفها الإشهاري لإقناع الزبون باقتناء السلع، ومن ثم التأثير على عواطفه وسلوكاته، ليصبح الشراء هدفه ، وإن لم يكن في حاجة لهذه السلعة، بخلق الحاجة لديه. واعتباره السلعةَ ذاتها محققا لسعادته ورفاهيته.

حدد رائد التحليل السيميائي "رولان بارث" في مقاله عن بلاغة الصورة الإشهارية – إنطلاقا من تحليله لصورة إشهارية ثابتة للعجائن الإيطالية – النظريةَ العامة التي يقوم عليها التحليل السيميائي للصورة وذلك في محاولة منه للإجابة عن

مجموعة من الأسئلة: كيف يجيء المعنى إلى الصورة ؟ أين ينتهي ؟ وإذا انتهى ماذا يوجد بعده ؟ ولقد اختار بارث الصورة الإشهارية نموذجا للتحليل لأنه يرى في الصورة الإشهارية الخطاب الذي يتميّز عن غيره بمقصديته الدلالية بواسطة علامات ممتلئة تدعو إلى قراءة بارعة. « **pleins signes**».[lxxxv]

إن قراءة الصورة تطرح العديد من الإشكاليات بالنسبة للباحثين، تمثل أهمها في إمكانية وجود لغة بصرية بحد ذاتها، ومحاولة التعرف على خصائص هذه اللغة بالمقارنة مع اللغة التي كانت مدار بحث وتقصٍ منذ أن أبرزها "دي سوسير" إلى الوجود كظاهرة إنسانية قابلة للدراسة والتحليل. والإشكالية الثانية تتمثل في المعنى أو الدلالة التي تتّخذها الصورة؛ فعلينا من جانب أن نتعرف كيفية إدراك اللغة الفوتوغرافية والعوامل المؤثرة على هذه العملية، ومن جهة أخرى أن نتحرّى المعنى من خلال إواليات حددها المتخصصون في هذا المجال، وعلى رأسهم بطبيعة الحال رولان بارث رائد البحث في بلاغة الصورة.

بالنسبة لبارث إذا كانت اللغة نتاج تواضع جماعي فهنالك أيضا لغة فوتوغرافية متواضع عليها تشتمل على علامات وقواعد ودلالات لها جذور في التمثلات الاجتماعية والإيديولوجية السائدة. ومن ثمّ فالفوتوغرافيا نسق سميائي يشتمل على ثلاثة مكونات: دال ومدلول، والعلاقة التي تجمعهما والتي تشكل العلامة الفوتوغرافية. ويذهب بارث أبعد من هذا المستوى فيسمي هذا " نسقا سميائيا أوليا " ويسمي الأسطورة " نسقا سميائيا ثانيا "يجد دعامته في النســق الأول. وهكذا يصبح النسق السميائي الأول بمثابة دال فقــط لمدلول هو النسق السميائي الثاني:[lxxxvi]

| Signifié (مدلول) | significant (دال) |
|---|---|
| | |

| signifiant (دال) | Signifié (مدلول) |
|---|---|

وعلى هذا الأساس تصبح القراءة انتقالا من مستوى إلى آخر، أي من النسق السميائي الأول إلى النسق السميائي الثاني، وداخلهما من العلامة كمعنى إلى العلامة كشكل، ومن ثم إلى المدلول كمفهوم وهكذا دواليك. ففي هذه السيرورة يشتغل الشكل دائما كمستوى تقريري يستند إليه المفهوم لإنتاج الدلالات.[lxxxvii]

ينتج عن هذه النظرة أن هناك مرحلتان أساسيتان لقراءة الصورة الفوتوغرافية، وهما المعنى الاشاري والمعنى الايحائي؛ المعنى الاشاري هو المرحلة الأولى من الرسالة، وفيها يتم وصف العلاقة في الاشارة بين الدال وهو المفهوم الطبيعي للإشارة ومثالها الصورة الفوتوغرافية، والمدلول وهو المفهوم الذهني لفحوى الرسالة، ومثالها ما يعنيه موضوع الصورة بالنسبة للمشاهد.

ويؤكّد "سعيد بنكراد" على أن دلالة الصورة الإشهارية دلالة قصدية فهناك ثبات للمدلول الكلي الذي لا يخرج عن: (جودة المنتوج كذا)، إلا أن هناك معان جزئية تُستقى من جزئيات الصورة الإشهارية، أي الجزئيات القابلة للاشتغال كدوال تحيل على مدلولات.

وبالأكيد أن أي متلق وخلال تلقيه لخطاب بصري ما، فإنّه يخضعه لثلاثة مستويات من القراءة القراءة الوصفية، القراءة التقنية، القراءة التأويلية ؛ وهكذا يتدرّج في قرائته لها من القراءة الواصفة ، التي لها مقدار معين من العلمية، من خلال تحديد طبيعة الصورة ومكوناتها وتقنياتها، ومن ثمّ يعرج على المكونات الأيقونية والتشكيلية ويمنحها هويتها. أما القراءة التأويلية فهي رهينة بالبعد الذاتي والإيديولوجي للذات القارئة وفيها يتم منح المكونات الأيقونية والتشكيلية أبعادا

دلالية وجمالية وفق السياق الذي تشتغل ضمنه[lxxxviii]؛ فبعد القراءة الوصفية للصورة- النص على التعيين بتحديد طبيعتها ومكوناتها (المنظور، زاوية النظر،الإضاءة، إختيار الألوان....)، سيتخذ القارئ من هذه القراءة الجماعية التي تواضعت عليها الجماعة المفسرة عونا تأويليا يعضد بـه قراءته الفردية لنص الصورة، الذي سيتقاطع فيه المستوى التعييني بالمستوى التضميني، ليشكلا قطبي الوظيفة السيميائية، ويحققا شكل مضمون الصورة، لأن تأويل الصورة مثل كلّ تأويل، يحتاج إلى بناء السياقات المفترضة من خلال ما يعطى بشكل مباشر، ولا يمكن لهذا التأويل أن يتم دون استعادة المعاني الأوليـة للعناصر المكونة للصورة، وضبط العلاقات التي تنسج بينها ضمن نص الصورة[lxxxix]، لنخلص إلى أن كل القراءات التي تناولت الأعمال الفنية والصور هي عبارة عن تأويلات يستحيل معها تطابق الصورة مع المرجع[xc] ، فالصورة في العود والبدء دائما في خلق قرائي وتأويلي جديد.

في هذه المرحلة يتساءل بارث عن وظيفة النص اللغوي الذي يرافق الصورة الإشهارية، إذ يحدد وظيفتين رئيستين للرسالة اللغوية في الصورة الإشهارية: " **الترسيخ ancrage** " بتحديد وجهة المعنى الذي تريد الصورة بثه في المتلقي ، "و**المناوبة** (أطلق عليها كذلك الربط أو التدعيم) **relais** " التي تعد أقل الوظائف حضورا خاصة في الصورة الثابتة، فالصورة والكلام في هذه الوظيفة يوجدان في علاقة تكميلية. « إلا أن أهمية النسق اللساني تبقى قاصرة أمام بلاغة الصورة و إوالياتها المتفاعلة والمؤثرة، فهي ذات التأثير في نفس المتلقي، كما تستوقف المشاهد لتثير فيه الرغبة والاستجابة ».[xci]

لقد أصبح مؤكّدا أن الصورة الإشهارية الثابتة نص يستنفر عقل المتلقي/المحلّل لمحاولة القراءة فالتأويل، كعمليتين متعاضدتين تسبران أغوار هذا النص، من خلال

مكوناته الحبلى بالدلالات، والتي تسمِه بالبلاغة الإقناعية حسب بارث، والإيمان بتدرج فهم الصورة يؤدّي إلى البحث في الآليات التي توظفها، ومن ثم جعلها الانطلاقة لتحليلها.

**–العلامات اللغوية:**

إنّ النص اللغوي يشتغل بشكل موازٍ مع الأيقونات، ويتعدّد حضوره على مستوى الصورة: عنوان، تعليق، نص مواز، شرح الأيقونات، جواب عن سؤال مقدر. فالنص لا يقدم في الإرسالية البصرية بشكل مجاني اعتباطي، بل هو أساسا يحضر لمنع التدفق الدلالي المحتمل الذي يستند إلى مبدأ القصدية، ولذلك فإن إرفاق الصورة بإرسالية لغوية مكتوبة يقلص من إمكانات التلقي ويوجهها الوجهة التي تريدها القناة المرسلة، وهذا ما أسماه "بارث" وظيفة الترسيخ" التي تقوم بدور توجيهي لمعنى الصورة المراد بثه في المتلقي، ويضيف إليها وظيفة أخرى هي وظيفة التدعيم بحيث يقوم النص اللغوي بإضافة دلالات جديدة.

ويرى "عبد العالي بوطيب" أنّ دراسة الرسالة اللغوية لن تكون شاملة ما لم تحط بمستويين، مختلفين ومتكاملين:[xcii] الأول: يخص مظهرها التشكيلي، لما يلعبه هذا المظهر، بمختلف تجلياته، من دور هام في التحديد غير المباشر لمحتوى الرسالة ، « فالإشهار والملصقات يلعبان على طريقة الطباعة، محوّلَين الحروف، في الغالب، لأشكال تصويرية جذابة » [xciii].

أما الثاني: فيخص المضمون اللساني، وفيه يتم التركيز أساسا على محتوى الرسالة اللغوية المصاحبة للصورة الإشهارية، بهدف تحديد العلاقة التكاملية القائمة بينهما. وهنا لابد من الاعتراف بالدور الهام الذي تلعبه الدراسة المعجمية والتركيبية، نحوية كانت أوبلاغية، في ضبط آليات اشتغال اللغة، لمؤازرة الصورة، في مهمة الإيقاع بالمشاهد، وتحويله لزبون فعلي.

**–العلامات التشكيلية:**

يتضمن العناصر التالية: التنظيم المجمل للصورة، المنظور، الإطار والتأطير، زاوية النظر، الأشكال والخطوط ، الإضاءة والألوان .

**–العلامات الأيقونية:**

تشكل العلامات الأيقونية مكونا أساسيا من مكونات الصورة الإشهارية لا باعتبارها الآلية الوحيدة المساعدة على–استنساخ– الواقع وتقديمه فقط، مادامت: الصورة هي، أولا، شيء ما يشبه شيئا آخر.[xciv] بل لما تضمره كذلك من أبعاد إيحائية عديدة ومتشعبة، غالبا ما تتجاوز نطاق التماثل المادي للموضوع المنقول:« لأن الصورة تريد دائما أن تقول أكثر مما تعرضه في الدرجة الأولى، أي على مستوى التصريح»[xcv]. وللاقتراب أكثر من خصوصيات هذا المكون الهام، اقتُرح[xcvi] تقسيم دراسته لمستويين، مختلفين ومتكاملين، هما:

1/مستوى الموضوعات: يتم فيه التركيز على الموضوع (أو الموضوعات) المصوّرة، مع وصف دقيق ومركز لجزئياتها، الحاضرة والمغيبة، وما تحمله من أبعاد تعبيرية محددة في سياق سوسيوثقافي معين. مادام : « حضور عنصر، كغيابه، يعد اختيارا، على التحليل أخذه بعين الاعتبار»[xcvii].

2/مستوى وضعية النموذج: ويتعلق الأمر بدراسة الطريقة الخاصة المعتمدة في عرض الموضوعات ـــ وتوزيعها داخل مجال الصورة الإشهارية، أو ما يسمى بالسينوغرافيا، لتحديد أبعادها التعبيرية، وما تضمره من تسنينات سوسيوثقافية. فوضعيات شخصيات، مثلا، في علاقاتهم ببعضهم البعض، يمكن تأويلها انطلاقا من معطيات اجتماعية مضبوطة (علاقة عائلية، حميمية، عدائية، ...).

وانطلاقا من آليات الصورة الإشهارية السابقة الذكر، تتراءى **المقاربة البلاغية السيميائية** لتشمل **دراسة الصورة** عبر مجالـــين: مجال البلاغة والرمزية ، المعنى التقريري والمعنى التضميني، وتنتهي بنتائج للتحليل.

**أولا: مجال البلاغة والرمزية في الصورة**

**أ. العلامات البصرية التشكيلية:**

- **التحليل المورفولوجي:**

– المدونة الهندسية: كأن تقول وردت الصورة في شكل مستطيل طوله 25 سم وعرضه 15سم، والمستطيل مستحب تستريح له العين، ولكن ليس كل مستطيل يحظى بمثل هذه الميزة، فالمستطيلات التي تعرض السلعة أو الخدمة عرضا أفقيا غالبا ما توحي للمتلقي بعدم قوة الطرح الإشهاري. وقد ظهر في الدول الغربية اتجاه جديد في إخراج الصورة الإشهارية في شكل دائري أو بيضاوي بينما المربع غير مستحب.[xcviii]

- **التحليل الفوتوغرافي: نتناول في هذا المجال:**

– التأطير، هجر مصمِّموا الصور الإشهارية في الآونة الأخيرة فكرة استخدام الإطارات المزخرفة، التي بدا فيها كثير من التصنع واتجهوا نحو الخطوط البسيطة وترك مساحات من البياض لتقوم مقام التأطير، ومهمة الإطار في حالة استخدامه هو خلق إحساس بالوحدة الإشهارية وضم أجزائه بعضها إلى بعض، وزيادة قوة لفت النظر.[xcix]

– اختيار الزوايا: زوايا النظر تتواصل بالربط بين العين والموضوع المنظور له، فالمشاهد ليس بالضرورة أن يركز على زاوية النظر نفسها التي نركز عليها

في الموضوع، ولا الموقع نفسه الذي يتخذه المصور أو الفنان في حالة تصويره أو رسمه، لهذا يُطرح السؤال: من أي زاوية ننظر للموضوع؟ الإجابة هي أن الصورة الفوتوغرافية هي من وضع الفوتوغرافي الذي يختار موقعه ضمن عملية التصوير، ليحدد إطارَ الموضوع الذي يسقطه بضبطه الإنارة وكميتها، أما الصورة الإشهارية فالتركيز يكون على زاوية النظر الوجهية التي تقابل المشاهد وجها لوجه وكأنها تخاطبه، فهي تهتم بأشكال التصوير أي كيفية تصوير المنتج هل ببؤرة أمامية قريبة أو بعيدة وكيفية اختيار الزوايا هل من اليمين إلى اليسار أم العكس.

- حركة العين: يكون استقبال الصورة في المرحلة الأولى مجملا، فالعين تمسح الصورة، ولكن تبثها على الإطار نفسه ، ليس بالكيفية الخطية التي يُتلقى بها النص، لكن هذه القراءة المجملة تلبث لتصبح في مرحلة ثانية قراءة خطية، لأن تركيز البصر على الصورة سوف لن يمد دفعة واحدة بكل الرسالات والدلالات الممكنة، لذا يقتضي أن تقوم العين بمجموعة من الحركات العمودية والأفقية والدائرية، محددة بذلك مسار الصورة.

فالعين تسير في حركتها الطبيعية من اليمين إلى اليسار وفق أحرف لاتينية هي (Z.T.S.L.J.LC)[c]. وعليه فالعين في رحلتها تسير من اليمين وذلك بالتركيز على التناسق في الصورة ثم على الألوان، والأبعاد، والتحليل، والترتيب والتصنيف.[ci]

- وضع المركز البصري: إن مركز الصورة الثابتة وبالأخص الصورة الإشهارية لا يقع في مركزها الهندسي تماما، لأن النقطة التي تستريح العين إلى الاستقرار عليها ليست المركز الهندسي للمستطيل أي النقطة التي

يتقابل فيها منصفا الأضلاع، ولكن هي النقطة التي تعلو المركز الهندسي بمقدار 5% في عرف الاخصائيين وبمقدار 1/8 في نظر أخصائيين آخرين، كما تقع أيضا إلى اليمين قليلا من المركز الهندسي. فعرض الأشكال تحدث حسب التقاطنا البصري، كأن تكون ملاحظتنا عند الزاوية العادية، والصورة في هذا المستوى تظهر كشاهد موضوعي للحقيقة، أو بزاوية فوقية بتقديم الشيء من الأهم إلى المهم، أو زاوية تحتية تدل على التحذير أو الخطر.

- الضوء/الظل: تعتبر الإضاءة من أهم العناصر التي تثير الانتباه في الصورة، فالهالة الضوئية تعمل على تقريب أو تبعيد الموضوع أو الشخصية، فلابد الأخذ بعين الاعتبار المعنى المقدّم من قِبل الإضاءة أثناء قراءة الصورة، فإذا كانت الإضاءة في الصورة الإشهارية على الجانب الأيسر فالمنتج المقدم يعد منتجا مستقبليا، أما إذا كانت الإضاءة مركزة على الجانب الأيمن فمنتج مرتبط بالماضي أي بالأصول والتقاليد.

هناك عدة أنماط من الإضاءة منها الإضاءة الآتية من الأمام، أو إضاءة ثلاثة أرباع الصورة وهي تضيء أحجاما أو خطوطا معيّنة مركّزة، قصد إعطائها قيمة، أما الإضاءة الآتية من العمق، بحيث يكون الموضوع أو الشخصية أمام الناظر إليها، بحيث تتموقع الإضاءة وراء الشخصية تارة تاركة بعض الإضاءة المعاكسة للنهار (الظل)، وهذا غالبا ما نجده في المنتجات الإشهارية الخاصة بالتجميل والزينة وعروض الأزياء. ولهذا يوصي خبراء الإشهار إلى تسليط الضوء بكميات قوية على المنتج مع اختصار المساحات الظلية في الخلفية.

- **التحليل التيبوغرافي:**

إن الوظيفة الأولى للحروف أو الرسالة اللغوية هي أن يساعد في نقل الرسالة البصرية، وإبلاغها للمتلقي على أن لا تستحوذ هي نفسها على نظره وانتباهه، فماهي إلاّ وسيلة للتعبير عما يستوجبه موضوع الصورة الإشهارية، كما يجب أن تكتب بحروف واضحة حتى تسهل قراءتها وتتمثل عناصرها –كما رتّبها "درمون بريسو Darmond Brisoux" :[cii]

- العنوان: يجب أن يجلب الاهتمام والنظر للوهلة الأولى، بكلماته الجذابة التي تحمل معاني الجدة، كأن يحمل العنوان وعدا بتحقيق حاجة المستهلك ، والعنوان القصير هو الذي يسهل استيعابه. وقد يرافق العنوان الرئيسي عناوين فرعية مكملة، فهو العنصر المحدد للصورة، يمارس دور الرابط بين الوسيلة والمتلقي.

- النص الوصفي: ويتركب من مجموعة من الفقرات قد تكون طويلة أو قصيرة، فهو صلب الملصق أو الصورة الإشهارية الذي تتم به عملية الإقناع، ويفضل ألا يكون النص طويلا جدا، وأن يكون بأسلوب واضح، ومثاله إيراد عبارات تشهد فيها شخصية معروفة بجودة المنتوج، كونها جربته، وعليه تحفز المستهلكين لاقتنائه.

- الشعار: عبارة عن جملة ذات إيقاع معين، سهلة الحفظ، في شكل عنصر خطي مميز لماركات تجارية، ويعتبر كدليل للتعرف عليها، فيكون مصاحبا للوغو الشركة (مثل رمز رونو أو بيجو للسيارات)، أو يكون ككتابة بطريقة مميزة مثل (Coca Cola) .

- الخاتمة: وهي الجملة الأخيرة في النص، وتوضح كيفية الحصول على المنتج أو الخدمة؛ بالإتصال بنقاط البيع أو الذهاب إلى عين المكان...ولها دور في الحث على القيام بالفعل.

وعلى العموم يجب أن تتلاءم الرسالة اللغوية وما توحي به من ارتباطات سيكلوجية، بمعنى أنه في حالة الإشهار عن خدمات المصانع، فإن الأمر يستوجب استعمال الخط بالبنط الغليظ الأسود حتى يوحي بشيء من صفات المنتج المُعلَن عنه، وخلافا لذلك يجب استخدام الحروف الخفيفة الرشيقة في حالة الإشهار عن مجوهرات أو أدوات الزينة [ciii]. وأهم خطوط الحروف المستعملة في الصور الإشهارية العربية: الخط النسخي، وهو الأكثر شيوعا، وخط الثلث ويستعمل للعناوين الرئيسة يمتاز بجماله ومرونته، وكذا الخط الرقعي الذي أصبح نادرا ويستعمل في العناوين الثانوية، والخط الفارسي وهو أقل الخطوط استعمالا. وبالنسبة للخطوط الأجنبية تتنوع من الخط الروماني والقوطي والمنحني والمائل.

- **اختيار الألوان في الصورة الإشهارية:**

هناك مبدآن أساسيان يجب اتباعهما في إدراج الألوان في الصورة وهما هارمنية الألوان وتباينيتها. ومنه أكد باحثوا ومتخصصوا الصور الإشهارية أنه من المفضل عدم استعمال أكثر من لون أساسي واحد، يركز على إبراز المنتج.

**بـــ. العلامات البصرية الأيقونية:**

- **التحليل السيكولوجي لأبعاد الصورة، يتناول:**

- البعد السيكلوجي للتأطير: إذا كان هناك انسجام أطراف الإطار والتأطير لتحقيق وحدة الصورة، ومن ثم الانسجام النفسي للمتلقي.

- البعد السيكلوجي لاختيار الزوايا: هل يوجد بناء متتالي للصورة فيما يخص تقريب وتكبير صورة المنتج مثلا، وإبعاد وتعميق صورة الخلفية.

- البعد السيكلوجي لتيبوغرافيا الشعار: إلى ما توحي الصيغة التيبوغرافية للشعار الإشهاري مثلا.

- التأثير النفسي للألوان.

- **علامات بصرية مختلفة،** يتم تحليل ما يلي:

- المدونات التعيينية مثل الألبسة، والديكورات،... .

- مدونة الوضعيات والحركات والإشارات مثل النظرات،... .

- الجانب السوسيو ثقافي للألوان، أي ماهو اللون المسيطر في الصورة وماهي دلالاته الاجتماعية والثقافية.

**جـــ. العلامات اللغوية:**

ورد سابقا ذكر العلامات اللغوية في الصورة الإشهارية وشكلي وجودها التشكيلي واللساني الصرف، وأُدرج البحث عن الجانب الأول منها في ما يسمى التحليل التيبوغرافي، إلا أن الجانب الثاني يتم معالجته منفردا؛ وعليه تحلل الرسالة الألسنية المرافقة للصورة الإشهارية، انطلاقا من دورها الثنائي: الترسيخ والربط، أي إبراز العلاقة بين كل من الرسالة الألسنية والرسالة البصرية.

**ثانيا: المعنى التقريري والمعنى التضميني**

دراسة مستويي التعيين الإدراكي والمعرفي والمستوى التضميني المتعلق بالإيديولوجيا.

في هذا الإطار ينبغي ألاّ يتناسى الدارس الاستعانة بالعلوم الانسانية كالسيكولوجيا والسوسيولوجيا والأنثروبولوجيا، بل وحتى علم الأساطير الذي يساعد على قراءة الرسائل المصورة ومنها الصور الإشهارية التي توظف رموزا قد يكون لها جذور أسطورية، فيتمكن من فهم المعاني التي تحملها من زاوية نظر مجتمع معين أو مجموعة بشرية معينة حول الحياة والموت، والله والإنسان، الخير والشر، الذكورة والأنوثة... وعليه يُعطي تفسيراته حول حركة الجسم وانطباعات الوجه والإيماءات والرموز دلالاتها الثقافية الصريحة والخفية.

**ثالثا: نتائج التحليل**

- **نتائج تتعلق بالجانب الفني الدلالي:**

الحكم على ما إذا تقيّدت الصورة بالجوانب المورفولوجية والفوتوغرافية...لتحقق قواعد الاتصال الأيقوني، وبذلك تمثيل المنتج بأحسن صورة. وهل احتوت على دلالة بلاغية تنشط خيال وانفعال المتلقي وتدعم اقتناعه وإغراءه باقتناء السلعة أو الخدمة.

- **نتائج متعلقة بالجانب الوظائفي السيميائي:**

هل كانت الصورة عميقة نوعا ما في تمثيلها لصورة "ذات المتلقي" أم لا، وهل استطاعت أن تجسّد بوضوح القيم السوسيوثقافية لدائرة متلقيها، وهل كانت غنية في تفاعل مدلولاتها؟

وهنا أيضا يتقصى محلل الصورة الإشهارية ما تم تغييبه في الصورة أو ما أطلق عليه "اللامرئي" في الصورة، وهي الأشياء التي تعمّد مصمم الإشهار إبعادها مستعيضا عنها بما يخدم مصلحته من أفكار وقيم يهدف إيصالها إلى المتلقي، وفق إيديولوجية محددة مسبقا.

### 3–الصورة الإشهارية والبعد الإيديولوجي:

إن التقنيات الإبلاغية (اللسانية، التشكيلية، الأيقونية) التي تُعتمد في الصورة الإشهارية تعمل على تمرير الأفكار وتبديل الذهنيات والتأثير في السلوكيات. وعليه لا يمكن بأي حال من الأحوال التعامل مع الصورة الإشهارية على أنها نص بريء (على الأقل ما ورد إلينا من قبل الآخر)، فالمعاني الإيحائية، أو الأسطورة كما أسماها بارث، تتجلى في الإيديولوجيا التي تحملها الصورة.

ومنه الحديث عمّا أطلق عليه "إيديولوجية الإشهار" أو " آليات اشتغال الخطاب الإشهاري واستراتيجياته " ملحقين بالمشهرين الرأسماليين الغرب صفة استغلال العولمة لنشر ثقافة الاستهلاك ومن خلالها تحطيم العادات والثقافات المحلية. والمؤكد أن لهذه الاستراتيجية مظاهر وطرقا يتبعها المتخصصون في هذا النوع من الخطابات الذي له أثر كبير على الشعوب بوساطة سيله الجارف ضمن وسائل الاتصال الجماهيري، وتعتبر الصورة –والصورة الإشهارية أهم تمثلاتها– الأقدر على إيصال الأفكار الإيديولوجية المعلنة والضمنية؛ كونها تخاطب شرائح المجتمع المختلفة، بكل مستوياتها، وأيضا لأنها تنقل المعنى بأقل مجهود من المتلقي، بالإضافة إلى أنها موجودة في كل مكان وقسرا فلا تستدعي بحثا ولا سعيا.

جمهور ثقافة الإشهار هو جمهور مستهلك للعلامات والقيم الإشهارية وهو جمهور يشكل مجتمع الإستهلاك ، إنه جمهور يكون فيه الأفراد موحّدين نفسيا من خلال الصراع حول استهلاك النموذج الجديد للأنا الذي يروّج له الإشهار، والمُحين دوما لهاته النماذج [civ]، والذين تعرّضوا لـــ«كل الآليات الجمالية والمنطقية والبلاغية من إستمالات وإيحاءات ... أو ما يمكن تسميته بالوسائل التعبيرية

المختلفة المعتمدة في تمرير الإرسالية الإشهارية »"[cv] مادام الإشهار يطمح لتعريفهم بمنتوج ما والعمل على دفعهم لاقتنائه.

ولا يكتفي الخطاب الإشهاري بدفع المتلقي إلى اقتناء بضاعة فحسب، وإنما يتجاوز ذلك إلى التسيير والتعريف بنظرة خاصة اتجاه الواقع والمجتمع ، وفق إيديولوجية تسعى إلى الترويج لأفكارها بالموازاة مع الترويج لبضائعها. الإيديولوجيا الخفية لا تطرح نفسها كدعاية صريحة ولا تروج لنفسها علنًا في سائر البرامج بل تتسلل بهدوء وسلاسة ومرونة، وبالتكرار والإثارة وطرح النماذج والمفاهيم التي تأخذ طريقها إلى العقل والحياة العملية ويجري الإقتناع بها، فإنها في البرامج الإشهارية تأمر. وهنا يسهل تقبل الأمر لأن الإقتناع قد مُهد له . ففي حالة الشراء مثلا يستجيب المستهلك عاطفيًا ولا واعيًا للصور والنماذج التي ترتبط في لا وعيه بالسلعة المعروضة، فالإشهار يروّج للأفكار والإستهلاك ونمط الحياة المطلوب ويسوّق البضائع، ويرمي إلى أن يتخّلص الجمهور من عقدة الطهر عن طريق تعزيز ثلاث إغراءات أساسية للتسويق : الرغبة في الراحة، الرغبة في الرفاهية، الرغبة في إحراز المكانة الإجتماعية.[cvi]

إن الإشهار من خلال ذريعة التقدم الاقتصادي وعولمة الرأسمالية ينتقل بالمجتمعات المتخلفة ببطء نحو تنميط ثقافي واحد؛ إذ تعدّى تأثيره سيادة الدول والحكومات إلى تحطيم الشخصية الوطنية وتذويبها في بوتقة الاستهلاك للمنتوجات والتصرفات والسلوكيات، بل وحتى عادات وأفكار الدول الغربية، وبالتحديد أمريكا.

و هيمنة البضاعة الإشهارية قد وصلت إلى حد أن أية ثقافة لا تستطيع الانفلات التام من تأثيرها، إذ أن الرأسمالية الكوكبية تحتل وتدمّر عوالم المجموعات الثقافية الأخرى (غير الغربية)، وبالتالي رموز هذه الثقافات يتم "تسليعها" لمن يملك

المال لشرائها.[cvii] ليتم استبدال القيم والأخلاق بقيم المادية وتقديس الجسد إلى حد النرجسية، والجري وراء الحلم والامتلاك وإن الممارسات الثقافية التي كانت في السابق مستقلة قد أصبحت ملحقة بها وشريكة لها.[cviii]

وحين لاقت فكرة عولمة الثقافة الغربية استهجانا واعتراضات لا حصر لها، تنادي باحترام الشعوب و حصانة مقوّماتها الثقافية، تبلورت فكرة أكثر ذكاء من قبل المشهرين الغرب تمثلت في استخدام الثقافات المحلية ذاتها كستار لترويج منتوجاتها [...] وبالتالي تساعد على تشظي العالم وتفككه، بل تناحره أيضا ».[cix]

**الخـــــاتمة:**

من خلال هذه الدراسة يمكن الخروج بجملة من النتائج، أهمها:

- بما أن الأبحاث الخاصة بالثقافة البصرية قليلة ، فإن هذا يدعو إلى أهمية استثمار المقاربة البلاغية ، كاستراتيجية مقترحة في قراءة النص البصري ( الصورة ) تنمية لحس أو موهبة تأويل الدلالات الرمزية المُضافة إلى المعاني الظاهرية (التعيينية)، في عصر الثورة الإعلامية والتواصلية، التي تستدعي اليقظة تُجاه كل ما يتلقّاه الفرد من خطابات.

- نص الرسائل البصرية–ومنها الملصقات الإشهارية – يبقى دائما مفتوحا على قراءات عديدة تبعا لانتماء القارىء أو المحلل والمنطلقات السوسيوثقافية له.

- الصور الإشهارية تلتزم بآليات متعارف عليها، متمثلة في الجوانب اللسانية والتشكليلة والأيقونية، باعتبارها الحامل للدلالات المبثوثة في الرسائل البصرية، وهي آليات بلاغية كونها تؤدي وظيفة الإقناع، ولها أبعاد إيديولوجية تسترعي الانتباه والتمعن.

*** الهوامـــش :**

1. Werner Burzlaff ,la lettre et l image ,les relations iconiques chez peirce ,in signe/texte/image,ed.césura Lyon,1990.,p.127.
2. A.J.Greimas, J.Courtés, sémiotique, Dictionnaire raisonné de la théorie du langage, ed.Hachette, paris, 1979, p.181.
3. Marie Claude vettraino Soulard ,lire une image ,ed.Arland colin ,paris, 1993,p.20.
4. محمد أكعبور، سيميولوجيا الخطاب البصري وإنتاج المعنى: مقاربة تواصلية نقدية. الخطاب البصري وتمظهرات المعنى
http://aka .a abour1979.maktoobblog.com/267017
5. محمد خلاف ، الخطاب الإقناعي ، الإشهار نموذجا ، مجلة دراسات أدبية لسانية، العدد 5–6، 1986، ص74.
6. المرجع نفسه ، ص80.
7. Jean Baudrillard , Le système des objets, Ed. Gallimard, 1968, p230.
8. محمد الصاقي، الخطاب الإشهاري والدعاية السياسية، علامات، ع 7، ص71.
9. بشير إبرير، بلاغة الصورة وفاعلية التأثير في الخطاب الإشهاري (نظرة سيميائية تداولية)، محاضرات الملتقى الوطني الثاني السيمياء والنص الأدبي، 15–16 أفريل 2002، منشورات جامعة محمد خيضر، بسكرة، ص 67–70.
10. آن سوفاجو، الإيديولوجيا وآليات اشتغال الخطاب الإشهاري، ترجمة أحمد الدويري، مجلة علامات، مجلة ثقافية محكمـــة، تعنى بالسميائيات والدراسات الأدبية الحديثة والترجمة، المغرب، العدد 27، 2007، ص 48.
11. المرجع نفسه، ص 49.
12. هادف لبندة خديجة، دلالة العناصر السردية في الإشهار التلفزيوني، ص 107.

13. عبد الرحيم كمال، سميولوجيا الصورة الفوتوغرافية بارث نموذجا، مجلة علامات، مجلة ثقافية محكمـــة، تعنى بالسميائيات والدراسات الأدبية الحديثة والترجمة، المغرب، العدد 16، 2001، الموقع:
14. المرجع نفسه، ص نفسها.
15. محمد أكعبور، سيميولوجيا الخطاب البصري وإنتاج المعنى: مقاربة تواصلية نقدية. الخطاب البصري وتمظهرات المعنى
16. http://akaabour1979.maktoobblog.com/267017
17. سعيد بنكراد، السيميائيات مفاهيمها وتطبيقاتها، منشورات الزمن، الدار البيضاء، المغرب، 2003، ص 93.
18. سعاد عالمي، مفهوم الصورة عند ريجيس دوبري، إفريقيا الشرق، المغرب، 2004، ص ص55 -56.
19. لعمري مصطفى، الخطاب الإشهاري بين التقرير والإيحاء، مجلة فكر ونقد، مجلة ثقافية فكرية ، المغرب، العدد 34، 2000، ص 27 .
20. عبد العالي بوطيب، آليات الخطاب الإشهاري–الصورة الثابتة نموذجا، مجلة علامات، مجلة علامات، مجلة ثقافية محكمـــة، تعنى بالسميائيات والدراسات الأدبية الحديثة والترجمة، المغرب، العدد 18، 2002، ص 125.
21. ينظر: B.Cocula , C. Peyroutet ,Sémantique de l'image ,pour une qpproche méthodique des message visuels.ed Delagrave, Paris, 1986,p35.
22. ينظر: M. Joly, Introduction à l'analyse de l'image, éd.Nathan Université.1993, p 30
23. [1] ينظر: Ibid , p 72
24. عبد العالي بوطيب، آليات الخطاب الإشهاري–الصورة الثابتة نموذجا، ص 122.
25. ينظر: M.Joly, . Introduction à l'analyse de l'image, p 44

26. فايزة يخلف، دور الصورة في في التوظيف الدلالي للرسالة الإعلانية –دراسة تحليلية سيميولوجية لعينة من إعلانات مجلة الثورة الإفريقية، مذكرة ماجستير في علوم الإعلام والاتصال، جامعة الجزائر، 1996، ص97.

27. عبيدة صبطي ونجيب بخوش، الدلالة والمعنى في الصورة، ص171.

28. Robert martin,perception de L'image publicitaire,edition,Casterman,paris,1989,p32.

29. محمد يوسف رجب الهاشمي، البرمجة اللغوية العصبية للألوان، الأهلية للنشر والتوزيع، عمان، الأردن، 2006، ص68.

30. Moles Abraham, Laffiche dans la Société urbaine,Dunod,paris,1970,p70.

31. عبيدة صبطي ونجيب بخوش، الدلالة والمعنى في الصورة، ص176.

32. الزاهيد مصطفى، سوسيولوجية الخطاب الإعلامي الإشهار واليات اشتغاله، الشبكة العالمية للمعلومات، موقع: أزيلال أون لاين، الصفحة:

i. http://www.azilal-online.com/inf-ar/articles-action-show-id-1725.htm

33. عبد الله أحمد بن عتو، الإشهار بنية خطاب وطبيعة سلوك، مجلة علامات، ص112.

34. المرجع نفسه، ص ص 5-6 بتصرف.

35. محمد حسام الدين إسماعيل، الصورة والجسد دراسات نقدية في الإعلام المعاصر، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، لبنان، ط1، 2008، ص 95.

36. محمد الولي، بلاغة الإشهار، مجلة علامات، ص 65.

37. محمد حسام الدين إسماعيل، الصورة والجسد دراسات نقدية في الإعلام المعاصر، ص 96.

